الكِفايـة

في التَّفسيرِ بالمأثورِ والدِّراية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الأربعون

[سورة الكوثر، الآية: ١]- [آخر سورة الناس]

منشور إلكترونياً
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الكوثر»

«سورة الكوثر»: هي السورة الثامنة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة العاديات»، وقبل «سورة التكاثر»[١]، آياتها ثلاث بالإجماع. وكلماتها عشر. وحروفها ثنتان وأربعون. فواصل آياتها على «الراء»[٢].

عن ابن شبرمة قال: "ليس في القرآن سورة أقل من ثلاث آيات"[٣].

قال ابن عاشور:" عدد آيها ثلاث بالاتفاق. وهي أقصر سور القرآن عدد كلمات وعدد حروف، وأما في عدد الآيات فسورة «العصر» وسورة «النصر» مثلها، ولكن كلماتهما أكثر"[٤].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة الكوثر»:**

سميت هذه السورة في جميع المصاحف التي رأيناها وفي جميع التفاسير أيضا «سورة الكوثر». وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه»[٥]. ووجه تسميتها بذلك لافتتاح السورة بذكر «الكوثر»، قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)} [الكوثر : ١].

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «إنا أعطيناك الكوثر»:

عرفت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٦]، وبذلك عنونها البخاري في «صحيحه»[٧].

وذكرها السخاوي في «جمال القراء»، باسم «إنا أعطيناك»[٨].

وسميت بها السورة، لأنها أول آية افتتحت بها السورة، قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)} [الكوثر : ١].

٢-سورة «النحر»:

ذكر البقاعي، أنها تسمى: «سورة النحر»[٩]، ونقل عنه الألوسي في تفسيره[١٠]، وقد ذكرها الجمل في الفتوحات[١١].

وذكر-أيضا - سعد الله الشهير بسعدي، في «حاشيته على تفسير البيضاوي» أنها تسمى «سورة النحر»[١٢].

وهو اسم اجتهادي، وقد علل البقاعي هذه التسمية، بقوله: "لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب"[١٣].

---

(١)على القول بأنها مكية عدوها الخامسة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد «سورة العاديات»، وقبل «سورة التكاثر». وعلى القول بأنها مدنية فقد قيل: إنها نزلت في «الحديبية». [التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠]

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٧/١.

(٣) الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى البيهقي.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠.

(٥) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٩/٥.

(٦) كما سيأتي في مكان نزول السورة، وفضائل السورة.

(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٧٨/٦.

(٨) انظر: جمال القراء: ٣٨/١.

(٩) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٨٧/٢٢.

(١٠) انظر: روح المعاني: ٤٧٨/١٥.

(١١) انظر: الفتوحات: ٥٩٢/٤.

(١٢) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفسيرِ البَيضَاوِي: ٤٠١/٨.

(١٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٨٧/٢٢.

ولم يعدها في «الإتقان» مع السور التي لها أكثر من اسم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قله ابن عباس[١]، وعائشة[٢]، وابن الزبير[٣]، وهو المشهور[٤].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية في المشهور، وقول الجمهور[٥].

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة {إنا أعطيناك الكوثر} بمكة"[٦]. وروي عن ابن الزبير[٧]، وعائشة[٨] مثل ذلك.

الثاني: أنها مدنيّة، وهو قول الحسن[٩]، وعكرمة[١٠]، وقتادة[١١].

قال ابن عطية:" هي مكية"[١٢].

قال ابن عاشور:" تعارضت الأقوال والآثار في أنها مكية أو مدنية تعارضا شديدا، فهي مكية عند الجمهور واقتصر عليه أكثر المفسرين، ونقل الخفاجي عن كتاب «النشر» قال:« أجمع من نعرفه على أنها مكية»[١٣]. قال الخفاجي: «وفيه نظر مع وجود الاختلاف فيها»[١٤].

وعن الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة: هي مدنية، ويشهد لهم ما في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك: «بينا رسول الله ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه وقال: أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} [الكوثر : ١ - ٣]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة»[١٥]، الحديث.

وأنس أسلم في صدر الهجرة فإذا كان لفظ «آنفا» في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- مستعملا في ظاهر، معناه: وهو الزمن القريب، فالسورة نزلت منذ وقت قريب من حصول تلك الرؤيا. ومقتضى ما يروى في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣]، أن تكون السورة مكية، ومقتضى ظاهر تفسير قوله تعالى: وانحر من أن {انْحَرْ} في الحج أو يوم الأضحى تكون السورة مدنية، ويبعث على أن قوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} ليس ردا على كلام العاصي بن وائل.

والأظهر أن هذه السورة مدنية "[١٦].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.
(٥) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.
(٦) الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٩) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.
(١٠) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.
(١١) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.
(١٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢٨/٥.
(١٣) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفسير البَيضَاوي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفسير البَيضَاوي: ٤٠٢/٨.
(١٤) .
(١٥) صحيح مسلم(٤٠٠):ص٣٠٠/١.
(١٦) المحرر الوجيز: ٥٦٣/٣٠-٥٦٤.

ومناسبتها لما قبلها- أنه وصف في الأولى الذي يكذب بالدين بأمور أربع: البخل. الإعراض عن الصلاة. الرياء. منع المعونة- وهنا وصف ما منحه رسوله صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة، فذكر أنه أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير، والحرص على الصلاة ودوامها، والإخلاص فيها والتصدق على الفقراء[١].

قال أبو حيان:" لما ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بـ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر : ١]، والسهو في الصلاة بقوله: {فَصَلِّ} [الكوثر : ٢]، والرياء بقوله: {لِرَبِّكَ} [الكوثر : ٢]، ومنع الزكاة بقوله: {وَانْحَرْ} [الكوثر : ٢]، أراد به التصدق بلحم الأضاحي، فقابل أربعا بأربع[٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- إن من أعظم مقاصدها كان تفضيل أمر الآخرة على أمر الدنيا وكان في مضمون رسالتها للنبيّ الكريم -صلى الله عليه وسلم- بأنّ الله سيعوضه في الجنة عن حرمانه للذكور وبأنّه أعطاه -جلّ وعلا- الكوثر، فقد ابتدأت السورة الكريمة بقوله -تعالى-: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١]، والكوثر في اللغة العربية هو الخير الكثير الوفير، أمّا في الآخرة فهو كما ذُكر سابقًا اسم نهرٍ في الجنة، وقصد -جلّ وعلا- من الإعطاء أي: التمليك فقد ملّك نبيّه نهر الكوثر تعويضًا له على حرمانه في الدنيا.

٢- أن كلّ شيءٍ يقدمه الله -جلّ وعلا- لعباده يستحق العطاء والصلاة والشكر، فقد أمر نبيّه -عليه الصلاة والسلام- بأن يصلي لله شكرًا وينحر تقربًا من الله وشكرًا على عطاءه ونعمه، قال -تعالى-: { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: ٢]، وقد جمع -سبحانه وتعالى- في طلبه هذا من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين النفع الشخصي بالصلاة والدعاء لله -تعالى-، وبين النفع العام الذي يكون بالنحر -أي الذبح- والذي يكون بتوزيع الطعام على الفقراء والمساكين، ويعتبر هذا مقصدًا من مقاصد سورة الكوثر.

٣- ومن مقاصد السورة أنّها كانت بمثابة دعمٍ معنويّ من الله -جلّ وعلا- للرسول الكريم ورفعًا لشأنه أمام صحابته ومن حوله من المسلمين، وذلك بأنّ الله وعده خيرًا في جنان الخلد وتوعد لمبغضه ومن نعته بكلماتٍ تقلل من شأنه بأنّه هو الأبتر المحروم من خيري الدنيا والآخرة فالأبتر في أصل اللغة العربية هو مقطوع الذنب وفي سورة الكوثر جاء بمعنى مقطوع الخير، وذلك في قوله -تعالى-: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣].

٤- إن انقطاع الولد الذكر ليس بترا، لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان.

٥- ومن المقاصد -أيضا- التأكيد على أنّ كلّ شانئ ومبغضٍ لرسول الله -عليه الصلاة والسلام- وفي بأيّ زمن أتى فإنه أبترٌ مقطوع الخير في الدنيا والآخرة.

قال ابن عاشور: "اشتملت على بشارة النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة، وأن ذلك هو الكمال الحق لا ما يتطاول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم من الله تعالى لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بتر لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله"[٣].

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان المنة على سيد المرسلين، وأمره بالصلاة والقربان، وإخباره بإهلاك أعدائه أهل الخيبة والخذلان"[٤].

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٢٥١/٣٠.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.
(٣) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠.
(٤)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٧/١.

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[١].

- **فضائل السورة:**

- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «الْعَصْرُ»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، وفي الثالثة:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{تَبَّتْ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»[٢].
- عن عمرو بن ميمون قال: " لما طعن عمر وهاج الناس، تقدم عبد الرحمن بن عوف فقرأ بأقصر سورتين في القرآن: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}"[٣]. وفي لفظ:" لما " طعن عمر ماج الناس بعضهم في بعض، حتى كادت الشمس أن تطلع، فنادى مناد: الصلاة، فقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ}، فلما أصبح دخل عليه الطبيب، وجرحه يسيل دما، فقال: أي الشراب أحب إليك؟ قال: النبيذ، فدعا بنبيذ، فشربه، فخرج من جرحه، فقال له الطبيب: أوصه فإني لا أظنك إلا ميتا من يومك أو من غد "[٤].
- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ سقاه الله من أنهار الجنة وأعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل قربان قرّبة العباد في يوم عيد ويقربون من أهل الكتاب والمشركين»[٥]. [موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٦.
(٢) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٦٠):ص٣٥٦/١.[إسناده ضعيف]
(٣) مسنف ابن أبي شيبة(٤٦٧١):ص٤٠٦/١، وانظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٣٧٠٦٤):ص٤٣٧/٧.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٧/١٠. وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٥٨/١٠.[موضوع]

القرآن
{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)} [الكوثر : ١]

التفسير:

إنا أعطيناك -أيها النبي- الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهر الكوثر في الجنة الذي حافتاه خيام اللؤلؤ المجوَّف، وطينه المسك.

سبب النزول:

قال ابن عباس: "نزلت في العاص بن وائل، وذلك: أنه رأى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يخرج من المسجد، وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثنا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس. فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتر، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة"[١].

وقال عطاء عن ابن عباس: "كان العاص بن وائل يمر بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويقول: إني لأشنؤك، وإنك لأبتر من الرجال. فأنزل الله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ} [الكوثر : ٣]، يعني: العاص، {هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر : ٣]، من خير الدنيا والآخرة"[٢].

عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال : "كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة"[٣].

قال سهل بن عبدالله:" لما مات القاسم بمكة وإبراهيم بالمدينة قالت قريش: أصبح محمد صلّى الله عليه وسلّم أبتر، فغاظه ذلك، فنزلت: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١]، نعزيه ونعوضه الكوثر، وهو الحوض، تسقي من شئت بإذني، وتمنع من شئت بإذني"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ} يا محمد {الْكَوْثَرَ}"[٥].

واختلف أهل التفسير في معنى {الْكَوْثَرَ}، على أقوال:

أحدها : أن الكوثر: النبوة ، قاله عكرمة[٦].

قال عكرمة:" هو النبوّة، والخير الذي أعطاه الله إياه"[٧].

وعن عكرمة :"{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: الخير الكثير، والقرآن والحكمة"[٨].

وقال عكرمة:" الخير الذي أعطاه الله النبوّة والإسلام"[١].

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٤٩٤، بدون إسناد. وورد بنحوه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره في الدر المنثور: ٦٥٢/٨، بنحوه وعزاه إلى ابن سعد وابن عساكر، وهذا إسناد ساقط.

ورواية الدر:" عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم وهو أول ميت من ولده بمكة ثما مات عبد الله فقال العاصي بن وائل السهمي: قد انقطع نسله فهو أبتر فأنزل الله {إن شانئك هو الأبتر}".

وكون الآية نزلت في العاص بدون هذه القصة، أخرجه الطبري من مرسل سعيد بن جبير:(تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤)، من مرسل مجاهد: (تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤-٦٥٧)، ومن مرسل قتادة: (تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٤). وهو الراجح.

(٢)أسباب النزول للواحدي: ٤٩٥، الدر المنثور" ٨/ ٦٥٢ وعزاه إلى ابن عساكر من طريق ميمون بن مهران بمعناه، وبمعناه أيضًا عن جعفر بن محمد عن أبيه: ٨/ ٦٥٣، وعزاه إلى الزبير بن بكار، وابن عساكر، وأخرجه الطبري: (٦٥٦/٢٤)، بنحوه من طريق العوفي، والعوفي ضعيف.

الحديث أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" ٢/ ٧٠.

(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٨.

(٤) تفسير التستري: ٢٠٧.

(٥) تفسير الطبري: ٦٤٥/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.

قال عكرمة:" الكوثر: ما أعطاه الله من النبوة والخير والقرآن"[٢].

عن بدر بن عثمان، سمع عكرمة يقول في «الكوثر»: قال: "ما أُعطي النبّي من الخير والنبوّة والقرآن"[٣].

الثاني : القرآن ، قاله الحسن[٤].

الثالث : الإسلام ، حكاه المغيرة[٥].

الرابع : أنه نهر في الجنة، أعطاه الله نبيه محمدا -صلى الله عليه وسلم-. قاله ابن عباس-في رواية-[٦]، وأنس[٧]، وعائشة[٨]، وابن عمر[٩]، ومجاهد[١٠]، وأبو العالية[١١]، ورواه ابن عمر[١٢]، وأنس مرفوعاً[١٣].

وقد رد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يَشْخَب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر، وأن عليه آنية عددَ نجوم السماء. وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي، من طريق محمد بن فضيل، وعلي بن مُسْهر، كلاهما عن المختار بن فُلْفُل، عن أنس. ولفظ مسلم قال : "بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : "أنزلت علي آنفا سورة"، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} ثم قال : "أتدرون ما الكوثر ؟" قلنا : الله ورسوله أعلم. قال : "فإنه نهر وَعَدنيه ربي، عز وجل، عليه خير كثير، هو

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٩):ص٣٤٧٠/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٤.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٠):ص٣٤٧٠/١٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٥٤/٦.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٥/٢٤-٦٤٦.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٦/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٥/٢٤-٦٤٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٥/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٦/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٦/٢٤.

(١٢) الحديث الذي رواه ابن عمر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدُّرِّ والياقوت؛ تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، أبيض من الثلج".
أخرجه الإمام أحمد في "المسند" ٢/ ١١٢، والترمذي في "سننه" ٥/ ٤٥٠: ح: ٣٣٦١، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الأرناؤوط في تخريج "جامع الأصول" ٢/ ٤٣٩: ح: ٨٨٩: وإسناده صحيح.
وانظر: الحديث في : تفسير الطبري: ٦٥/٢٤-٦٥١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٠٧):ص٣٤٧٠/١٠.

(١٣) الحديث أخرجه مسلم من طريق "أنس في صحيحه" ١/ ٣٠٠: ح: ٥٣ - ٥٤: كتاب الصلاة، باب: ١٤: ونص الحديث كما عنده عن أنس قال بينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله! قال: "أنزلت عليّ آنفًا سورة "فقرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر"، ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟ " فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي عَزَّ وَجَلَّ عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك".
وحديث ورد عن أنس بن مالك يقول: أغفى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-إغفاءة بنحو حديث ابن مُسْهر غير أنه قال: "نهر وعدنيه ربي عَزَّ وَجَلَّ في الجنة عليه حوض"، ولم يذكر آنيته عدد النجوم.
كما أخرجه الإمام أحمد في المسند" ٣/ ١٠٢: من طريق أنس.
وأبو داوود في "السنن" ١/ ٢٠١: كتاب الصلاة: باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم من طريق أنس بنحو الرواية الثانية، ج ٢/ ٥٨٨: كتاب السنة: بنحو من الرواية الأولى لأنس.
والنسائي في: "السنن" ٢/ ٤٧١: ح: ٩٠٣: كتاب الإنتاج باب ٢١ بنحوه من طريق أنس بن مالك.
وأخرجه: الطبري في "التفسير": ٦٤٩/٢٤

حوض تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فَيختلجُ العبد منهم، فأقول : رب إنه من أمتي. فيقول : إنك لا تدري ما أحدث بعدك"[١].

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل"[٢].

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل"[٣].

عن أنس، قال: الكوثر: "نهر في الجنة"[٤].

عن عائشة قالت: "الكوثر: نهر في الجنة، ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر"[٥].

عن عائشة: "الكوثر: نهر في الجنة، عليه من الآنية عدد نجوم السماء"[٦].

عن عائشة، قالت: "الكوثر: نهر في بطنان الجنة وسط الجنة، فيه نهر شاطئاه در مجوف، فيه من الآنية لأهل الجنة، مثل عدد نجوم السماء"[٧].

عن شمر بن عطية، عن شقيق أو مسروق، قال: قلت لعائشة: يا أمّ المؤمنين، وما بُطْنان الجنة؟ قالت: "وسط الجنة: حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك، وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت"[٨].

عن عائشة، قالت: "الكوثر نهر في الجنة، درّ مجوّف"[٩].

عن عائشة، قالت: "نهر في الجنة، شاطئاه الدرّ المجوّف"[١٠].

قالت عائشة: "من أحب أن يسمع، خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه"[١١].

قال ابن عباس:" "الكوثر: نهر في الجنة حافتاه من ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدرّ، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل"[١٢].

قال ابن عباس:" نهر أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم في الجنة"[١٣].

قال ابن عمر:" نهر في الجنة، حافتاه من ذهب وفضة، يجري على الدرّ والياقوت، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن، وأحلى من العسل"[١٤].

قال ابن عمر:" نهر في الجنة حافتاه الذهب، ومجراه على الدرّ والياقوت، وماؤه اشدّ بياضا من الثلج، وأشدّ حلاوة من العسل، وتربته أطيب من ريح المسك"[١٥].

عن أبي العالية : {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: نهر في الجنة"[١٦].

عن مجاهد"الكَوْثر: نهر في الجنة، ترابه مسك أذفر، وماؤه الخمر"[١].

---

(١)صحيح مسلم برقم (٤٠٠) وسنن أبي داود برقم (٤٧٤٧) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٧٠٢).
قال ابن كثير: ٤٩٨/٨:" وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة، وأنها منزلة معها".
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٧):ص٣٤٧٠/١٠.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٧):ص٣٤٧٠/١٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤. قال السمعاني: (٢٩١/٦):" غريب جدا".
(٦) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤، وانظر: الزهد لهناد بن السري(١٤١):ص١١٣/١.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.

عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا، قال: "لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر، عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يَشَمّ ترابه، فإذا هو مسك، فقال: "يا جبريل ما هذا النهر؟ " قال: هو الكوثر الذي خبأ لك ربُّك"[٢].

قال الواحدي:" فالذي عليه الأكثرون أنه نهر في الجنة يجري على الدر، والياقوت، طيبه مسك أذفر[٣]، حافتاه قباب الدُّرِّ المجوّف، ماؤها أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل"[٤].

الخامس : أنه حوض النبي - صلى الله عليه وسلم- الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة قاله عطاء[٥].

عن عطاء: "{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: حوض في الجنة أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٦].

عن مطر، قال: سألت عطاء ونحن نطوف بالبيت عن قوله: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: حوض أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٧].

السادس : أنه الخير الكثير، قاله ابن عباس-في رواية أخرى-[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، ومجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، وعكرمة[١٢].

عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: "الكوثر: الخير الكثير"[١٣].

عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس أنه قال في «الكوثر»: "هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: فقلت لسعيد بن جبير: فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة، قال: فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه"[١٤].

عن أبي بشر، قال: سألت سعيد بن جبير، عن الكوثر، فقال: "هو الخير الكثير الذي آتاه الله، فقلت لسعيد: إنا كنا نسمع أنه نهر في الجنة، فقال: هو الخير الذي أعطاه الله إياه"[١٥].

عن هلال، قال: "سألت سعيد بن جُبير: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: أكثر الله له من الخير، قلت: نهر في الجنة؟ قال: نهر وغيره"[١٦].

عن عطاء بن السائب، قال: قال محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جُبير في الكوثر؟ قال: قلت: قال: قال ابن عباس: هو الخير الكثير، فقال: صدق والله"[١٧].

عن ابن عباس، وسعيد بن جبير: "{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: الخير الكثير"[١٨].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤-٦٤٧.
(٣)أذفر: الذفر -بالتحريك- والذَّفَرَة جميعًا: شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن، ويفرق بينهما ما يضاف إليه ويوصف به، ومنه صفة الجنة وترابها مسك أذفر. انظر: "لسان العرب" ٤/ ٣٠٦ (ذفر).
(٤) التفسير البسيط: ٣٧٢/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٤، ٦٤٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.

عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة:" الكوثر: الخير الكثير"[١].

قال مجاهد:" الكوثر: قال: الخير كله"[٢].

قال مجاهد:" خير الدنيا والآخرة"[٣].

قال ابن كثير:" وهذا التفسير يعم النهر وغيره ؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر"[٤].

قال السعدي:" أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، من النهر الذي يقال له: {الكوثر} ومن الحوض، طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا"[٥].

السابع : أنه كثرة الأصحاب والأشياع، قاله أبو بكر بن عياش[٦].

الثامن : أن «الكوثر»: كلمة من الكتب الأولى ومعناها: الإيثار، قاله ابن كيسان[٧].

التاسع : أن «الكوثر»، شيئان: تيسير القرآن وتخفيف الشرائع. قاله الحسين بن الفضل[٨].

العاشر: أنه رفعة الذكر، وهو «فوعل»، من: الكثرة. حكاه الزجاج عن أهل اللغة[٩].

قال سفيان بن عيينة: "قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم آب ابنك؟ قالت آب بكوثر، يعني: بمال كثير"[١٠].

قال الواحدي:" الكوثر: -عند أهل اللغة-: «فوعل» من: الكثرة، ومعناه: العدد الكثير، والخير الكثير، ويقال للرجل الكثير العطاء: كوثر، قال الكميت[١١]:

وأنت كثيرٌ يا بن مروان طيِّبٌ ... وكان أبوك ابنَ العقائلِ كوثرا

وقالت عجوز من العرب: قدم فلان بكوثر كثير. ويقال للغبار إذا سطع وكثر: كوثرٌ، ومثله يقال: للكثير النوافل: نوفل، هذا معنى «الكوثر» في اللغة"[١٢].

قال الزمخشري:" الكوثر: «فوعل»، من: الكثرة، وهو المفرط الكثرة. قيل: لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر"[١٣].

قال الزجاج:" قال أهل اللغة: الكوثر: «فوعل»: من الكثرة، ومعناه: الخير الكثير. وجميع ما جاء في تفسير هذا قد أعطيه النبي عليه السلام. قد أعطي الإسلام والنبوة وإظهار

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤، ٦٤٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤، ٦٤٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤، ٦٤٨.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٠١/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٩٣٥.

(٦) انظر: الكشف والبيان: ٣١٠/١٠، والنكت والعيون: ٣٥٥/٦، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٧، والبحر المحيط: ٨/ ٥١٩.

(٧) انظر: الكشف والبيان: ٣١٠/١٠، والنكت والعيون: ٣٥٥/٦.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٣١٠/١٠.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٣٩٦/٥، وانظر: النكت والعيون: ٣٥٥/٦. حكاه دون عزو.

(١٠) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٨/١٠.

(١١)ورد البيت في: "ديوانه" ١/ ٢٠٩: رقم ٢٨١، تح: د. داوود سلوم برواية: (بابن) بدلاً من (يا ابن). "تهذيب اللغة" ١٠/ ١٧٨ (كثر)، و"لسان العرب" ٥/ ١٣٣، و"تاج العروس" ٣/ ٥١٧، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ١٢٤، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢١٦، و"البحر المحيط" ٨/ ٥٢٠، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٤٥، و"سيرة ابن هشام" ١/ ٤٢٢، و"المنصف" لابن جني ٣/ ٦.

وأنت كثير: أى كثير الخير والبر. ويروى بدله: كوثر. وفي الهداء تنويه باسمه وتعظيم لقدره. واستعار الطيب لحسن السيرة. ويجوز أنه ضد الخبيث. والعقائل: خيار النساء، والمراد جنسهن أو ما يشمل الجدات. والكوثر: بليغ النهاية في الخير.

(١٢) التفسير البسيط: ٣٧١/٢٤. وتهذيب اللغة" ١٠/ ١٧٦ - ١٧٨ (كثر).

(١٣) الكشاف: ٨٠٦/٤. ثم استشهد ببيت الكميت السابق.

الدين الذي أتى به على كل دين والنصر على عدوه والشفاعة. وما لا يحصى مما أعطيه، وقد أعطي من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة"[١].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، وصفه الله بالكثرة، لعِظَم قدره، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك، لتتابع الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك كذلك"[٢]. ثم استشهد الطبري بالأخبار الآتية:

- عن أنس قال: "لما عُرج بنبيّ الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، أو كما قال، عرض له نهر حافتاه الياقوت المجوف، أو قال: المجوب، فضرب الملك الذي معه بيده فيه، فاستخرج مسكا، فقال محمد للملك الذي معه: "ما هَذَا؟ " قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله; قال: ورفعت له سدرة المنتهى، فأبصر عندها أثرا عظيما" أو كما قال.
- عن أنس:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "بَيْنَما أنا أسِيرُ في الجَنَّةِ، إذْ عَرَضَ ليَ نَهْرٌ، حافَتاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ، فقالَ المَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أتَدْرِي ما هَذَا؟ هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطاكَ اللهُ إيَّاهُ، وَضَرَبَ بيَدِهِ إلى أرْضِه، فأخْرَجَ مِنْ طِينِه المِسْكَ"[٣].
- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لمَّا عُرِجَ بي إلى السَّماء، أتَيْتُ على نَهْرٍ حافَتاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّف، قُلتُ: ما هَذَا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطَاكَ رَبُّكَ، فأهْوَى المَلَكُ بيَدِهِ، فاسْتَخْرَجَ طِينَه مِسْكًا أذفَرَ"[٤].
- عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دَخَلْتُ الجَنَّة، فإذَا أنا بنَهْرٍ حافَتاهُ خِيامُ اللُّؤْلُؤ، فَضَرَبْتُ بيَدِي إلى ما يَجْرِي فِيهِ، فإذَا مِسْكٌ أذْفَرُ; قال: قُلْتُ: ما هَذَا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطاكَهُ اللهُ"[٥].
- عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ"، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "رَأيْتُ نَهَرًا حَافَتاهُ اللُّؤْلُؤ، فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ ما هَذَا؟ قالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطاكَهُ اللهُ"[٦].
- عن أنس، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر، فقال: "هُوَ نَهْرٌ أعْطانِيهِ اللهُ في الجَنَّةِ، تُرَابُهُ مِسْكٌ أبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلَى مِنَ العَسَلِ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أعنَاقُهَا مِثْلُ أعناقِ الجُزُرِ"، قال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة؟ قال: "آكِلُها أنْعَمُ مِنْها"[٧].
- عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دَخَلْتُ الجَنَّةَ حِينَ عُرِجَ بِيَ، فَأُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ، فإذَا هُوَ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، عُضَادَتَاهُ بُيُوتٌ مُجَوَّفَةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ"[٨].
- عن أنس: أن رجلا جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: "نَهْرٌ أعْطانِيهِ اللهُ فِي الجَنَّةِ، لَهُوَ أشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلَى مِنَ العَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أعْنَاقُهَا كأعْنَاقِ الجُزُرِ". قال عمر: يا رسول الله إنها لناعمة، قال: "آكِلُها أنْعَمُ مِنْها"[٩].

---

(١) معاني القرآن: ٣٦٩/٥.
(٢) تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٤-٦٥٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٤.

- عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الْيَاقُوتِ والدُّرِّ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، ماؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ"[١].
- عن عطاء بن السائب، قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جُبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس، أنه قال: هو الخير الكثير، فقال: صدق والله، إنه للخير الكثير، ولكن حدثنا ابن عمر، قال: لما نزلت: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حافَتاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي على الدُّرِّ واليَاقُوتِ"[٢].
- عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما، فلم يجده، فسأل امرأته عنه، وكانت من بني النجار، فقالت: خرج، بأبي أنت آنفا عامدا نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، أو لا تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه حيسا، فأكل منه، فقالت: يا رسول الله، هنيئا لك ومريئا، لقد جئت وإني لأريد أن آتيك فأهنيك وأمريك، أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرا في الجنة يُدعى الكوثر، فقال: "أَجَلْ، وَعَرْضُهُ - يعني أرضه - يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ وزَبَرْجَدٌ ولُؤْلُؤٌ"[٣].

القرآن

{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)} [الكوثر : ٢]

التفسير:

فأخلص لربك صلاتك كلها، واذبح ذبيحتك له وعلى اسمه وحده.

قال السعدي:" ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، خصّ هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به"[٤].

قوله تعالى:{فَصَلِّ لِرَبِّكَ} [الكوثر : ٢]، أي:" فأخلص لربك صلاتك كلها"[٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَصَلِّ لِرَبِّكَ} [الكوثر : ٢]، وجوه:

أحدها : الصلاة المكتوبة، وهي صلاة الصبح بمزدلفة، قاله ابن عباس[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، وحجاج[٨]، ومجاهد[٩]، وعطاء[١٠]، وعكرمة[١١]، ورواه منصور عن الحكم[١٢].

قال مقاتل:" يعني: الصلوات الخمس"[١٣].

عن مجاهد، وعطاء، وعكرمة قوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ}، قالوا: صلاة الصبح بجمع"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٤-٦٥١.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤.
(٤) تفسير السعدي: ٩٣٥.
(٥) التفسير الميسر: ٦٠٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٨٠/٤.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.

الثاني : صلاة العيد ، قاله أنس بن مالك[١]، وقتادة[٢]، وعطاء[٣]، والربيع[٤].

قال الزجاج:" الأكثر فيما جاء: {فَصَلِّ لِرَبك وانْحَرْ}: صلاة يوم الأَضْحَى ثم النحر بعد الصلاة"[٥].

عن أنس بن مالك، قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحر قبل أن يصلي، فأمر أن يصلي ثم ينحر"[٦].

وعن عكرمة: "فصلّ الصلاة، وانحر النُّسُك"[٧].

عن أبي جعفر: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ}، قال: الصلاة; وقال عكرمة: الصلاة ونحر النُّسُك"[٨].

عن عطاء:" {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: تصلي وتنحر"[٩].

قال قتادة:" هي صلاة الأضحى"[١٠].

الثالث: معناه: اشكر ربك ، قاله عكرمة[١١].

الرابع: معناه: فصل وادع ربك وسله. قاله الضحاك[١٢].

عن الضحاك: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: صلّ لربك وسل"[١٣].

قال ابن كثير-في تفسير الآية-:" أي : كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهرُ الذي تقدم صفته - فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونَحْرَك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى :{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام : ١٦٢، ١٦٣]"[١٤].

وقال الزمخشري:" المعنى: أعطيت مالا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك، ومعطى ذلك كله أنا إله العالمين، فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان: إصابة أشرف عطاء وأوفره، من أكرم معط وأعظم منعم، فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه، وشرفك وصانك من منن الخلق، مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت، مخالفا لهم في النحر للأوثان"[١٥].

قوله تعالى:{وَانْحَرْ} [الكوثر : ٢]، أي:" واذبح ذبيحتك لله وعلى اسمه وحده"[١٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَانْحَرْ} [الكوثر : ٢]، وجوه:

أحدها: اذبح يوم النحر، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[١٧]، وبه قال الحسن[١٨]، وابن جبير[١]، وحجاج[٢]، وعكرمة[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، وعطاء[٦]، وعكرمة[٧]، وابن زيد[٨]، زيد[٨]، والجمهور[٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٢) انظر: تفسير عبدالرزق(٣٧١٦)ً٤٦٦/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٢):ص٣٤٧٠/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٣٦٩/٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(١٠) تفسير عبدالرزق(٣٧١٦):ً٤٦٦/٣.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٥/٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٥/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٥٥/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٥٠٢/٨-٥٠٣.
(١٥) الكشاف: ٨٠٧/٤.
(١٦) التفسير الميسر: ٦٠٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤.

قال مقاتل: يعني:" البدن يوم النحر فإن المشركين لا يصلون ولا يذبحون لله- عز وجل-"[١٠].

عن ابن عباس: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: الصلاة المكتوبة، والنحر: النسك والذبح يوم الأضحى"[١١].

عن ابن عباس:" {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، يقول: اذبح يوم النحر"[١٢].

عن عكرمة: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: نحر النسك"[١٣].

قال ابن زيد:" نحر البُدن"[١٤].

قال مجاهد:" مناحر البُدن بِمِنًى "[١٥].

عن مجاهد: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: الصلاة المكتوبة، ونحر البُدن"[١٦].

عن مجاهد، وعطاء، وعكرمة قوله: {وَانْحَرْ}، قالوا: نحر البدن بمنى"[١٧].

عن سعيد بن جُبير وحجاج أنهما قالا في قوله: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: صلاة الغداة بجمع، ونحر البُدن بمنًى"[١٨].

عن عطاء: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: صلاة الفجر، وانحر البدن"[١٩].

عن قتادة: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: نحر البُدن، والصلاة يوم النحر"[٢٠].

قال قتادة:" صلاة الأضحى، والنحر: نحر البُدن"[٢١].

عن الحسن: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: الذبح"[٢٢].

قال النحاس: هذا القول" عليه أكثر التابعين، قال الحسن وعطاء: أي: صلّ العيد وانحر البدن، وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه وبعض أهل النظر يميل إليه لأنه ظاهر المعنى أي انحر البدن، ولا تذبحها، وبعض الفقهاء يردّه لأن صلاة العيد ليست بفرض عند أحد من المسلمين، الضحية ليست بواجبة عنه أكثر العلماء كما روي أن أبا بكر وعمر كانا لا يضحيّان مخافة أن يتوهّم الناس أنّها واجبة، وكذا ابن عباس قال: ما ضحّيت إلا بلحم اشتريته"[٢٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٣):ص٣٤٧٠/١٠.
(٢)انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤،٦٥٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٩) انظر: زاد المسير: ٤٩٨/٤. حكاه عن الجمهور.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٨٠/٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٢٢) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٢٣) إعراب القرآن: ١٨٩/٥.

الثاني: وضع اليمنى على اليسرى عند النحر في الصلاة. رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس[١]، وهو قول عليّ -رضي الله عنه-[٢]، وبه قال أبو القموص[٣]، والشعبي[٤].

قال ابن كثير:" وقيل : المراد بقوله :{وَانْحَرْ} وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر. يروى هذا عن علي، ولا يصح. وعن الشعبي مثله"[٥].

عن أبي الجوزاء عن ابن عباس : "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر"[٦].

عن علي -رضى الله عنه- :{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة"[٧].

عن علي -رضى الله عنه- :"{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: وضع اليد على اليد في الصلاة"[٨].

قال علي:" وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى، ثم وضعهما على صدره"[٩].

عن أبي القموص، زيد بن علي العبدي :"{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: وضع اليد على اليد في الصلاة"[١٠].

واختاره النحاس، وقال:" اختلف العلماء في معناها، فمن أجلّ ذلك: ما حدّثنا محمد بن أحمد بن جعفر قال: ثنا أبو بكر بن شيبة ثنا وكيع عن يزيد بن أبي زيادة بن أبي الجعد عن عاصم الجحدري عن عقبة بن ظهير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله جلّ وعزّ: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة.

قال النحاس: "وقد اختلف عنه في ذلك، فروي عنه أنه قال: يضع اليمين على الساعد الأيسر على صدره، وعنه وعن أبي هريرة يجعلهما تحت السرّة، وهذا مذهب الكوفيين، ويحتجّ للقول الأول أنه أشبه بالآية، لأن معنى وانحر، أي: اجعل يدك نحو نحرك، وقد روى سفيان لشعبة عن عاصم بن كليب عن ابنه عن وائل بن حجر. قال: رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم اجعل يدك نحو نحرك، وقد روى سفيان وشعبة عن عاصم بن أنس عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على اليسرى في الصلاة.

قال النحاس: فعلى هذا القول: {فصلّ لربك}، أي: الصلوات كلّها، {وانحر}: اجعل يدك نحو نحوك"[١١].

الثالث: يعني : ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة، قاله أبو جعفر الباقر[١٢].

عن جابر، عن أبي جعفر :"{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، الصلاة، وانحر: برفع يديه أول ما يكبر في الافتتاح"[١٣].

عن قبيصة بن هلب، عن أبيه، قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب بإحدى يديه على الأخرى في الصلاة"[١٤].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ٣١١/١٠، وزاد المسير: ٤٩٨/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥١/٢٤-٦٥٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤-٦٥٢.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٨.
(٥) تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٨.
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١١/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤-٦٥٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤-٦٥٢.
(١١) إعراب القرآن: ١٨٨/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(١٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١١/١٠. وقال:" «هلب»: لقب، وأسمه: يزيد بن قتادة".

عن قبيصة بن هلب، عن أبيه، قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم واضعا يمينه على شماله في الصلاة"[١].

عن وائل بن حجر، قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة قريبا من الرفع، ويرفع يديه حتى يبلغا أذنيه"[٢].

عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وهو يصلي واضعا يده اليسرى على اليمنى فنزع اليسرى عن اليمنى ووضع اليمنى على اليسرى"[٣].

وروي عن مقاتل بن حيان، عن أصبغ ابن نباتة، عن علي بن أبي طالب، قال: "ما نزلت هذه السورة على النبي -صلى الله عليه وسلم-: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)} [الكوثر : ١ - ٢]، قال رسول الله: «يا جبريل ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي» ؟ فقال: ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا تحزمت للصلاة ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت، فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع، وإن لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة"[٤]. [وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رفع الأيدي في الصلاة من الاستكانة»، قلت: فما الاستكانة؟ قال: «ألا تقرأ هذه الآية: {فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}، قال: هو الخضوع]"[٥].

عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنّه كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبّر ورفع يديه حذو منكبيه، ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته وأراد أن يركع، ويضعه إذا رفع من الركوع، ولا يرفع يديه في شيء من صلاته وهو قاعد"[٦].

عن محمد بن إسماعيل السلمي، قال: "صلّيت خلف أبي عارم- أي النعمان- فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت ما هذا؟ فقال: صليت خلف حماد بن زيد فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ فقال: صليت خلف أيوب السجستاني فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صلّيت إلى جنب عطاء بن أبي رياح فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صليت خلف أبي بكر الصديق فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صلّيت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع"[٧].

وعن سليمان التيمي: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر : ٢]، قال: "يعني: وأرفع يديك بالدعاء إلى نحرك"[٨].

الرابع: أن المعنى: صل لله، وانحر لله، فإن ناساً يصلون لغيره، وينحرون لغيره، قاله محمد بن كعب القرظي[٩].

عن أبي صخر، عن محمد بن كعب القرظي، أنه كان يقول في هذه الآية: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، يقول: إن ناسا كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد، فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لي"[١٠].

---

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١١/١٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(٤) إلى هنا أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٨):ص٣٤٧٠/١٠.
(٥) هذه الزيادة في الكشف والبيان: ٣١٢/١٠، وانظر: كنز العمال: ٢/ ٥٥٧، ح ٤٧٢١، وتاريخ بغداد: ١٤/ ٤٢٢.
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١٢/١٠.
(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١٢/١٠.
(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٣/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.

قال النحاس: هذا أبين الأقوال" -وهو مذهب محمد بن كعب- قال: أخلص صلاتك لله وانحر له وحده. وهو قول حسن لأن الله جل وعز عرفه ما أكرمه به وأعطاه إياه فأمره أن يشكره على ذلك لئلا يفعل كما يفعل المشركون وأن تكون صلاته خالصة لله وحده ويكون نحره قاصدا به ما عنده الله جلّ وعزّ لا كما يفعل الكفار"[١].

الخامس: أنها أنزلت يوم الحديبية، حين حصر النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وصُدّوا عن البيت، فأمره الله أن يصلي، وينحر البُدن، وينصرف، ففعل. وهذا قول سعيد بن جبير[٢].

عن سعيد بن جُبير، قال: "كانت هذه الآية، يعني: قوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، يوم الحديبية، أتاه جبريل عليه السلام فقال: انحر وارجع، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطب خطبة الفطر والنحر، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البُدن فنحرها، فذلك حين يقول: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}"[٣].

السادس : أنه أراد واستقبل القبلة في الصلاة بنحرك ، قاله أبو الأحوص[٤]، والضحاك[٥]، والكلبي[٦]، والفراء[٧]، وأنشد الأخير قول الشاعر[٨]:

أَبَا حَكَمٍ هَا أَنْتَ عَمُّ مُجَالِدٍ ... وَسَيِّدُ أَهْلِ الأَبْطُحِ المُتَنَاحِرِ

أي: المتقابل.

قال الفراء:" وسمعت بعض العرب، يقول: منازلنا تتناحر، هذا بنحر هذا، أي: قبالته"[٩].

قال النحاس:" وليس هذا قول أحد من المتقدمين"[١٠].

السابع: معناه: ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل، وأبرز نحرك، يعني به الاعتدال. رواه ابن ابي حاتم عن عطاء[١١].

وذكر الثعلبي عن واصل بن السائب، عن عطاء:" أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدوا نحره"[١٢].

قال ابن كثير:" كل هذه الأقوال غريبة جدا، والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك ؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العيد، ثم ينحر نسكه ويقول : «من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك. ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له». فقام أبو بردة بن نيار فقال : يا رسول الله، إني نَسكتُ شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم

---

(١) إعراب القرآن: ١٨٩/٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٥/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٥٥/٢٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٥/٦.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ٣١٣/١٠.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ٣١٣/١٠.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٢٩٦/٣.
(٨)معاني القرآن" ٣/ ٢٩٦. بيت القصيد لبعض بني أسد؛ ذكر ذلك الفراء. وقد ورد البيت في: برواية (ها أنت) بدلًا من (هل أنت)، و"تهذيب اللغة" ٥/ ١٠ (نحر)، و"لسان العرب" ٥/ ١٩٧، و"تاج العروس" ٣/ ٥٥٨، و"تفسير الطبري:٦٩٦/٢٤، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٥٦، و"الكشف والبيان" ٣١٣/١٠، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٤٧، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ١٣٠، و"شرح أبيات معاني القرآن" ص ١٧٤ س ٣٨٧.
موضع الشاهد: يقال منازلهم تتناحر أي هذا ينحر هذا أي قُبالته.
والمعنى: الأبطح: المتسع العريض، وأبطح الوادي: حصاه اللين في بطن المسيل.
والجلد: القوة والشدة. "شرح أبيات معاني القرآن". المرجع السابق.
(٩) معاني القرآن: ٢٩٦/٣.
(١٠) إعراب القرآن: ١٨٩/٥.
(١١) كم في تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٨.
(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٣١٣/١٠.

يشتهى فيه اللحم. قال : «شاتك شاة لحم». قال : فإن عندي عناقا هي أحب إليَّ من شاتين، أفتجزئ عني ؟ قال : «تجزئك، ولا تجزئ أحدا بعدك»[1]"[2].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له، وخصك به، من إعطائه إياك الكوثر، وإنما قلت: ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بما أكرمه به من عطيته وكرامته، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، فكان معلوما بذلك أنه خصه بالصلاة له، والنحر على الشكر له، على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه، بإعطائه إياه الكوثر، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض، وبعض النحر دون بعض وجه، إذ كان حثا على الشكر على النِّعَم.

فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك يا محمد الكوثر، إنعاما منا عليك به، وتكرمة منا لك، فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك، خلافا لما يفعله من كفر به، وعبد غيره، ونحر للأوثان"[3].

قال ابن كثير:" وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى : محمد بن كعب القرظي، وعطاء "[4].

القرآن

{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} [الكوثر : ٣]

التفسير:

إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور، هو المنقطع أثره، المقطوع من كل خير.

عن ابن عباس: " {إِنَّ شَانِئَكَ}، يقول: عدوك"[5].

قال أبو عبيدة:" {إِنَّ شانِئَكَ}، أي: مبغضك"[6].

قال الطبري: يقول:" إن مبغضك يا محمد وعدوك هو الأقلّ والأذلّ المنقطع دابره، الذي لا عقب له"[7].

قال ابن كثير:" أي : إن مبغضك - يا محمد - ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكْرُه "[8].

قال السعدي:" أي: مبغضك وذامك ومنتقصك {هُوَ} المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر. وأما محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الكامل حقًا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والأتباع صلى الله عليه وسلم"[9].

وفي معنى: {الْأَبْتَرُ}، خمسة وجوه :

أحدها : أنه الحقير الرقيق الذليل، قاله قتادة[10]، والكلبي[11].

---

(١)رواه البخاري في صحيحه برقم (٩٨٣) من حديث البراء، رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٨-٥٠٤.

(٣) تفسير الطبري: ٦٥٥/٢٤-٦٥٦.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٥١٥):ص٣٤٧٠/١٠-٣٤٧١.

(٦) مجاز القرآن: ٣١٤/٢.

(٧) تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٨.

(٩) تفسير السعدي: ٩٣٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٧٢١):ص٤٦٧/٣. ورواية الطبري، بلفظ: «الحقير الذليل».

(١١) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٧٢٠):ً٤٦٧/٣.

قال الكلبي: " هو العاص بن وائل، قال: إن شانئ محمدا، وهو الأبتر وأنه ليس له عقب، قال الله تعالى: {إن شانئك هو الأبتر} [الكوثر: ٣] الحقير الرقيق الذليل"[١].

الثاني : معناه: الفرد الوحيد ، قاله عكرمة[٢].

الثالث : أنه الذي لا خير فيه حتى صار مثل الأبتر، حكاه الماوردي[٣].

قال سهل بن عبدالله: أي:" عن خير الدارين أجمع"[٤].

قال النحاس:" أي: المنقطع الذّكر من الخير لا أحد يا قوم بدينه، ولا يذكره بخير. فكان هذا من علامات نبوته صلّى الله عليه وسلّم أنه خبر بما لم يقع فكان كما أخبر به، وقد قيل: لما أنزل الله: {إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}، لم يولد له بعد ذلك، والأول أصحّ، وأصله من بتره أي قطعه"[٥].

الرابع : أن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده ، قد بتر فلان، فلما مات لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابنه القاسم بمكة ، وإبراهيم بالمدينة، قالوا بتر محمد، فليس له من يقوم بأمره من بعده ، فنزلت الآية ، قاله إبراهيم[٦]، وشمر بن عطية[٧]، والسدي[٨]، وابن زيد[٩]، والكلبي[١٠].

قال أبو عبيدة:" {الْأَبْتَرُ}: الذي لا عقب له"[١١].

قال الفراء:" كانوا يقولون: الرجل إذا لم يكن له ولد ذكر- أبتر-، أي: يموت فلا يكون له ذكر. فقالها بعض قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال الله تبارك وتعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ} مبغضك، وعدوك، {هُوَ الأَبْتَرُ} الذي لا ذكر له بعمل خير، وأما أنت فقد جعلت ذكرك مع ذكرى، فذلك قوله: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح : ٤] "[١٢].

قال السدي: "كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل: بتر فلان، فلما مات ولد النبي صلى الله عليه وسلم قال العاصي بن وائل: بتر: والأبتر الفرد"[١٣].

عن ابن زيد، في قوله: "{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}، قال: الرجل يقول: إنما محمد أبتر، ليس له كما ترون عقب، قال الله: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}"[١٤].

قال ابن قتيبة:" أي: إن مُبغضَكَ، لا عَقِب له، وكانت قريش قالت: "إن محمدًا لا ذَكَرَ له؛ فإذا مات: ذهب ذِكْرُه"؛ فأنزل الله هذا، وأنزل: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}"[١٥].

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- دخل المسجد الحرام من باب بني سهم بن عمرو بن هصيص، وأناس من قريش جلوس في المسجد فمضى النبي- صلى الله عليه وسلم-، ولم يجلس حتى خرج من باب الصفا، فنظروا إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- حين خرج ولم يروه حين دخل، ولم يعرفوه، فتلقاه العاص بن وائل السهمي بن هشام ابن سعد بن سهم على باب الصفا، وهو يدخل، وكان النبي- صلى الله عليه وسلم- قد توفي ابنه عبد الله،

---

(١) تفسير عبدالرزاق(٣٧٢٠):٣/٤٦٧.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٥٦، وتفسير ابن كثير: ٨/٥٠٥.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٥٦.
(٤) تفسير التستري: ٢٠٧.
(٥) إعراب القرآن: ٥/١٨٩.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٧):ص١٠/٣٤٧١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٦٥٧.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٤):ص١٠/٣٤٧٠-٣٤٧١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٦٥٧.
(١٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٧٢٠):٣/٤٦٧.
(١١) مجاز القرآن: ٢/٣١٤.
(١٢) معاني القرآن: ٣/٢٩٦.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥١٤):ص١٠/٣٤٧٠-٣٤٧١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٤/٦٥٧.
(١٥) غريب القرآن: ٥٤١.

وكان الرجل إذا مات ولم يكن له من بعده ابن يرثه سمي: الأبتر، فلما انتهى العاص إلى المقام، قالوا: من الذي تلقاك؟ قال: الأبتر. فنزلت: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر : ٣]، يعني: إن مبغضك هو الأبتر، يعني: العاص ابن وائل السهمي، هو الذي أبتر من الخير، وأنت يا محمد ستذكر معي إذا ذكرت فرفع الله- عز وجل- له ذكره في الناس عامة، فيذكر النبي- صلى الله عليه وسلم- في كل عيد للمسلمين في صلواتهم، وفي الأذان، والإقامة، وفي كل موطن حتى خطبة النساء، وخطبة الكلام، وفى الحاجات"[١].

عن الزهري، قال: "أول امرأة تزوجها رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. تزوجها في الجاهلية، وأنكحه إياها أبوها خويلد بن أسد. فولدت لرسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم: القاسم، به كان يكنى، والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. رضي الله عنهم"[٢].

قال ابن إسحاق، قال: "فتزوجها رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، فولدت له قبل أن ينزل عليه الوحي ولده كلهم: زينب، وأم كلثوم، ورقية، وفاطمة، والقاسم، والطاهر، والطيب، فأما القاسم، والطاهر، والطيب، فهلكوا قبل الإسلام. وبالقاسم كان يكنى. وأما بناته فأدركن الإسلام، وهاجرن معه، واتبعنه وآمن به"[٣].

عن مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: "أكبر ولد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. قال مصعب: هم هكذا: الأول فالأول، ثم مات القاسم، وهو أول ميت من ولده، مات بمكة، ثم مات عبد الله، ثم بلغت خديجة خمسا وستين سنة، ويقال خمسين سنة. وهو أصح"[٤].

الخامس : أن الله تعالى لما أوحى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ودعا قريش إلى الإيمان، قالوا ابتتر منا محمد، أي: خالفنا وانقطع عنا، فأخبر الله تعالى رسوله أنهم هم المبترون ، قاله ابن عباس[٥]، وعكرمة[٦]، وشهر بن حوشب[٧].

عن عكرمة، في هذه الآية: "{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا}، قال: نزلت في كعب بن الأشرف، أتى مكة فقال له أهلها: نحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه، ونحن أهل الحجيج، وعندنا منحر البدن، قال: أنتم خير. فأنزل الله فيه هذه الآية، وأنزل في الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَر}"[٨].

قال عكرمة: "لما أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قالت قريش: بَتِرَ محمد منا، فنزلت: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ}، قال: الذي رماك بالبتر هو الأبتر"[٩].

عن عكرمة، عن ابن عباس قال: "لما قَدِم كعب بن الأشرف مكة أتَوْه، فقالوا له: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا؟ قال: بل أنتم خير منه، فنزلت عليه: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ}، قال: وأنزلت عليه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} ... إلى قوله: {نَصِيرًا}"[١٠].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٨٠/٤.
(٢) دلائل النبوة للبيهقي: ٦٨/٢-٦٩.
(٣) دلائل النبوة للبيهقي: ٦٨/٢-٦٩.
(٤) دلائل النبوة للبيهقي: ٧٠/٢-٧١.
(٥) انظر: الطبري: ٦٥٨/٢٤.
(٦) انظر: الطبري: ٦٥٧/٢٤-٦٥٨، والنكت والعيون: ٣٥٦/٦.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٥٦/٦.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٤-٦٥٨.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٥٨/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٥٨/٢٤.

قال الزجاج:" {شَانِئَكَ}، مبغضك، وهذا هو العاص بن وائل دخل النبي عليه السلام وهو جالس فقال: هذا الأبتر، أي هذا الذي لا عقب له، فقال اللّه تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ} يا محمد {هُوَ الْأَبْتَرُ}، فجائز أن يكون هو المنقطع العقب. وجائز أن يكون هو المنقطع عنه كل خير. و«البتر»: استئصال القطع"[١].

قال ابن كثير:" الأبتر: الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد"[٢].

وقال الزمخشري: المعنى:" إنَّ من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم {هُوَ الْأَبْتَرُ} لا أنت، لأنّ كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوع على المنابر والمنار، وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك، ولك في الآخرة مالا يدخل تحت الوصف، فمثلك لا يقال له أبتر: وإنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة، وإن ذكر ذكر باللعن، وكانوا يقولون: إنّ محمدا صنبور[٣]: إذا مات مات ذكره. وقيل: نزلت في العاص بن وائل، وقد سماه الأبتر، والأبتر: الذي لا عقب له. ومنه:
الحمار الأبتر الذي لا ذنب له"[٤].

واختلف في المراد من قريش بقوله: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر : ٣]، على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه أبو لهب ، قاله عطاء[٥].

قال عطاء : "نزلت في أبي لهب، وذلك حين مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال : بُتِرَ محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك :{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ}"[٦].

الثاني : أبو جهل، قاله ابن عباس[٧]، وعطاء-أيضا-[٨].

الثالث : أنه العاص بن وائل، قاله ابن عباس-أيضا-[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، ومجاهد[١١]، وقتادة[١٢]، وعكرمة[١٣]، والكلبي[١٤].

قال السمعاني:" أكثر المفسرين أن المراد به هو العاص بن وائل السهمي، كان إذا ذكر له رسول الله قال: دعوا ذكره، فإنه أبتر يعني: أنه لا ولد له"[١٥].

قال سعيد بن جبير:" عدوّك العاص بن وائل انبتر من قومه"[١٦].

---

(١) معاني القرآن: ٣٧٠/٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٥/٨.
(٣)ذكر في القاموس معانيه: الرجل الفرد الضعيف الذليل بلا أهل وعقب وناصر.
(٤) .
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٥٦/٦، وزاد المسير: ٤٩٨/٤.
(٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٨.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٥٦/٦.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٦):ص٣٤٧١/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤، وزاد المسير: ٤٩٨/٤.
(١١) انظر: زاد المسير: ٤٩٨/٤.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٤٩٨/٤.
(١٣)انظر: النكت والعيون: ٣٥٦/٦.
(١٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٧٢٠):ً٤٦٧/٣.
(١٥) تفسير السمعاني: ٢٩٣/٦.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٤.

عن مجاهد: "{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}، قال: العاص بن وائل، قال: أنا شانئٌ محمدا، ومن شنأه الناس فهو الأبتر"[١].

قال قتادة:" هذا العاص بن وائل، بلغنا أنه قال: أنا شانئُ محمد"[٢].

عن قتادة: "{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}، قال: هو العاص بن وائل، قال: أنا شانئٌ محمدا، وهو أبتر، ليس له عقب، قال الله: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}، قال قتادة: الأبتر: الحقير الدقيق الذليل"[٣].

وروي عن محمد بن علي، قال: "كان القاسم بن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، قد بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيب، فلما قبضه الله، عز وجل، قال عمرو بن العاص: لقد أصبح محمد أبتر من ابنه. فأنزل الله تعالى على نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم-: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١]، عوضا يا محمد بن نصيبك بالقاسم، {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} [الكوثر : ٢ - ٣]"[٤].

الرابع: أنه عنى به جماعة من قريش، وهم الذين قالوا: ابتتر منا محمد، أي: خالفنا وانقطع عنا. قاله ابن عباس-في رواية-[٥]، وعكرمة-أيضا-[٦].

الخامس : أنه عقبة بن أبي معيط. قاله إبراهيم[٧]، وشمر بن عطية[٨].

عن شهر بن عطية عن إبراهيم، قال:" كان عقبة بن أبي معيط، يقول: إنه لا يبقى النبي صلى الله عليه وسلم ولد، وهو أبتر. فأنزل الله فيه: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر : ٣]"[٩].

عن شمر بن عطية، قال: "كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبيّ صلى الله عليه وسلم ولد، وهو أبتر، فأنزل الله فيه هؤلاء الآيات: {إِنَّ شَانِئَكَ}: عقبة بن أبي معيط، {هُوَ الأَبْتَرُ}"[١٠].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مُبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأقلّ الأذلّ، المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه"[١١].

قال ابن كثير:" وهذا يَعُمُّ جميعَ من اتصفَ بذلك ممن ذكر، وغيرهم"[١٢].

فوائد السورة الكريمة:

١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- تأكيد أحاديث الكوثر وأنه نهر في الجنة.

٣- وجوب الإخلاص في العبادات كلها لاسيما الصلاة والنحر.

٤- مشروعية الدعاء على الظالم.

«آخر تفسير سورة (الكوثر)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٤-٦٥٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٤.

(٤) رواه البيهقي في "دلائل النبوة": ٦٩/٢-٧٠. وقال:" كذا روي بهذا الإسناد، وهو ضعيف. والمشهور أن الآية نزلت في أبيه".

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٤.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٧):ص٣٤٧١/١٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٤، وزاد المسير: ٤٩٨/٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥١٧):ص٣٤٧١/١٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٤.

(١١) تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الكافرون»

«سورة الكافرون»: هي السورة التاسعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الماعون»، وقبل «سورة الفيل»، آياتها ست بالإجماع. وكلماتها ثمان وعشرون. وحروفها أربع وتسعون. فواصل آياتها على: «النون»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الكافرون»:

عنونت هذه السورة في المصاحف وفي معظم التفاسير[٢]، «سورة الكافرون» بإضافة «سورة» إلى «الكافرون» وبثبوت «واو» الرفع في «الكافرون»، على حكاية لفظ القرآن الواقع في أولها.

ووقع في بعض كتب التفسير[٣]: «سورة الكافرين» بياء الخفض في لفظ «الكافرين» بإضافة «سورة» إليه أن المراد: سورة ذكر الكافرين، أو نداء الكافرين.

وجه تسميتها سورة «الكافرون»، لوقوع لفظ: «الكافرون» في بداية السورة، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون : ١].

١-سورة «قل يا أيها الكافرون»:

سميت في كلام الصحابة[٤]، وبعض كتب التفسير: سورة «قل يا أيها الكافرون»، وبذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»[٥]. وهي تسمية للسورة بأول آية منها.

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «المقشقشة»:

تسمى هي و«سورة الإخلاص»: المقشقشتين، لأنهما تقشقشان من الشرك والنفاق، أي: تبرئان منه، يقال: قشقش: المريض إذا صح وبرأ[٦].

روي عن زرارة بن أوفى، قال: "كانت هذه السورة تسمى: المقشقشة"[٧].

عن أبي عمرو بن العلاء، قال: " كانت {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} تسمى المقشقشة، أي: أنها تبرئ من الشرك، ويقال: قشقش البعير إذا رمى بجرته"[٨].

قال أبو عبيدة: " {قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، يقال لهما: «المشقشتان»، ومعناه المبرّئتان من الكفر والشكّ والنفاق كما يقشقش الهناء الجرب فيبرئه"[٩].

وقد وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير، وذكرها الفيروزآبادي في «البصائر»[١٠].

٢-سورة «الإخلاص»:

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٥٩/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٢٩/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٦٩/٥، والكشف والبيان: ٣١٤/١٠، والنكت والعيون: ٣٥٧/٦، والوسيط للواحدي: ٥٦٤/٤، وتفسير البغوي: ٥٦١/٨، والكشاف: ٨٠٨/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣١/٥، وزاد المسير: ٤٩٩/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٢٣/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٢٤/٢٠، وغيرها.

(٣) ورد الاسم بهذه الصيغة في : الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٧٣/١٢. روح البيان: ٥٢٦/١٠، كما جاء في بعض كتب علوم القرآن كإعراب القرآن للنحاس: ١٩٠/٥.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٨/٦.

(٦) انظر: اللسان: ص٣٣٦/٦، مادة«قشش».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٠):ص٣٤٧١/١٠.

(٨) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"(٢٢٩٢):ص١٣٣/٤.

(٩) مجاز القرآن: ٦/١.

(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

وتسمى أيضا «سورة الإخلاص»، كما وردت في بعض كتب التفسير[١]، ووجه تسميتها بذلك، لأنها منها إخلاص العبادة والدين، كما أن «قل هو الله أحد» في الإخصلاص والتوحيد واجتماع النفاق منهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما[٢].

وبذلك يكون هذان الاسمان« المقشقشة، والإخلاص» مشتركين بينها وبين سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وقد ذكر في سورة براءة أن سورة براءة تسمى المقشقشة لأنها تقشقش، أي: تبرئ من النفاق فيكون هذا مشتركا بين السور الثلاث فيحتاج إلى التمييز.

٣-سورة «العبادة»:

سماها بهذا الاسم السخاوي في «جمال القراء»[٣]، ونقلها عنه السيوطي[٤]، والألوسي في تفسيره،[٥] وفي الفتوحات وردت تسميتها بسورة «المعابدة»[٦]، فلعله تصحيف من «العبادة»، أو أن اللفظ من مشتقات «العبادة».

ووجه تسميتها بسورة «العبادة»، لأنها اشتملت على امر الله تعالى لرسوله-صلى الله عليه وسلم- بأن يعلن للمشركين بأنه لا يعبد ما يعبدون من الأصنام والأوثان والأحجار.

٤-سورة «المنابذة»:

ورد هذا الاسم عند الرازي[٧]، دون أن يعلل وجه تسميتها بذلك، وهو اجتهاد لم يثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-.

٥-سورة «الدين»:

وفي «بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي تسمى «سورة الدين»[٨]، ، وعلل تسميتها: لقوله تعالى: {وَلِيَ دِينِ} [الكافرون : ٦].

ووجد في مصحف نسخ سنة (١٢٥٧هـ) سماها سورة«الجحد»[٩]، ولم أجده عند أحد من المفسرين.

وجميع هذه الأسماء من اجتهاد العلماء، استنبطوها من المعاني التي تضمنتها السورة، أو للفظ ورد فيها، ولم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت ذلك.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قله ابن عباس[١٠]، وابن مسعود[١١]، والحسن[١٢]، وعكرمة[١٣]، والجمهور[١٤].

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة: {قل يا أيها الكافرون} بمكة"[١٥].

الثاني: أنها مدنيّة، في قول ابن الزبير[١]، وقتادة[٢]، والضحاك[٣]. وهو أحد قولي ابن عباس[٤]. عباس[٤].

---

(١) وردت هذه التسمية عند الرازي في "مفاتيح الغيب": ٣٢٣/٣٢، والألوسي في "روح المعاني": ٤٨٤/١٥.
(٢) انظر الفتوحات، للجمل: ٥٩٦/٤.
(٣) انظر: جمال القراء: ٢٠٢/١.
(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٩٦/١.
(٥) انظر: روح المعاني: ٤٨٤/١٥.
(٦) انظر: الفتوحات: ٥٩٦/٤.
(٧) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٢٣/٣٢.
(٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.
(٩) مصحف مخطوط في جامعة الإمام رقم(٦٨٩٢).
(١٠) انظر: الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦، وزاد المسير: ٤٩٩/٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦، وزاد المسير: ٤٩٩/٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٤٩٩/٤، و المحيط في التفسير: ٥٥٨/١٠.
(١٥) الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

عن ابن الزبير، قال: "أنزلت بالمدينة: {قل يا أيها الكافرون}"[٥].
قال ابن عطية:" هي مكية إجماعا"[٦].
قال أبو حيان:" هذه مكية في قول الجمهور"[٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه فى السورة السابقة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعبادته، والشكر له على نعمه الكثيرة، بإخلاص العبادة له، وفى هذه السورة التصريح بما أشير إليه فيما سلف[٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تعظم مقاصد سورة الكافرون، لأنها تدعو المسلمين إلى البراءة من الشرك والضلال والثبات على الدين والعقيدة الصحيحة، وتتمثل مقاصد سورة الكافرون الإجمالية في الأمر بالتبرؤ من عبادة الكافرين، وأن يخاطبوا إذلالاً لهم واعزازاً لدين الله: إن رضيتم بدينكم، فقد رضينا بديننا، لكم جزاء دينكم، ولنا جزاء ديننا.

وقد جاءت مقاصد «سورة الكافرون» التفصيلية، كالتالي:

- حرص الدين الإسلاميّ على التحاور، ومحاولة تصحيح عقيدة المشركين الباطلة على الرغم من إصرارهم على الكفر، فرسالة الدين السمحة قادرة على التحاور مع الضالين ومحاججتهم للوصول إلى الحق.
- تذكير المسلمين بأنّ دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل المساومة، وأنّ عقيدة الكفّار باطلة، ومهما تعرّض الإسلام للهجمات من الأديان المختلفة، فسيكون شعار كل من آمن بالله هو ما قاله الله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون : ٦].
- بيان جوهر الإسلام، والطريقة التي كان يتعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفّار، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنّ الإسلام هو دين يقبل الحريّات فلا إكراه في الدين، ومن أراد اتباع الباطل فهو في ضلال كبير.
- توضيح لطبيعة المشركين المراوغة، وتبدل أحوالهم ما بين التنازل عن مبادئهم والتحايل عليها، وقد أشارت سورة الكافرون إلى ضعف الإيمان عند الكفّار حتى بعقيدتهم الباطلة التي أصرّوا عليها؛ لأنّها من عند أجدادهم وليس لأنّها الحق.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: يأس الكافرين من موافقة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالإسلام والأعمال، في الماضي، والمستقبل، والحال، وبيان أن كل أحد مأخوذ بماله عليه إقبال، وعليه اشتغال"[٩].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ منها: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون : ٦]، نسختها: آية السيف[١٠].

- **فضائل السورة:**

– عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) انظر: زاد المسير: ٤٩٩/٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.
(٥) الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) المحرر الوجيز: ٥٣١/٥.
(٧) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٨/١٠.
(٨) انظر: تفسير المراغي: ٢٥٤/٣٠.
(٩)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.
(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"[١].

- عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سَرِيَّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم فيختم بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال : "سلوه : لأيّ شيء يصنع ذلك ؟". فسألوه، فقال : لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "أخبروه أن الله تعالى يحبه"[٢].
- عن أنس قال : كان رجل من الأنصار يَؤمَهم في مسجد قُبَاء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، حتى يَفرُغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة. فكلَّمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئُك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتَقرأ بأخرى. فقال : ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يَرَونَ أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يَؤمهم غيره. فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر، فقال : "يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ ". قال : إني أحبها. قال : "حُبك إياها أدخلك الجنة"[٣].
- وعن أبي هريرة ﷺ قال: أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلاً يقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فقال رسول الله ﷺ: «وجبت. قلت: وما وجبت؟ قال: الجنة»[٤].
- عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة»، فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثر وأطيب»[٥].
- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[٦].
- عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «{اللَّهُ الصَّمَدُ} ثلث

---

(١) سنن الترمذي(٢٨٩٥):ص١٦/٥. وقال :"هذا حديث حسن".
(٢)صحيح البخاري برقم (٧٣٧٥)، صحيح مسلم برقم (٨١٣)، وسنن النسائي (٩٩٣).
(٣) صحيح البخاري برقم (٧٧٤)، سنن الترمذي برقم (٢٩٠١)، وقال: «غريب من حديث عبيد الله بن ثابت، وأخرجه أحمد ١٤١/٣ مختصرًا عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ - فقال: "إني أحب هذه السورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}». فقال رسول الله ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة".
(٤) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن – ما جاء في سورة الإخلاص رقم(٢٨٩٧)، ومالك في الموطأ – كتاب القرآن – ما جاء في قراءة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} رقم (٤٨٤).
(٥) أخرجه أحمد ٤٣٧/٣. قال ابن كثير في «تفسيره» ٥٤٤/٨: «تفرد به أحمد» وأخرجه الدارمي في مسنده من حديث سعيد بن المسيب بأطول من هذا، ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٤٤/٨ وقال: «مرسل جيد».
(٦) أخرجه البخاري في الأيمان – باب كيف كان يمين النبي ﷺ، ٦٦٤٣، وفي فضائل القرآن – فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٥٠١٣، ٥٠١٤، وفي التوحيد ٧٣٧٤، وأخرجه أبو داود في الصلاة ١٤٦١، والنسائي في الافتتاح ٩٩٥. وروى نحوه من حديث أبي مسعود البدري ﷺ أحمد ١٢٢/٤، وابن ماجه في الآداب – ثواب القرآن ٣٧٨٩.

القرآن»[١].

- عن أبي سعيد ﷺ قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده لتعدل نصف القرآن، أو ثلثه»[٢].
- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». فحشد من حشد، ثم خرج النبي ﷺ، فقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: «فإني سأقرا عليكم ثلث القرآن، إني لأرى هذا خبرًا جاء من السماء»، ثم خرج نبي الله ﷺ، فقال: «إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن»[٣].
- عن معاذ بن عبد الله بن خبيب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «قل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»[٤].
- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله بم نجاة المؤمن؟ قال: «يا عقبة: أخرس لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[٥]. قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني فأخذ بيدي فقال: «يا عقبة بن عامر: ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم؟» قال: قلت: بلى، جعلني الله فداك. قال: فأقرأني {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ثم قال: «يا عقبة، لا تنسهن، ولا تبت ليلة حتى تقرأهن»، قال: فما نسيتهن منذ قال: «لا تنسهن»، وما بت ليلة قط، حتى أقرأهن. قال عقبة: ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «يا عقبة، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك [٦]»[٧].
- عن عائشة -رضي الله عنها-:" أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه،

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن – باب فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٥٠١٥ وقد أخرج مسلم في صلاة المسافرين – فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٨١١، وأحمد ٤٧٧/١ – من حديث أبي الدرداء ﷺ نحوه. وكذلك روى نحوه من حديث أبي أيوب الأنصاري - رحمه الله - عنه، أخرجه أحمد ٤١٨/٥-٤١٩، والترمذي في فضائل القرآن، فضل سورة الإخلاص ٢٨٩٦.
ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: قال رسول الله ﷺ: «{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل ثلث القرآن». رواه النسائي في اليوم والليلة. انظر: «تفسير ابن كثير» ٥٤٢/٨.

(٢) أخرجها البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٤، وأحمد ١٥/٣ – وروي معنى هذا من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ، أخرجه أحمد ١٧٣/٢.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب فضل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٨١٢، والترمذي في فضائل القرآن – ما جاء في سورة الإخلاص ٢٩٠٠، وابن ماجه في الأدب ٣٧٨٧. وروي من حديث أبي بن كعب ﷺ، أو رجل من الأنصار قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فكأنما قرأ بثلث القرآن». رواه أحمد فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٤١/٨.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٥٠٨٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٤٢٨، ٥٤٢٩، والترمذي في الدعوات ٣٥٧٥. وحسنه الألباني، وأحمد ٣١٢/٥.

(٥) في هذا التوجيه الكريم: التحذير من فضول الكلام، وفضول مخالطة الأنام، والحث على صدق الإنابة والتوبة من الآثام – والله المستعان.

(٦) هذه الصفات الثلاث لا تتوفر إلا لمن وفقه للتذرع بالصبر كما قال عز وجل {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} سورة فصلت، الآية (٣٥).

(٧) أخرجه أحمد ١٥٨/٤-١٥٩، والترمذي مختصرًا وليس فيه ذكر خيرية هذه السور في الزهد – ما جاء في حفظ اللسان ٢٤٠٦، وقال: «حديث حسن».
وهذا الحديث إن صح لا يعارض ما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي سعيد بن المعلى وغيره من أن سورة الفاتحة هي أفضل وأعظم سورة في القرآن، وتكون خيرية هذه السور الثلاث بين سور القرآن ما عدا سورة الفاتحة التي هي أفضل سورة في القرآن بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، ثم يمسح ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»"[١].

- عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو، يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد». قال: «والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب»[٢].
- عن محمد الثقفي قال :" سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله ، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل ، ما لي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت بمثله فيما مضى ؟ ". قال : إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي ، مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه. قال : "وفيم ذلك ؟ " قال : كان يكثر قراءة : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " في الليل وفي النهار ، وفي ممشاه وقيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه ؟ قال : "نعم". فصلى عليه"[٣].
- عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس قال : نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مات معاوية بن معاوية الليثي ، فتحب أن تصلي عليه ؟ قال : "نعم". فضرب بجناحه الأرض ، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت ، فرفع سريره فنظر إليه ، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة ، في كل صف سبعون ألف ملك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى ؟ ". قال بحبه : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " وقراءته إياها ذاهبًا وجائيًا قائمًا وقاعدًا ، وعلى كل حال"[٤].
- عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتدأته فأخذتُ بيده ، فقلت : يا رسول الله ، بم نجاة المؤمن ؟ قال : "يا عقبة ، احْرُسْ لسانك وليسعك بيتُك ، وابْكِ على خطيئتك". قال : ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتدأني فأخذ بيدي ، فقال : "يا عقبة بن عامر ، ألا أعلمك خير ثلاث سُوَر أنزلت في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم ؟". قال : قلت : بلى ، جعلني الله فداك. قال : فأقرأني : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " ثم قال : "يا عقبة ، لا تَنْسَهُن ولا تُبتْ ليلة حتى تقرأهن". قال : فما نسيتهن منذ قال : "لا تنسهن" ، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن. قال عقبة ، ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال : "يا عقبة ، صِلْ من قطعك ، وأعْطِ من حَرَمَك ، وأعرض عمن ظلمك"[٥].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٥٠١٧) وسنن أبي داود برقم (٥٠٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٤٠٢) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٢٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٤٩٣) وسنن الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٥٧)، وسنن النسائي الكبرى كما في "تحفة الأشراف" للمزي (٩٠/٢).

(٣)مسند أبي يعلى (٢٥٦/٧)، ودلائل النبوة (٢٤٥/٥).

قال ابن كثير: ٥٢٦/٨:" وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة" من طريق يزيد بن هارون ، عن العلاء أبي محمد - وهو متهم بالوضع - فالله أعلم".

(٤)مسند أبي يعلى (٢٥٨/٧)،و دلائل النبوة (٢٤٦/٥) ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن برقم (٢٧٢) ، من طريق محبوب بن هلال به ، وساقه ابن كثير في "البداية والنهاية" من رواية البيهقي (١٤/٥) ، وقال : "منكر من هذا الوجه".

(٥)المسند (١٤٨/٤)، وسنن الترمذي برقم (٢٤٠٦) ، وفي إسناده عبيد الله بن زحر وعلى بن يزيد والقاسم كلهم ضعفاء ، قال ابن حبان في عبيد الله بن زحر : "يروي الموضوعات عن الأثبات ، وإذا روي عن علي بن

- عن أبي هريرة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "[1].[صحيح]
- عن ابن عمر:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "[2].[صحيح]
- عن علي قال: «لدغت النبي - صلى الله عليه وسلم - عقرب وهو يصلي، فلما فرغ قال: " لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره " ثم دعا بماء وملح، فجعل يمسح عليها ويقرأ: " {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»[3].[حسن]
- عن علي، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوتر بتسع سور من المفصل، قال أسود: يقرأ في الركعة الأولى {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} و {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} و {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} وفي الركعة الثانية {وَالْعَصْرِ} و {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} و {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} وفي الركعة الثالثة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}"[4].

يزيد أتى الطامات ، وإذا اجتمع في إسناده خبر عبيد الله ، وعلي بن يزيد ، والقاسم - أبو عبد الرحمن - لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم".

(١) صحيح مسلم(٧٢٦):ص٥٠٢/١.

(٢) المسند(٤٧٦٣):ص٣٨١/٨. إسناده صحيح على شرط الشيخين إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق وسماعه من جده أبي إسحاق وهو عمرو بن عبد الله السبيعي - فى غاية الإتقان للزومه إياه ومجاهد: هو ابن جبر المكي وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١ من طريق عبد الله بن رجاء، وأبي نعيم، كلاهما عن إسرائيل، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي (١٨٩٣) وابن أبي شيبة ٢٤٢/٢، والطبراني في "الكبير" (١٣٥٢٨) ، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم، عن أبي إسحاق، به.

وأخرجه النسائي في "المجتبى" ١٧٠/٢، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الجواب، عن عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، به. ورواية غير عمار بن رزيق عن أبي إسحاق بعدم ذكر إبراهيم بن مهاجر أصح وأقوى.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٣١٢٣) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، دون ذكر ركعتي المغرب.

وعبد العزيز بن عمران متروك.

وأخرجه ابن عدي في "الكامل " ٢٦٤٨/٧ من طريق يحيى بن أبي أنيسة، عن نفيع بن الحارث، عن ابن عمر، به. دون ذكر ركعتي المغرب. ويحيى بن أبي أنيسة ضعيف.

وانظر: الحديث في: مسند أحمد-أيضا- برقم (٤٩٠٩) و (٥٦٩١) و (٥٦٩٩) و (٥٧٤٢) ، وتكرر برقم وفي الباب في ركعتي الفجر: عن أبي هريرة عند مسلم (٧٢٦) ، وأبي داو (١٢٥٦) ، والنسائي ١٥٦/٢، وابن ماجه (١١٤٨) .

وعن جابر عند ابن حبان (٢٤٦٠) .

وعن أنس عند الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١.

وعن عائشة سيرد ١٨٤/٦.

وفي ركعتي الفجر والمغرب معا: عن ابن مسعود عند ابن ماجه (١١٦٦) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١.

قال السندي: قوله: "بضعا وعشرين مرة": يريد أنه كان يقرأ السورتين في الركعتين المذكورتين مرارا، لا أنه قرأهما مرة أو مرتين في عمره، ثم ترك، ويستبعد أن يكون مراده التكرار دفعة، لأن مبنى سنة الفجر على التخفيف، والله تعالى أعلم.

(٣) مجمع الزوائد(٨٤٤٥):ص١١١/٥. قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الصغير، وإسناده حسن".

(٤) المسند(٦٧٨):ص٩٧/٢-٩٨. إسناده ضعيف لضعف الحارث الأعور.

وأخرجه عبد بن حميد (٦٨) ، والبزار (٨٥١) ، ومحمد بن نصر المروزي في "مختصر قيام الليل" ص ١٣٠، وأبو يعلى (٤٦٠) ، والطحاوي ٢٩٠/١ من طرق عن إسرائيل، بهذا الإسناد.

- عن أنس «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في ركعتي الفجر: {قل يا أيها الكافرون} [الكافرون: ١]، و {قل هو الله أحد} [الإخلاص: ١]"[١].
- عبد الله بن مسعود قال: " ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين قبل صلاة الفجر، وفي الركعتين بعد المغرب بـ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١] و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]"[٢].
- عن عبد الله بن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم " يقرأ في الوتر في الركعة الأولى بـ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، وفي الثالثة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]" [٣].
- وعن أبي هريرة: "عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقرأ في الركعة الأولى من الوتر بـ : {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، وفي الثالثة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] والمعوذتين"[٤].
- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «الْعَصْرُ»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، وفي الثالثة:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{تَبَّتْ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»[٥].
- عن فروة بن نوفل، قال: أتيت المدينة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جاء بك؟» قال: قلت: لتعلمني كلمات إذا أخذت مضجعي، قال: «اقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، فإنها براءة من الشرك»[٦].
- عن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب قال: «آخر صلاة صلاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المغرب فقرأ في الركعة الأولى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى : ١]، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]»[٧].
- وعن علي «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ على المنبر : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، وفي الثالثة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]»[٨].
- عن ابن عمر قال: «صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - صلاة الفجر في سفر فقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١] و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] ثم قال: " قرأت بكم ثلث القرآن، ربعه»[٩].

---

(١) رواه البزز كما في "مجمع الزوائد"(٣٣٠٦):ص٢١٨/٢.
(٢) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٠٤٩):ص٤٦٣/٨.[إسناده ضعيف]
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٠٥٠):ص٤٦٤/٨.[إسناده ضعيف]، وانظر: مجمع الزوائد(٣٤٦٤):ص٢٤٣/٢، قال الهيثمي:" رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عبد الملك بن الوليد بن معدان وثقه ابن معين وضعفه البخاري وجماعة".
(٤) مجمع الزوائد(٣٤٦٦):ص٢٤٣/٢، قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الأوسط عن المقدام بن داود وهو ضعيف".
(٥) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٦٠):ص٣٥٦/١.[إسناده ضعيف]
(٦) مسند أبي يعلى الموصلي(١٥٩٦):ص١٦٩/٣.[إسناده ضعيف لانقطاعه]
(٧) مجمع الزوائد(٢٧٠٥):ص١١٨/٢. قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الكبير وفيه حجاج بن نصير ضعفه ابن المديني وجماعة، ووثقه ابن معين في رواية ووثقه ابن حبان".
(٨) مجمع الزوائد(٣١٥٦):ص١٩٠/٢. قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الأوسط وقال: تفرد به إسحاق بن زريق قلت: ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله موثقون".
(٩) مجمع الزوائد(٢٧١٨):ص١٢٠/٢. قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الكبير وفيه جعفر بن أبي جعفر وقد أجمعوا على ضعفه".

- عن ليث، قال: حدثني أبو محمد، قال: رمقت ابن عمر شهرا فسمعته في الركعتين، قبل صلاة الصبح يقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، قال: فذكرت له ذلك فقال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا أو خمسة وعشرين يوما يقرأ في الركعتين قبل صلاة الصبح: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وقال: «إن إحداهما تعدل بثلث القرآن، والأخرى بربع القرآن، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل بثلث القرآن، و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون} تعدل بربع القرآن»[1].
- عن ابن شهاب قال: "قراءة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح}، فإنهما يغنيان من الفقر"[2].
- عن جابر بن عبد الله، قال: "أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا بالمدينة لم يحج. ثم أذن في الناس بالخروج، فلما جاء ذا الحليفة صلى بذي الحليفة. وولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اغتسلي واستثفري بثوب وأهلي» قال: ففعلت، فلما اطمأن صدر راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر البيداء أهل، وأهللنا لا نعرفه إلا الحج وله خرجنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، والقرآن ينزل عليه، وهو يعرف تأويله، وإنما يفعل ما أمر به [ص:٢٤]. قال جابر: فنظرت بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي مد بصري، والناس مشاة وركبان، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي: «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، فلما قدمنا مكة بدأ فاستلم الركن فسعى ثلاثة أطواف ومشى أربعة، فلما فرغ من طوافه انطلق إلى المقام فقال: " قال الله {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥] فصلى خلف مقام إبراهيم ركعتين، قال جعفر: قال أبي: كان يقرأ فيهما بالتوحيد: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد} - قال: ولم يذكر ذلك عن جابر -، ثم انطلق إلى الركن فاستلمه ثم انطلق إلى الصفا فقال [ص:٢٥]: " نبدأ بما بدأ الله به {إن الصفا والمروة من شعائر الله} [البقرة: ١٥٨] " فرقي على الصفا حتى بدا له البيت، فكبر ثلاثا وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير» ثلاثا ثم دعا في ذلك ثم هبط من الصفا فمشى حتى إذا انصبت قدماه في بطن المسيل سعى، حتى إذا صعدت قدماه من بطن المسيل مشى إلى المروة، فرقي على المروة حتى بدا له البيت، فقال مثل ما قال على الصفا، فطاف سبعا، وقال: " من لم يكن معه هدي فليحل، ومن كان معه هدي فليقم على إحرامه، فإني لولا أن معي هديا لحللت، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لأهللت بعمرة، قال: وقدم علي من اليمن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «بأي شيء أهللت يا علي؟» قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك، قال: «فإن معي هديا فلا تحل»، قال علي: فدخلت على فاطمة وقد اكتحلت ولبست ثيابا صبيغا فقلت: من أمرك بهذا؟ فقالت: أبي أمرني، قال: وكان علي يقول بالعراق: فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة مستثبتا في الذي قالت، فقال: «صدقت أنا أمرتها»، قال: ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة - من ذلك بيده ثلاثا وستين - ونحر علي ما غبر، ثم أخذ من كل بدنة قطعة فطبخ جميعا فأكلا من اللحم وشربا من المرقة، فقال سراقة بن مالك بن جعشم: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد؟ قال: «لا بل للأبد، دخلت العمرة في الحج» وشبك بين أصابعه"[3].

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٧٢٠):ص٨٢/١٠.[إسناده ضعيف]
(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٩):ص٣٦/٣.
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي(٢٠٢٧):ص٢٣/٤. [إسناده صحيح]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

القرآن
{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١)} [الكافرون : ١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للذين كفروا بالله ورسوله: يا أيها الكافرون بالله.

اختلفوا في سبب نزول السورة، على ثلاثة أقوال :

أحدها: عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:" أن قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجونه ما أراد من النساء ويطأون عقبه، فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد, وكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بشر؛ فإن بغضت فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، ولك فيها صلاح قال: «وما هي؟» قال: تعبد إلهنا سنة اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة قال: «حتى أنظر ما يأتيني من ربي»، فجاء الوحي من عند الله عز وجل من اللوح المحفوظ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)} [الكافرون : ١ - ٢]، السورة، وأنزل الله تعالى: {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} [الزمر: ٦٤]، {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر : ٦٦] [الزمر: ٦٦]"[١].

الثاني: عن سعيد بن مينا مولى البَختري، قال: "لقي الوليد بن المُغيرة والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأميَّة بن خلف ، رسولَ الله ، فقالوا : يا محمد ! هلمّ فلنعبد ما تعبد ، وتعبدْ ما نعبد ، ونُشركك في أمرنا كله ، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شَرِكناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ; وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما في يديك كنت قد شَرِكتنا في أمرنا ، وأخذت منه بحظك ، فأنزل الله : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، حتى انقضت السورة [٢].

الثالث: عن وهب قال : "قالت كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، إن سرك أن نتبعك عاما ونرجع إلى ديننا عاما، فأنزل الله: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)} [الكافرون : ١ - ٢]، إلى آخر السورة"[٣].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- : "أن قريشا قالت : لو استلمت آلهتنا لعبدنا إلهك، فأنزل الله : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون : ١]، السورة كلها"[٤].

وقال مقاتل:" نزلت في المستهزئين من قريش، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قرأ بمكة : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم : ١]، فلما قرأ : {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى } [النجم : ١٩-٢٠] ألقى الشيطان على لسانه، في وسنه، فقال: تلك الغرانيق العلا، عندها الشفاعة ترتجى، فقال أبو جهل ابن هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف،

---

(١)رواه ابن أبي حاتم(١٩٥١٨):ص٣٤٧١/١٠، والطبري (٦٦٢/٢٤)، والطبراني في " المعجم الصغير " (٧٥١):ص٤٤/٢.

جميعهم من طريق أبي خلف عبد الله بن عيسى الخزاز الحداد ، ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقال الطبراني : لم يروه عن داود بن أبي هند إلا عبد الله بن عيسى ... أحاديثه أفراد كلها . انتهى.

وعبد الله بن عيسى الخزاز ضعيف عند عامة العلماء ، لا سيما رواياته عن داود بن أبي هند.

انظر ترجمته في " تهذيب التهذيب " (٣٥٣/٥).

عزاه إليه في زاد المسير: ٤٩٩/٤، وأبو صالح ليس بثقة، ورواية الكلبي وأبي صالح عن ابن عباس في التفسير ليس له أصل عنه. راجع ترجمتهما في «الميزان».

(٢) رواه ابن أبي حاتم(١٩٥١٩):ً٣٤٧١/١٠، والطبري :(٦٦٢/٢٤)، قال : حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثني سعيد بن مينا مولى البَختري به.

وسعيد بن ميناء من أوساط التابعين ، فروايته مرسلة ضعيفة.

(٣) أخجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٧٢٣):ص٤٦٩/٣، وانظر: الدر المنثور: ٦٥٥/٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٤)الدر المنثور:٨ /٦٥٥، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

والعاص بن وائل، والمستهزءون من قريش عشيا في دبر الكعبة لا تفارقنا يا محمد إلا على أحد الأمرين تدخل معك في بعض دينك ونعبد إلهك، وتدخل معنا في بعض ديننا وتعبد آلهتنا، أو تتبرأ من آلهتنا ونتبرأ من إلهك، فأنزل الله- عز وجل- فيهم تلك الساعة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون : ١]، إلى آخر السورة"[١].

والحاصل أن الآثار السابقة – وإن ضعفت أسانيد أفرادها – إلا أنها تتقوى بمجموعها ، ويشهد بعضها لبعض ، خاصة وأنه ليس في متنها ما يستنكر ، ووافقت ظاهر القرآن الكريم

قال الطبري:-في تفسير الآية-:"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة، على أن يعبد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم آلهتهم سنة، فأنزل الله معرفه جوابهم في ذلك: {قُلْ} يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة {يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} بالله"[٢].

قال السعدي:" أي: قل للكافرين معلنا ومصرحًا"[٣].

قال البيضاوي:" يعني: كفرة مخصوصين، قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون"[٤].

قال ابن كثير:" هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله :{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفارُ قريش"[٥].

القرآن

{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)} [الكافرون : ٢]

التفسير:

لا أعبد ما تعبدون من الأصنام والآلهة الزائفة.

قال ابن عباس، ومقاتل: "لا أعبد آلهتكم التي تعبدون اليوم"[٦].

قال الطبري: يقول: "{لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} من الآلهة والأوثان الآن"[٧].

قال الزجاج:" أي: لست في حالي هذه عابداً ما تعبدون"[٨].

قال أبو عبيدة:" أي: لا أعبد الآن ما تعبدون، ولا أجيبكم فيما بقي أن أعبد ما تعبدون"[٩].

قال ابن فورك:" أي: لا أعبد الأوثان وأنتم تعبدونها"[١٠].

قال السعدي:" أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهرًا وباطنًا"[١١].

قال الزمخشري:" {لا أَعْبُدُ}، أريدت به العبادة فيما يستقبل، لأن «لا» لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال، كما أن «ما» لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال"[١٢].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٨٧/٤.
(٢) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٤.
(٣) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣٤٣/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٨.
(٦) التفسير البسيط للواحدي: ٣٩١/٢٤.
(٧) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٤.
(٨) معاني القرآن: ٣٧١/٥.
(٩) مجاز القرآن: ٣١٤/٢.
(١٠) تفسير ابن فورك: ٢٨٧/٣.
(١١) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(١٢) الكشاف: ٨٠٨/٤.
قال أبو حيان:" أما حصره في قوله: لأن لا لا تدخل، وفي قوله: ما لا تدخل، فليس بصحيح، بل ذلك غالب فيهما لا متحتم". [البحر المحيط في التفسير: ٥٥٩/١٠-٥٦٠]

قال ابن كثير:" قيل : إنهم من جهلهم دَعَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال :{لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} يعني : من الأصنام والأنداد"[١].

القرآن

{وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣)} [الكافرون : ٣]

التفسير:

ولا أنتم عابدون ما أعبد من إله واحد، هو الله رب العالمين المستحق وحده للعبادة.

قال الطبري: يقول: "{وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} الآن"[٢].

قال أبو عبيدة:" ولا أنتم عابدون ما أعبد في الجاهلية والإسلام"[٣].

قال ابن فورك:" لجهلكم بوجوب إخلاص العبادة لله"[٤].

قال السعدي:" لعدم إخلاصكم في عبادته، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة"[٥].

قال ابن أبي زمنين:" أي: إنكم تعبدون الأوثان ولا تعبدون الله"[٦].

قال الواحدي:" ومعنى: {مَا أَعْبُدُ}: من أعبد، ولكنه مقابل قوله: {مَا عَبَدْتُمْ}، أي: من الأصنام. ثم حمل الثاني عليه ليتقابل"[٧].

قال ابن كثير: {مَا أَعْبُدُ} " وهو الله وحده لا شريك له. فـ {ما} –هاهنا- بمعنى: «من»"[٨].

القرآن

{وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤)} [الكافرون : ٤]

التفسير:

ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام والآلهة الباطلة.

قال الواحدي:" يعني: فيما بعد اليوم"[٩].

قال الطبري: يقول: " {وَلا أَنَا عَابِدٌ} فيما أستقبل {مَا عَبَدْتُمْ} فيما مضى"[١٠].

قال الزجاج:" أي: ولا أعبد فيما أستقبل ما عبدتم"[١١].

قال أبو عبيدة:" أي: لا أعبد الآن ما تعبدون ولا أجيبكم فيما بقي أن أعبد ما تعبدون"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : ولا أعبد عبادتكم، أي : لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه"[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٨.
(٢) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٤.
(٣) مجاز القرآن: ٣١٤/٢.
(٤) تفسير ابن فورك: ٢٨٧/٣.
(٥) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(٦) تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٩/٥.
(٧) التفسير البسيط: ٣٩١/٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٨.
(٩) التفسير البسيط: ٣٩١/٢٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٤.
(١١) معاني القرآن: ٣٧١/٥.
(١٢) مجاز القرآن: ٣١٤/٢.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٨.

قال الزمخشري:" أي: وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه، يعنى لم تعهد منى عبادة صنم في الجاهلية، فكيف ترجى منى في الإسلام"[١].

القرآن

{وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥)} [الكافرون : ٦]

التفسير:

ولا أنتم عابدون مستقبلا ما أعبد.

قال الواحدي: يعني: " فيما بعد اليوم"[٢].

قال الزمخشري:" أي: وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته"[٣].

قال الزجاج:" ولا أنتم فيما تستقبلون عابدون ما أعبد، فهذا نفي الحال، وأن يكون أيضاً فيما يستقبل، ينتقل عن الحال"[٤].

قال الطبري: يقول: " {وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ} فيما تستقبلون أبدا {مَا أَعْبُدُ} أنا الآن، وفيما أستقبل. وإنما قيل ذلك كذلك، لأن الخطاب من الله كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدّثوا به أنفسهم، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم، في وقت من الأوقات، وآيس نبي الله صلى الله عليه وسلم من الطمع في إيمانهم، ومن أن يفلحوا أبدا، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا، إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف، وهلك بعض قبل ذلك كافرا"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم، كما قال :{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} [النجم : ٢٣] فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ؛ ولهذا كان كلمة الإسلام "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أي : لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله"[٦].

قال الزمخشري:" المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون. روى أنّ رهطا من قريش قالوا: يا محمد، هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره: فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك، فنزلت، فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم، فأيسوا"[٧].

فإن قيل : ما فائدة هذا التكرار؟ قيل : فيه ثلاثة وجوه [٨]:

أحدها: أنها لتأكيد الأمر[٩]، وحسم أطماعهم فيه، قاله الفراء[١]، وابن قتيبة[٢].

---

(١) الكشاف: ٨٠٩/٤.

(٢) التفسير البسيط: ٣٩١/٢٤.

(٣) الكشاف: ٨٠٩/٤.

قال الزمخشري:" فإن قلت: فهلا قيل: ما عبدت، كما قيل: ما عبدتم؟

قلت: لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث، وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت. فإن قلت: فلم جاء على «ما» دون «من» ؟

قلت، لأن المراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل، ولا تعبدون الحق. وقيل: إن «ما» مصدرية، أى: لا أعبد عبادتكم، ولا تعبدون عبادتي".

(٤) معاني القرآن: ٣٧١/٥.

(٥) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٨-٥٠٨.

(٧) الكشاف: ٨٠٨/٤.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٥٨/٦.

(٩) كقوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٥-٦]، وكقوله تعالى: {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ

قال القشيري:" كرّر اللفظ على جهة التأكيد"[٣].

قال القرطبي:" فكان التكرار في {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}، لأن القوم كرروا عليه مقالهم مرة بعد مرة"[٤].

قال أبو حيان:" فقوله: {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ} [الكافرون : ٤]، توكيد لقوله: {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون : ٢]، وقوله: {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون : ٥] ثانيا، تأكيد لقوله: {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون : ٣] أولا. والتوكيد في لسان العرب كثير جدا، وحكوا من ذلك نظما ونثرا ما لا يكاد يحصر. وفائدة هذا التوكيد قطع أطماع الكفار، وتحقيق الإخبار بموافاتهم على الكفر، وأنهم لا يسلمون أبدا"[٥].

قال ابن قتيبة:" إنّ القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم. ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز، لأن افتتان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلى شيء- أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد...ولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذي أنزلت فيه: {قُلْ يا أَيُّهَا الكافِرُونَ (١) [الكافرون: ١]، لأنهم أرادوه على أن يعبد ما يعبدون، ليعبدوا ما يعبد، وأبدؤوا في ذلك وأعادوا، فأراد الله، عزّ وجلّ، حسم أطماعهم وإكذاب ظنونهم، فأبدأ وأعاد في الجواب. وهو معنى قوله: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)} [القلم: ٩] أي تلين لهم في دينك فيلينون في أديانهم"[٦].

الثاني: أن المعنى: {لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ} في حالي هذه، {وَلا أَنْتُمْ} في حالكم هذه، {عابِدُونَ ما أَعْبُدُ}. {وَلا أنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ} فيما أستقبل، وكذلك أنتم، فنفى عنه وعنهم ذلك في الحال والاستقبال، وهذا في قوم بأعيانهم، أعلمه الله عزّ وجلّ أنهم لا يؤمنون، فلا يكون حينئذ تكرارا، هذا قول ثعلب[٧]، والزّجّاج[٨]، ونحوه قال أبو عبيدة[٩]، والأخفش[١٠]، والمبرد[١١].

قال أبو حيان:" فزال التوكيد، إذ قد تقيدت كل جملة بزمان مغاير"[١٢].

قال ابن فورك:" معنى تكرير ذكر العبادة لتصريفها في الفوائد المختلفة وذلك لنفي عبادة المؤمنين للوثن كيف تصرفت الحال إلى ماضي أو حاضر أو مستقبل"[١٣].

قال الزجاج:" نفى عنهم العبادة في الحال للّهِ عزَّ وجلَّ وفي الاستقبال. وهذا - واللّه أعلم - في قومه. أعلمه الله أنهم لا يؤمنونَ كما قال عزَّ وجلَّ في قصة نوح: {لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ}"[١٤].

---

(٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [التكاثر : ٥-٦].

(١) انظر: معاني القرآن: ٢٨٨/٣، قال الفراء:" ومن التغليظ قوله في سورة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)} [الكافرون : ١ - ٢] مكرر، كرر فيها وهو معنى واحد"..

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن: ١٤٩، ١٥١.

(٣) لطائف الإشارات: ٧٧٧/٣.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٢٨/٢٠.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٩/١٠.

(٦) تأويل مشكل القرآن: ١٤٩، ١٥١.

(٧) انظر: زاد المسير: ٥٠٠/٤.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٣٧١/٥.

(٩) انظر: مجاز القرآن: ٢/ ٣١٤.

(١٠) ورد قوله في: "التفسير البسيط، للواحدي: ٣٩٢/٢٤، والنكت والعيون: ٦/ ٣٥٨، و"تفسير القرطبي: ٢٠/ ٢٢٨، وفتح القدير: ٥/ ٥٠٦.

(١١) ورد قوله في : تفسير القرطبي: ٢٢٨/٢٠.

(١٢) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٩/١٠.

(١٣) تفسير ابن فورك: ٢٨٧/٣.

(١٤) انظر: معاني القرآن: ٣٧١/٥.

قال النحاس:" وكان في هذا دلالة على نبوته صلّى الله عليه وسلّم لأن كل من خاطبه بهذا المخاطبة ثم لم يسلم منهم أحد، وكذا الذين خاطبهم بقولهم: {سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: ٦]"[١].

وقد علق الشوكاني حول هذا القول، فقال: "وكل هذا فيه من التكلف والتعسف ما لا يخفى على منصف، فإن جعل قوله: {لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ} للاستقبال، وإن كان صحيحًا على مقتضى اللغة العربية، ولكنه لا يتم جعل قوله: {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} للاستقبال، لأن الجملة الاسمية تفيد الدوام والثبات في كل الأوقات، فدخول المني عليها يرفع ما دلت عليه من الدوام والثبات في كل الأوقات، ولو كان حملها على الاستقبال صحيحًا للزم مثله في قوله: {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ} وفي قوله: {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}، فلا يتم ما قيل من حمل الجملتين الأخريتين على الحال، وكما يندفع هذا يندفع ما قيل من العكس، لأن الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي هي المبتدأ في كل واحد منها مخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده؛ منفية كلها بحرف واحد، وهو لفظ «لا» في كل واحد منها، فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بأن معانيها في الحال والاستقبال مختلفة[٢].

الثالث: أن المراد بقوله :{لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} نفى الفعل لأنها جملة فعلية، {وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ} نفى قبوله لذلك بالكلية ؛ لأن النفي بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل، وكونه قابلا لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضا. وهذا قول أبو العباس بن تَيمية[٣].

قال ابن كثير:"وهو قول حسن –أيضا-"[٤].

القرآن

{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)} [الكافرون : ٦]

التفسير:

لكم دينكم الذي أصررتم على اتباعه، ولي ديني الذي لا أبغي غيره.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لكم دينكم فلا تتركونه أبدا، لأنه قد ختم عليكم، وقضي أن لا تنفكوا عنه، وأنكم تموتون عليه، ولي دين الذي أنا عليه، لا أتركه أبدا، لأنه قد مضى في سابق علم الله أني لا أنتقل عنه إلى غيره"[٥].

قال الزمخشري: أي: " لكم شرككم، ولى توحيدي. والمعنى: أنى نبيّ مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تقبلوا منى ولم تتبعوني، فدعوني كفافا ولا تدعوني إلى الشرك"[٦].

قال ابن فورك: أي:" لكم جزاؤكم على عبادة الأوثان ولي جزاء على عبادة ربي، فانظروا ما مقتضى كل من الأمرين"[٧].

عن ابن زيد:" {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}، قال: للمشركين; قال: واليهود لا يعبدون إلا الله ولا يشركون، إلا أنهم يكفرون ببعض الأنبياء، وبما جاءوا به من عند الله، ويكفرون برسول الله، وبما جاء به من عند الله، وقتلوا طوائف الأنبياء ظلما وعدوانا، قال: إلا العصابة التي بقوا، حتى خرج بختنصر، فقالوا: عُزَير ابن الله، دعا الله ولم يعبدوه ولم يفعلوا كما فعلت النصارى، قالوا: المسيح ابن الله وعبدوه"[٨].

---

(١) إعراب القرآن: ١٩٠/٥.
(٢)فتح القدير: ٥/ ٥٠٧.
(٣) عزاه إليه ابن كثير في "التفسير": ٥٠٨/٨.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٨.
(٥) تفسير الطبري: ٦٦٢/٢٤.
(٦) الكشاف: ٨٠٩/٤.
(٧) تفسير ابن فورك: ٢٨٧/٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٤-٦٦٣.

قال البيضاوي: أي: " لكم دينكم الذي أنتم عليه لا تتركونه. ولي دين ديني الذي أنا عليه لا أرفضه، فليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال، اللهم إلا إذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه، وقد فسر الـ«دين» بـ«الحساب والجزاء والدعاء والعبادة»"[١].

قال أبو حيان:" أي: لكم شرككم ولي توحيدي، وهذا غاية في التبرؤ. ولما كان الأهم انتفاءه عليه الصلاة والسلام من دينهم، بدأ بالنفي في الجمل السابقة بالمنسوب إليه. ولما تحقق النفي رجع إلى خطابهم في قوله: لكم دينكم على سبيل المهادنة، وهي منسوخة بآية السيف"[٢].

قال الزجاج:" قيل: هذا قبل أن يؤمر - صلى الله عليه وسلم – بالقتال"[٣].

وقال بعض العلماء :"في هذه الألفاظ مهادنة ما وهي منسوخة بآية القتال"[٤].

قال القرطبي: قوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}" فيه معنى: التهديد، وهو كقوله تعالى:{لَنا أعْمالُنا وَلَكُمْ أعْمالُكُمْ } [القصص: ٥٥]، أي: إن رضيتم بدينكم، فقد رضينا بديننا. وكان هذا قبل الأمر بالقتال، فنسخ بآية السيف. وقيل: السورة كلها منسوخة. وقيل: ما نسخ منها شي لأنها خبر. ومعنى لكم دينكم أي جزاء دينكم، ولي جزاء ديني. وسمى دينهم دينا، لأنهم اعتقدوه وتولوه. وقيل: المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي، لأن الدين الجزاء"[٥].

قال ابن عباس: "{كم} كفركم بالله، {ولي} التوحيد والإخلاص له، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، ثم نسخ هذا التسليم بآية القتال"[٦].

قال ابن عباس: "ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة لأنها توحيد وبراءة من الشرك"[٧].

قال ابن كثير:" وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة :{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} على أن الكفر كله ملة واحدة تورثه اليهود من النصارى، وبالعكس ؛ إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به ؛ لأن الأديان - ما عدا الإسلام - كلها كالشيء الواحد في البطلان. وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس ؛ لحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يتوارث أهل ملتين شتى»[٨]"[٩].

قرأ أبو عمر: «ولي ديني» ساكنة الياء، من {لي}، ونصبها الباقون بخلاف كل واحد منهم، والقراءتان حسنتان، وقرأ سلام ويعقوب: «ديني» بياء في الوصل والوقف[١٠].

فوائد السورة الكريمة:

١- تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن الكافر من كفر أزلا والمؤمن من آمن أزلا.

٢- ولاية الله تعالى لرسوله عصمته من قبول اقتراح المشركين الباطل.

٣- تقرير وجود المفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر والشرك.

«آخر تفسير سورة (الكافرون)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣٤٣/٥.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ٥٦١/١٠.
(٣) معاني القرآن: ٣٧١/٥.
(٤) نقلا عن المحرر الوجيز: ٥٣١/٥.
(٥) تفسير القرطبي: ٢٢٩/٢٠.
(٦) التفسير البسيط للواحدي: ٣٩٥/٢٤.
(٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٥/١٠.
(٨)رواه أحمد في المسند (١٩٥/٢) وأبو داود في السنن برقم (٢٩١١).
(٩) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٨.
(١٠) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣١/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «النصر»

«سورة النصر»: هي السورة العاشرة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الحشر»، وقبل «سورة النور»، وهذا جار على رواية: «أنها نزلت عقب غزوة خيبر». وعن ابن عباس: «أنها آخر سورة نزلت من القرآن»[١]، فتكون على قوله السورة المائة وأربع عشرة –حسب ترتيب النزول-، نزلت بعد «سورة براءة»، ولم تنزل بعدها سورة أخرى.

وعدد آياتها ثلاث. وكلماتها ست وعشرون. وحروفها أربع وسبعون. فواصل آياتها على «الحاء» و«الألف». وليس في القرآن آية على «الحاء» غير {الْفَتْحُ} [النصر : ١][٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة النصر»:**

سميت في المصاحف وفي معظم التفاسير[٣]: «سورة النصر»، لذكر نصر الله فيها، قال تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر : ١]، فسميت بالنصر المعهود عهدا ذكريا.

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «إذا جاء نصر الله والفتح»:

سميت هذه السورة في كلام السلف[٤] سورة « إذا جاء نصر الله والفتح»، وعنونها البخاري في «صحيحه»[٥]، باسم: سورة « إذا جاء نصر الله»، وهي تسمية بأول آية من السورة، وذلك في قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر : ١].

وفي «روح المعاني» للألوسي، أنها تسمى سورة «إذا جاء»[٦].

٢-سورة «التوديع»:

ذكر السخاوي[٧] أنها تسمى: «سورة التوديع»، معللا: "لما فيها من الإيماء إلى وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -"[٨]. يعني: من الإشارة إلى اقتراب لحاقه بالرفيق الأعلى كما سيأتي عن عائشة.

قال الماوردي:" وهذه السورة تسمى التوديع ، عاش النبي بعدها حولاً على قول مقاتل ، وحولين على قول ابن عباس"[٩].

قال الفيروزآبادي: سميت سورة التوديع، لما فيه من بيان نعى المصطفى صلى الله عليه وسلم"[١٠].

٣-سورة «الفتح»:

---

(١)أخرجه مسلم (٣٠٢٤).

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.

(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٣٤/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٣١/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٠/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٩٣/٣، والكشف والبيان: ٣١٨/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ١٤٧١/١٢، والنكت والعيون: ٣٥٩/٦، وتفسير السمعاني: ٢٩٦/٦، وتفسير البغوي: ٥٦٥/٨، والكشاف: ٨١٠/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣٢/٥، ومفاتيح الغيب: ٣٣٤/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٢٩/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر: الروايات في مكان نزول السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٨/٦.

(٦) انظر: روح المعاني: ٤٩١/١٥.

(٧) انظر: جمال القراء: ٩٤. وعزاه الألوسي في «روح المعاني»:٤٩١/١٥ إلى ابن مسعود. ولم أقف عليه فيما عندي من المصادر.

(٨) جمال القراء: ٩٤، ونقله عنه في "الإتقان ": ١٩٦/١.

(٩) النكت والعيون: ٣٦٢/٦.

(١٠)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.

وسميت سورة «الفتح»، كما في «سنن الترمذي»[١]، وذلك لوقوع هذا اللفظ فيها فيكون هذا الاسم مشتركا بينها وبين سورة: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " أنزل بالمدينة: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}"[٢].

عن ابن الزبير قال: "أنزل: {{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ}، بالمدينة"[٣].

عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة :{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} كلها بالمدينة بعد فتح مكة، ودخولها الناس في الدين، ينعي إليه نفسه"[٤].

قال ابن عطية:" هي مدنية بإجماع"[٥].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة بإجماعهم"[٦].

قال الزمخشري:" نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدنية، وهي آخر ما نزل من السور"[٧].

قال أبو حيان:" هذه مدنية، نزلت منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر، وعاش بعد نزولها سنتين"[٨].

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: "قال لي ابن عباس: تعلم - وقال هارون: تدري - آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعا؟ قلت: «نعم، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}»، قال: صدقت"[٩].

وعن ابن عمر، قال: "نزلت هذه الآية: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق، وعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فرحلت له فركب فوقف بالعقبة واجتمع الناس فذكر الحديث في وضع الدم والربا واستدارة الزمان، ثم قال: وإنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما، وذلك أنهم كانوا يجعلون صفر عاما حراما، وعاما حلالا، وعاما حراما، وذلك النسيء. أيها الناس! من كانت عنده وديعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، أيها الناس! إنه لا يحل لامرئ من مال أخيه شيء إلا ما طابت به نفسه وذكر الحديث"[١٠].

عن ابن عباس رضي الله عنه، في قول الله عز وجل: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١]، قال: «فتح مكة، نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، فاستغفر ربك، واعلم أنه قد حضر أجلك»[١١].

فهذه السورة مدنية بالاتفاق. واختلف في وقت نزولها، على أقوال:

فقيل: نزلت منصرف النبي -صلى الله عليه وسلم- من خيبر –أي: في سنة سبع-، ويؤيده ما رواه الطبري والطبراني عن ابن عباس، قال: «لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} السورة، نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهادا من أمر الآخرة، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك: «جاء نصر الله وجاء الفتح،

---

(١) انظر: سنن الترمذي: ٤٥٠/٥.
(٢) الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٤.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٣٢/٥.
(٦) زاد المسير: ٥٠١/٤.
(٧) الكشاف: ٨١٠/٤.
(٨) البحر المحيط في التفسير: ٥٦٢/١٠.
(٩)صحيح، أخرجه مسلم (٣٠٢٤) والنسائي في «التفسير» ٧٣٣ عن ابن عباس به.
(١٠) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٤٤٧/٥. وانظر: الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وزاد نسبة إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى وابن مردويه.
(١١) المعجم الأوسط للطبراني(٥٢٤):ص١٦٧/١.

وجاء أهل اليمن». فقال له رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة أفئدتهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، والفقه يمان»[١].

ومجيء أهل اليمن أول مرة هو مجيء وفد الأشعريين عام غزوة خيبر.

ولم يختلف أهل التفسير أن المراد بالفتح في الآية هو فتح مكة، وعليه فالفتح مستقبل ودخول الناس في الدين أفواجا مستقبل أيضا وهو الأليق باستعمال {إذا}، ويحمل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «جاء نصر الله والفتح» على أنه استعمال الماضي في معنى المضارع لتحقق وقوعه أو لأن النصر في خيبر كان بادرة لفتح مكة.

قال ابن عباس:" هذه السورة عَلَمٌ وحَدٌّ حدّه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، ونعى له نفسه. إي إنك لن تعيش بعدها إلا قليلا"[٢].

قال قتادة: "والله ما عاش، بعد ذلك إلا قليلا سنتين، ثم توفي صلى الله عليه وسلم"[٣].

ونقل الواحدي عن ابن عباس: أنها «نزلت في منصرف النبي- صلى الله عليه وسلم- من غزوة حنين، وعاش بعد نزولها سنتين»[٤].

فيكون الفتح قد مضى ودخول الناس في الدين أفواجا مستقبلا، وهو في سنة الوفود سنة تسع، وعليه تكون {إذا} مستعملة في مجرد التوقيت دون تعيين.

وروى عن ابن عمر أنها :«نزلت أواسط أيام التشريق»[٥]، أي: عام حجة الوداع، وإن صحت هذه الرواية، كان الفتح ودخول الناس في الدين أفواجا قد مضيا.

وفي عمدة القاري:« أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عاش بعد حجة الوداع نحوا من ثلاثة أشهر»[٦]. وعليه تكون {إذا} مستعملة للزمن الماضي، لأن الفتح ودخول الناس في الدين قد وقعا.

وقد تظافرت الأخبار رواية وتأويلا أن هذه السورة تشتمل على إيماء إلى اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في ذلك ما يرجح أحد الأقوال في وقت نزولها إذ لا خلاف في أن هذا الإيماء يشير إلى توقيت بمجيء النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا فإذا حصل ذلك حان الأجل الشريف.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني(١٩٩٦):ص٢/٢٨٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٤) أسباب النزول للواحدي: ٤٩٧.

عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين ، وأنزل الله تعالى: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح }، قال: يا علي بن أبي طالب ويا فاطمة! قد جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبحان ربي وبحمده، وأستغفره إنه كان توابا".

ضعيف: قال البخاري: عبد الله بن كيسان له ابن يسمى إسحاق منكر الحديث وقال ابن حبان:

يتقى حديث عبد الله بن كيسان من رواية ابنه عنه.

والحديث عزاه السيوطي في الدر (٦/ ٤٠٧) للطبراني؟

(٥) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٤٤٧/٥. وضعفه ابن رجب بأن فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. وقال أحمد بن حنبل: لا تحل الرواية عنه.

(٦) انظر: عمدة القاري: ٢٦٤/١.

ومن الآيات القرآنية التي أشارت إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى :{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً} [المائدة:٣]، أخرج الطبري(١١٠٨٣)ص:٥١٩/٩ بسنده، قال :حدثنا سفيان قال حدثنا ابن فضيل عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت: اليوم أكملت لكم دينكم وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت".

قال ابن كثير:" كانت وفاته -عليه السلام- بعد أحد وثمانين يوما من يوم الحج الأكبر ". [البداية والنهاية ٥/ ١١٧]

وفي حديث ابن عباس في «صحيح البخاري» :«هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: ١]: فتح مكة، فذاك علامة أجلك: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر : ٣]» [١].

قال ابن عباس: "لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ}، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، فقال: «إنه قد نعيت إلي نفسي» فبكت، فقال: «لا تبكين، فإنك لأول أهلي لاحق بي» ، فضحكت. فرآها بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت لها: رأيناك بكيت، ثم ضحكت. فقالت: إنه قال لي: «نعيت إلي نفسي» فبكيت، فقال: «لا تبكي، فإنك أول أهلي لاحق بي»، فضحكت"[٢].

وفي هذا الحديث ما يؤول من إشارة إلى اقتراب ذلك الأجل، فإن قوله: «لما نزلت» مدرج من الراوي، وإنما هو إعلام لها في مرضه كما جاء في حديث الوفاة في «الصحيحين» فهذا جمع بين ما يلوح منه تعارض في هذا الشأن[٣].

قال البيهقي:" مجموع هذه الأخبار الصحيحة تدل على أن الله تعالى: أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه السورة. فكانت علامة لاقتراب أجله. وعارضه جبريل- عليه السلام- بالقرآن في ذلك العام مرتين، فكانت علامة أخرى لأجله، وأخبره بعمر عيسى عليه السلام، فكانت علامة أخرى لأجله، وخيره بين الدنيا والآخرة فيما روينا، وفيما نرويه إن شاء الله فاختار الآخرة. فكانت علامة أخرى لأجله"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه لما ذكر في السورة السابقة اختلاف دين الرسول الذي يدعو إليه، ودين الكفار الذي يعكفون عليه- أشار في هذه السورة إلى أن دينهم سيضمحل ويزول، وأن الدين الذي يدعو إليه سيغلب عليه، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة [٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد سورة النصر الإجمالية في الإعلام بتمام الدين اللازم عنه مدلول اسمها النصر، اللازم عنه موت النبي صلى الله عليه وسلم، اللازم عنه العلم بأنه ما برز إلى عالم الكون والفساد إلا لإعلاء كلمة الله تعالى وإدحاض كلمة الشيطان، لعنة الله تعالى عليه، اللازم عنه أنه صلى الله عليه وسلم خلاصة الوجود، وأعظم عبد للولي الودود، وعلى ذلك أيضا دل اسمها التوديع وحال نزولها وهو أيام التشريق من سنة حجة الوداع.

وقد جاءت مقاصد «سورة النصر» التفصيلية، على النحو الآتي:

١- تبشير النبي -صلى الله عليه وسلم- بنصر الله -سبحانه وتعالى- له.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٩٤):ص١٤٩/٥، والبيهقي في "دلائل النبوة: ٤٤٦/٥.

نص الحديث:

عن ابن عباس، قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فقالوا: لم تدخل أو تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فرأيته دعاني يومئذ ليريهم مني فقال: ما تقولون في {إذا جاء نصر الله والفتح}، إلى آخر السورة، قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح الله علينا، قال: وسكت بعضهم، فقال عمر: كذلك تقول يا ابن عباس؟ قلت: هو أجل النبي صلى الله عليه وسلم أعلمه إياه: {إذا جاء نصر الله والفتح} فذلك علامة أجلك، {فسبح بحمد ربك واستغفره}، فقال عمر: ما أعلم منها إلا تعلم".

(٢) المعجم الأوسط للطبراني(٨٨٣):ص٢٧١/١، و"دلائل النبوة، للبيهقي: ١٦٧/٧

(٣) انظر: روح المعاني: ٤٩١/١٥، والتحرير والتنوير: ٥٨٨/٣٠-٥٨٩.

(٤) دلائل النبوة: ١٦٧/٧.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٥٧/٣٠.

٢- تحقيق البشارة الربانية التي وعد الله -تعالى- بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم؛ حيث جاء النصر من الله -سبحانه وتعالى- لنبيه كما بشره به، وتم تمكين المسلمين من مكة المكرمة، وجميع نواحيها.

٣- دخول الناس في دين الإسلام أفواجا، بخلاف ما كان عليه الأمر قبل فتح مكة المكرمة؛ حيث كان دخول الناس في الإسلام حينذاك بأعداد فردية.

٤- تحقيق معنى أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى، حيث قال الله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر : ١]، وقال أيضا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد : ٧].

٥- أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين، بشكر الله -تعالى- وحمده على نعمتي النصر والفتح.

٦- وجوب تنزيه الله -تعالى- عن النقائص والعيوب.

٧- تحقيق معنى الكمال المطلق لله -سبحانه وتعالى- في قلوب المسلمين.

٨- تذكير المؤمنين بنعم الله -تعالى- وفضائله التي لا تحصى.

٩- توجيه الأمر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالاستغفار، وهو أمر له ولأمته.

١٠- الإشارة إلى أن نصر الله -تعالى- لدين الإسلام لا يتوقف، ويزداد نصر الله للمسلمين بازدياد حمده واستغفاره وتسبيحه؛ فقد قال الله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧].

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان نعيه، وذكر تمام نصرة أهل الإسلام، ورغبة الخلق فى الإقبال على دين الهدى، وبيان وظيفة التسبيح والاستغفار، والأمر بالتوبة في آخر الحال بقوله: {وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر : ٣]"[(١)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة [(٢)].

- **فضائل السورة:**

- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"[(٣)].
- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «الْعَصْرُ»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، وفي الثالثة:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{تَبَّتْ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»[(٤)].
- عن أبي نوفل بن أبي عقرب، عن ابن عباس قال: سمعته «يقرأ في المغرب إذا جاء نصر الله والفتح»[(٥)].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.
(٣) سنن الترمذي(٢٨٩٥):ص١٦/٥. وقال :"هذا حديث حسن".
(٤) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٦٠):ص٣٥٦/١.[إسناده ضعيف]
(٥) مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٩٧):ص٣١٥/١.

- عن ابن شهاب قال: "قراءة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، فإنهما يغنيان من الفقر"[١].
- عن عائشة، قالت: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ نزل عليه: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] يصلي صلاة إلا دعا. أو قال فيها: «سبحانك ربي وبحمدك، اللهم اغفر لي»[٢].
- عن عائشة، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك» قالت: قلت يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها» {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] إلى آخر السورة"[٣].
- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: " تعلم أي آخر سورة نزلت جميعا؟ قلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح}، قال: صدقت "[٤].
- عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد مع محمد فتح مكّة»[٥].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٩):ص٣٦/٣.
(٢) صحيح مسلم(٤٨٤):ص٣٥١/١.
(٣) صحيح مسلم(٤٨٤):ص٣٥١/١، ومصنف ابن أبي شيبة(٢٩٣٣٢):ص٤٢/٦.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٨٨٣):ص٢٦٠/٧.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١٨/١٠. [موضوع].

القرآن

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١)} [النصر : ١]

التفسير:

إذا تمَّ لك -أيها الرسول- النصر على كفار قريش، وتم لك فتح «مكة».

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من قريش،{وَالْفَتْحُ}"(١).

قال الثعلبي:" {إذا جاءَ نَصْرُ اللّه} على من عاداك وناوأك"(٢).

قال أبو هلال العسكري:" الفتح: الظفر بالمكان"(٣).

قال ابن فورك:" النصر: المعونة على العدو للظهور عليه، وذلك أن المعونة قد تكون بالمال على نوائب الزمان، وقد تكون على العدو، وهي النصر دون المعونة الأخرى. و«الفتح»: الفرج الذي يمكن معه الدخول في الأمر بملك العدو"(٤).

وفي هذا الفتح، قولان (٥):

أحدهما : فتح المدائن والقصور، قاله ابن عباس(٦)، وابن جبير(٧).

قال مقاتل:" نزلت هذه السورة بعد فتح مكة والطائف"(٨).

قال أبو هلال العسكري:" كان فتح مكة سنة ثمان، ونزلت هذه سنة عشر بعد حجة الوداع، وقيل: المراد أنه يفتح لك الأمم والبلدان"(٩).

عن ابن عباس، قال: "بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، إذ قال: "اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، جاءَ نَصْرُ الله والفَتْحُ، جاءَ أَهْلُ اليَمَنِ"، قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: "قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيِّنَةٌ طِبَاعُهُمْ، الإيمَانُ يَمَانٍ، والفِقْهُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ"(١٠).

وقال الكلبي : "الأفواج: القبائل"(١١).

الثاني : فتح مكة ، قاله الحسن(١٢)، ومجاهد(١٣).

قال الثعلبي:" قال عامة المفسرين: فتح مكة"(١٤).

قال السعدي:" في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك. فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به"(١٥).

قال الحسن:" لما فتح الله على رسوله مكة قالت العرب بعضهم لبعض: ليس لكم بهؤلاء القوم يدان. فجعلوا يدخلون في دين الله أفواجا، أي: قبائل قبائل"(١٦)، وفي لفظ: "أمة أمة"(١).

---

(١) تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٤.
(٢) الكشف والبيان: ٣١٨/١٠.
(٣) الوجوه والنظائر: ٣٧٦.
(٤) تفسير ابن فورك: ٢٩٣/٣.
(٥) قال الماوردي :وقيل: أن المراد بالفتح: "ما فتحه عليه من العلوم" . [النكت والعيون: ٣٦٠/٦].
(٦) انظر: الطبري: ٦٦٧/٢٤، والنكت والعيون: ٣٦٠/٦.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٠/٦.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٠٥/٤.
(٩) الوجوه والنظائر: ٣٧٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٤.
(١١) نقلا عن: النكت والعيون : ٣٦٠/٦.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦٠/٦، وتفسير ابن فورك: ٢٩٤/٣.
(١٣)انظر: تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٤، تفسير مجاهد: ٧٥٨.
(١٤) الكشف والبيان: ٣١٨/١٠.
(١٥) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(١٦) عزاه إليه ابن أبي زمنين في "التفسير": ١٧٠/٥.

قال الضحاك : "والأمة: أربعون رجلاً"[٢].
عن مجاهد: "{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}: يعني : فتح مكة"[٣].
قال ابن زيد:" النصر حين فتح الله عليه ونصره"[٤].
قال الطبري:" والفتح: فتح مكة"[٥].
قال النحاس:" هذه السورة دلالة على نبوّته صلّى الله عليه وسلّم، لأنها نزلت قبل الفتح"[٦].
قال ابن كثير:" والمراد بـ«الفتح» -هاهنا-: فتح مكة قولا واحدًا، فإن أحياء العرب كانت تَتَلَوّم بإسلامها فتح مكة، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة. وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال : «لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأحياء تَتَلَوّمُ بإسلامها فتح مكة، يقولون : دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي. الحديث»[٧]"[٨].
قال الزجاج:" قيل: فأعلم اللّه - عزَّ وجلَّ - أنه إذا جَاء فتح مكة ودخل الناس في الإسلام أفواجاً فقد قرب أجله - صلى الله عليه وسلم - وكان يقول ذلك إنه قد نعيت إلى نفسي في هذه السورة"[٩].
عن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه»; قالت: فقلت: يا رسول الله أراك تكثر قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه، فقال: "خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده، وأستغفره وأتوب إليه، فقد رأيتها {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}: فتح مكة، {وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}"[١٠].
وكانت قصة «الفتح»، على ما ذكره محمد بن إسحاق بن بشار والعلماء من أصحاب الأخبار: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريش عام الحديبية كان فيما اشترطوا أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان بينهما شرّ قديم، وكان السبب الذي هاج ما بين بكر وخزاعة أن رجلا من الحضرمي يقال له مالك بن عماد خرج تاجرا، فلما توسّط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزين الديلي وهم من أشراف بكر فقتلوه بعرفة عند أنصاب الحرم، فبينا بكر وخزاعة على ذلك من الشر حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به، فلما كان صلح الحديبيّة ووقعت تلك الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بني الأسود بن رزين، فخرج نوفل بن معونة الديلي في بني الديل، وهو يومئذ قائدهم حتى بيّت خزاعة وهم على الوتير- ماء

---

(١) نقلا عن: النكت والعيون : ٣٦٠/٦.
(٢) نقلا عن: النكت والعيون : ٣٦٠/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٤. وانظر: تفسير مجاهد: ٧٥٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٤.
(٥) تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٤.
(٦) إعراب القرآن: ١٩١/٥.
(٧)صحيح البخاري برقم (٤٣٠٢).
(٨) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٨.
(٩) معاني القرآن: ٣٧٣/٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٤.

لهم بأسفل مكة-، فأصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى جاوزوا خزاعة إلى الحرم، وكان ممن أعان من قريش بني بكر على خزاعة ليلتين بأنفسهم مشتركين صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو ومع عبيدهم قالوا: فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر: يا نوفل إنا دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال كلمة عظيمة: أنه لا إله اليوم يا بني بكر أصيبوا ثأركم فيه فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه[١].

فلما دخلت خزاعة مكة لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع، فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد لما استحلّوا من خزاعة، وكانوا في عقدة، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال لهم: إني بايعت محمدا وذكر الأبيات[٢]:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا[٣]
قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا[٤]
فَانْصُرْ هَدَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا ... وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا[٥]
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا[٦]
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدًا ... إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا[٧]
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُوَكَّدَا ... وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصَّدَا[٨]
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدًا ... وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا [٩]

يقول: قتلنا وقد أسلمنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نصرت يا عمرو بن سالم»[١٠]، ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان[١١] من السماء، فقال: «إن هذه السحابة لتستهلّ بنصر بني كعب»[١٢]، وأمر رسول الله الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه.

وقد قال هبيرة بن أبي وهب المخزومي حين بلغه إسلام أم هاني بنت أبي طالب وأسمها: هند[١٣]:

أَشَاقَتْكَ هِنْدٌ أَمْ أَتَاكَ سُؤَالُهَا ... كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَانْفِتَالُهَا[١٤]

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ٢٣٩٠، وتاريخ الطبري: ٢/ ٣٢٤.
(٢) انظر: مغازي الواقدي: ٧٨٩/٢، وسيرة ابن هشام: ٣٩٥/٢، وتاريخ الطبري: ٢/ ٣٢٥.
(٣)نَاشد: طَالب ومذكر. والأتلد: الْقَدِيم.
(٤)يُرِيد أن بني عبد مَنَاف أمّهم من خُزَاعَة، وَكَذَلِكَ قصي أمه فَاطِمَة بنت سعد الْخُزَاعِيَّة. وَالْولد (بالضَّمِّ) بِمَعْنى الْوَلَد (بالتَّحْرِيكِ) . وأسلمنا: من السّلم. قَالَ السهيليّ: «لأنهم لم يَكُونُوا آمنُوا بعد، غير أنه قَالَ: «ركعا وَسجدا» فَدلَّ على أنه كَانَ فيهم من صلى للَّه فَقتل: (رَاجع الرَّوْض).
(٥)أعْتَد: حَاضر، من الشَّيْء العتيد، وَهُوَ الْحَاضِر، والمدد: العون.
(٦)تجرد: من رَوَاهُ بِالْحَاء الْمُهْملَة، فَمَعْنَاه، غضب: وَمن رَوَاهُ بِالْجِيم، فَمَعْنَاه: شمر وتهيأ للحرب.
وسيم: طلب مِنْهُ وكلف. والخسف: الذل، وَتَربد: تغير إِلَى السوَاد.
(٧)الفيلق: الْعَسْكَر الْكثير.
(٨)كداء بوَزْن سَحَاب: مَوضِع بِأَعْلَى مَكَّة، ورصد كركع جمع راصد، وَهُوَ الطَّالِب للشَّيْء الَّذي يرقبه، وَيجوز أَن يكون رصدا كسبب، وَهُوَ بِمَعْنى الأول.
(٩)الوَتِير: اسْم مَاء بِأَسْفَل مَكَّة لخزاعة. والهجد: النيام، وَقد يكون «الهجد» أَيْضا: المستيقظين وَهُوَ من الأضداد. وَرِوَايَة هَذَا الشّعْر فِي الِاسْتِيعَاب تخَالف روايَته هُنَا تَقْدِيمًا وتأخيرا وَزِيَادَة وحذفا.
(١٠)فِي الِاسْتِيعَاب: فَقَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا نصرني الله إِن لم أنْصر بنى كَعْب».
(١١)عنان: سَحَاب.
(١٢) مغازي الواقدي: ٨٠١/٢، وسيرة ابن هشام: ٣٩٥/٢.
(١٣) انظر: تاريخ الطبري: ٢/ ٣٤٠، والبداية والنهاية: ٤/ ٣١٨.
(١٤)وانفتالها: أي تقلبها من حَال إِلَى حَال. ويروى: «وانتقالها».

وَقَدْ أَرَّقَتْ فِي رَأْسِ حِصْنٍ مُمَنَّعٍ ... بِنَجْرَانَ يُسْرِي بَعْدَ لَيْلٍ خَيَالُهَا [١]
وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... وَتَعْذِلُنِي بِاللَّيْلِ ضَلَّ ضَلَالُهَا[٢]
وَتَزْعُمُ أَنِّي إِنْ أَطَعْتُ عَشِيرَتِي ... سَأَرْدَى وَهَلْ يُرْدِينِ إِلَّا زِيَالُهَا [٣]
فَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ ... عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَالُهَا
وَإِنِّي لَحَامٍ مِنْ وَرَاءِ عَشِيرَتِي ... إِذَا كَانَ مِنْ تَحْتِ الْعَوَالِي مَجَالُهَا[٤]
وَصَارَتْ بِأَيْدِيهَا السُّيُوفُ كَأَنَّهَا ... مَخَارِيقُ وِلْدَانٍ وَمِنْهَا ظِلَالُهَا [٥]
وَإِنِّي لَأَقْلَى الْحَاسِدِينَ وَفِعْلُهُمْ ... عَلَى اللَّهِ رِزْقِي نَفْسُهَا وَعِيَالُهَا [٦]
وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِيَ غَيْرِ كُنْهِهِ ... لَكَالنَّبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا[٧]
فَإِنْ كُنْتِ قَدْ تَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ... وَعَطَّفَتْ الْأَرْحَامَ مِنْكَ حِبَالُهَا
فَكُونِي عَلَى أَعْلَى سَحِيقٍ بِهَضْبَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ غَبْرَاءَ يَبْسٍ بِلَالُهَا[٨]

قال ابن إسحاق: " وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني سليم سبع مائة. ويقول بعضهم: ألف، ومن بني غفار أربع مائة، ومن أسلم أربع مائة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد، قالوا: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشر ليلة يقصر الصلاة، ثم خرج إلى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنين"[٩].

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري[١٠]:

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ ... إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ
وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ ... خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ
فَدَعْ هَذَا، وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِشَعْثَاءَ الَّتِي قَدْ تَيَّمَتْهُ ... فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا ... فَهُنَّ لِطَيِّبِ الراحِ الْفِدَاء
نوليها الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا ... إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحَاءُ
وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكًا ... وَأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
يُنَازِعْنَ الْأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

---

(١)أرقت: أزالت النّوم. ونجران: بلد من اليمن.
(٢)هبت: استيقظت. وضل ضلالها: دُعَاء عَلَيْهَا بالضلال.
(٣)سأردى: سأهلك. وزيالها: ذهابها.
(٤)العوالي: أعالي الرماح.
(٥)المخاريق: جمع مِخْرَاق، وَهِي مناديل تلف ويمسكها الصّبيان بِأَيْدِيهِم، يضْرب بهَا بَعضهم بَعْضًا، شبه السيوف بهَا.
(٦)قلاه: (كرماه ورضيه، قلى وقلاء ومقلية) : أبغضه وَكَرِهَهُ غَايَة الْكَرَاهَة، فَتَركه. ونفسها وعيالها: يُرِيد نَفسه وَعِيَاله
(٧)كنهه: حَقِيقَته. والنصال: حَدِيد السِّهَام.
(٨)السحيق: البعيد. والهضبة: الكدية العَالِيَة. والململمة: المستديرة. والغبراء: الَّتِي علاها الغبور.
ويبس: يابسة.
(٩) انظر: سيرة ابن هشام: ٤٢١/٢، وتاريخ الطبري: ٢/ ٣٢٤ وما بعدها، والبداية والنهاية: ٤/ ٣١٨، والكشف والبيان: ٣١٨/١٠-٣١٩.
(١٠) انظر: سيرة ابن هشام: ٤٢١/٢ وما بعدها.
وق وردت هذه القصيدة في ديوان حسان المطبوع بأوربا، بزيادة بعض الأبيات واختلاف في ترتيب بعض.

فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ ... يُعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا ... هُمْ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ... وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ
أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا ... وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتُهَا الْإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا ... أَمِينَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ؟
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ ... وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاء

قال ابن إسحاق: "وبلغني عن الزهري أنه قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-[١].

القرآن

{وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)} [النصر : ٢]

التفسير:

ورأيت الكثير من الناس يدخلون في الإسلام جماعات جماعات.

قال الطبري: يقول :"{وَرَأَيْتَ النَّاسَ} من صنوف العرب وقبائلها أهل اليمن منهم، وقبائل نزار {يَدْخُلُونَ} في دين الله الذي ابتعثك به، وطاعتك التي دعاهم إليها زُمَرًا، فوجًا فوجًا"[٢].

قال الفراء:" يقول: ورأيت الأحياء يسلم الحي بأسره، وقبل ذلك إنما يسلم الرجل بعد الرجل"[٣].

قال ابن فورك:" «الدين»: الطاعة التي يستحق بها الجزاء، كما قيل: {فِي دِينِ الْمَلِكِ} [يوسف : ٧٦]، أي: في طاعته. و«الفوج»: جماعة من جماعة، وإذا قيل: «أفواج»: فهو جماعات، وهكذا كان الناس يدخلون في الدين جماعة بعد جماعة من جملة القبيلة حتى تكامل الإسلام الجميع.. والدخول في الدين: الاعتقاد لصحته مع استشعار العمل به"[٤].

قال أبو عبيدة:" {أَفْواجاً}: جماعات في تفرقة"[٥].

قال الثعلبي:" زمرا وأرسالا، القبيلة بأسرها، والقوم بأجمعهم من غير قتال"[٦].

قال الزجاج: يعني:" جماعات كثيرة، أي بعد أن كانوا يدخلون وَاحِداً واحِداً. واثنين اثنين، صارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام"[٧].

---

(١) سيرة ابن هشام: ٤٢١/٢-٤٢٤.
(٢) تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٩٧/٣.
(٤) تفسير ابن فورك: ٢٩٤/٣/ ٢٩٥.
(٥) مجاز القرآن: ٣١٥/٢.
(٦) الكشف والبيان: ٣١٩/١٠.
(٧) معاني القرآن: ٣٧٣/٥.

عن مجاهد: "{فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}، قال: يعني: زُمرًا زُمرًا، فعند ذلك موتك يا محمد"[١].

قال ابن عباس:" يعني: إسلام الناس"[٢].

قال مقاتل:" يعني: أهل اليمن من كل وجه زمرا، القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم، ليس بواحد ولا اثنين ولا ثلاثة، فقد حضر أجلك"[٣].

قال الحسن: "لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، قالت العرب بعضها لبعض: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله سبحانه أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أفْواجاً"[٤].

عن أبي عمار، حدثني جار لجابر بن عبد الله قال : "قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله، فسلم عليّ، فجعلت أحدّثهُ عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا، وسيخرجون منه أفواجًا"[٥].

القرآن

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)} [النصر : ٣]

التفسير:

إذا وقع ذلك فتهيأ للقاء ربك بالإكثار من التسبيح بحمده والإكثار من استغفاره، إنه كان كثير التوبة على المسبحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم.

قوله تعالى:{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ} [النصر : ٣]، أي:" إذا وقع ذلك فتهيأ للقاء ربك بالإكثار من التسبيح بحمده والإكثار من استغفاره"[٦].

وفي أمره بهذا التسبيح والاستغفار وجهان :

أحدهما : أنه أراد بالتسبيح: الصلاة، أي: صل شكرا له ما جدد لك من نعمة، قاله ابن عباس[٧]، وبالاستغفار: مداومة الذكر[٨].

قال الفراء:" يقول: فصل. وذكروا أنه قال- صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه السورة: نعيت إلى نفسي"[٩].

الثاني : أنه أراد صريح التسبيح ، الذي هو التنزيه والاستغفار من الذنوب.

قال مقاتل:" يقول: فأكثر ذكر ربك، {وَاسْتَغْفِرْهُ} من الذنوب"[١٠].

قال ابن فورك: "أي: نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك إياه"[١١].

قال الطبري:" فسبح ربك وعظمه بحمده وشكره، على ما أنجز لك من وعده. فإنك حينئذ لاحق به، وذائق ما ذاق مَنْ قبلك من رُسله من الموت، وسله أن يغفر ذنوبك"[١].

---

(١) تفسير مجاهد: ٦٧٨، وتفسير الطبري: ٦٦٨/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٤-٦٦٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٠٥/٤.
(٤) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٢٠/١٠.
(٥)المسند (٣٤٣/٣).
(٦) التفسير الميسر: ٦٠٣.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦١/٦.
(٨) قال ابن فورك[في تفسيره: ٢٩٥/٣]:
" وفي الاستغفار وجهان:
أحدهما: عند ذكر المعصية بما ينافي الإصرار.
والثاني: ذكر الاستغفار على جهة التسبيح، والانقطاع إلى الله".
(٩) معاني القرآن: ٢٩٧/٣.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٠٥/٤.
(١١) تفسير ابن فورك: ٢٩٥/٣.

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[٢].

عن المسيّب -من طريق الهُذيل- قال: "{سُبْحانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"[٣].

عن عائشة قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده:« سبحانك اللهم وبحمدك، اللهمّ اغفر لي»، يتأول القرآن"[٤].

عن عائشة، قالت:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه»، فقلت: إنك تُكثر من هذا، فقال: «إِنَّ رَبِي قَدْ أَخْبَرَنِي أَنِّي سأرَى عَلامةً في أُمَّتِي، وأَمَرَنِي إِذَا رأيْتُ تِلكَ الْعَلامَةَ أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ، وأَسْتَغْفِرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابا، فَقَدْ رأيْتُها: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}»"[٥].

عن أم سلمة، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: "سبحان الله وبحمده"، فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: سبحان الله وبحمده، قال: "إني أمرت بها"، فقال: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، إلى آخر السورة"[٦].

عن أبي العالية، قال: "لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، ونعيت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم نفسه، كان لا يقوم من مجلس يجلس فيه حتى يقول: «سبحانك اللهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»"[٧].

عن عمرو، قال: "لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، كان النبيّ صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، رب اغفر لي وتب عليّ، إنك أنت التوّاب الرحيم»"[٨].

عن ابن مسعود، قال: "لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، كان يكثر أن يقول: «سبحانك اللهمّ وبحمدك، اللهمّ اغفر لي، سبحانك ربنا وبحمدك، اللهمّ اغفر لي، إنك أنت التواب الغفور»"[٩].

وفي أمره بهذا بعد النصر والفتح وجهان [١٠]:

أحدهما : ليكون ذلك منه شكراً لله تعالى على نعمه، لأن تجديد النعم يوجب تجديد الشكر.

قال ابن فورك:" وجه الاستغفار بالنصر والفتح، أن النعمة تقتضي القيام بحق النعمة المنافية للمعصية، فكأنه قيل: قد حدث أمر يقتضي الاستغفار مما جدده الله لك فاستغفره، بالتوبة يقبل ذلك منك، ومخرجه مخرج الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يعلم لجميع أمته"[١١].

قال السعدي: "فيه إشارة أن النصر يستمر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاهم الله بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل.

---

(١) تفسير الطبري: ٦٦٨/٢٤، ٦٧١.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.
(٣)أخرجه الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢٨٧ -.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٤-٦٧١.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٦١/٦.
(١١) تفسير ابن فورك: ٢٩٤/٣.

ومع هذا فلهذه الأمة، وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال"[١].

وقال الزمخشري:" الأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين: من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لأمته، ولأنّ الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس، فهو عبادة في نفسه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة »[٢]، وروى أنه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه استبشروا وبكى العباس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك يا عم»؟ قال: نعيت إليك نفسك. قال: «إنها لكما تقول»[٣] فعاش بعدها سنتين لم يرفيهما ضاحكا مستبشرا"[٤].

الثاني : أنه نعى إليه نفسه، ليجد في عمله.

قال السعدي: " وفيه الإشارة إلى أن أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به. وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك. فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه، فكان صلى الله عليه وسلم يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي»"[٥].

قال الزجاج:" فأمره اللّه عزَّ وجلَّ أن يكثر التسبيحَ والاستغفار ليختم له في آخرِ عمره بالزيادة في العمل الصالح باتباع ما أمره به"[٦].

قال الحسن: "أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة، ليختم له بالزيادة في العمل الصالح"[٧].

قال ابن عباس:" وداعٌ من الله، ووداعٌ من الدنيا، فلم يعش بعدها إلا سنتين مستديماً التسبيح والاستغفار كما أُمِرَ، وكان قد لبث أربعين سنة لم يوح إليه، ورأى رؤيا النبوة سنتين، ومات في شهر ربيع الأول وفيه هاجر"[٨].

عن ابن عباس، قال: "لما نزلت {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، علم النبيّ أنه نعيت إليه نفسه، فقيل له: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ... }، إلى آخر السورة"[٩].

عن ابن عباس: "{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] إلى آخرها، قال: «علم وحدّ حده الله لنبيه، ونعى إليه نفسه، إنك لن تعيش بعد فتح مكة إلا قليلا»[١].

---

(١) تفسير السعدي: ٩٣٦.

(٢) الحديث بلفظ:« فأين أنت عن الاستغفار يا حذيفة إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة».
أخرجه الطيالسى (ص ٥٧، رقم ٤٢٧) ، وهناد (٤٦٠/٢، رقم ٩١٦) ، وأحمد (٣٩٤/٥، رقم ٢٣٣٨٨) ، والنسائى فى الكبرى (١١٨/٦، رقم ١٠٢٨٧) ، والحاكم (٦٩١/١، رقم ١٨٨١) ، وابن ماجه (١٢٥٤/٢، رقم ٣٨١٧) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣١٧/٥، رقم ٦٧٨٨) ، وأبو نعيم فى الحلية (٢٧٦/١) . وأخرجه أيضا: الدارمى (٣٩١/٢، رقم ٢٧٢٣) ، وابن حبان (٢٠٥/٣، رقم ٩٢٦).
والحديث بلفظ:: « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ».
أخرجه أحمد (٢١١/٤، رقم ١٧٨٨١) ، وعبد بن حميد (ص ١٤٢، رقم ٣٦٤) ، ومسلم (٢٠٧٥/٤، رقم ٢٧٠٢) ، وأبو داود (٨٤/٢، رقم ١٥١٥) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٤٤، رقم ٤٤٦) ، وابن حبان (٢١١/٣، رقم ٩٣١) ، والبغوي (١٢٤/١، رقم ٨٩) ، والطبراني (٣٠٢/١، رقم ٨٨٧).

(٣) لم اقف عليه بهذا اللفظ، وذكره الماوردي في "النكت والعيون": ٣٦٢/٦، قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف:" ذكره الثعلبي عن مقاتل وسنده إليه دون الكتاب.

(٤) الكشاف: ٨١٢/٤.

(٥) تفسير السعدي: ٩٣٦.

(٦) معاني القرآن: ٣٧٣/٥.

(٧) عزاه إليه البغوي في "التفسير": ٥٧٧/٨.

(٨) عزاه إليه الماوردي في "النكت والعيون": ٣٦١/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٤-٦٦٩.

عن ابن عباس:" أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سألهم عن قول الله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: فأنت يا بن عباس ما تقول: قلت: مَثَلٌ ضُرب لمحمد صلى الله عليه وسلم نعيت إليه نفسه"[٢].

عن ابن عباس: "{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، قال: ذاك حين نَعَى له نفسه يقول: إذا {وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}، يعني: إسلام الناس، يقول: فذاك حين حضر أجلك {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}"[٣].

قال ابن عباس:" لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نُعِيَتْ إليَّ نَفْسِي، كأنّي مَقْبُوضٌ فِي تِلكَ السَّنَةِ»"[٤].

عن معمر، عن الحسن، قال: "كان إذا قرأ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] قال: «أجيب رسول الله وقورب له فقارب, والله ما قورب له, والحمد لله الذي أقر بعينه وأسرع به إلى كرامته، وحيث وعد بحظه"[٥].

عن الحسن، قال: "لمّا أُنْزِل على النبي - صلى الله عليه وسلم -: {إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا} قال: قرب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجلُه، وأُمر بكثرة التسبيح والاستغفار"[٦].

قال الضحاك:" كانت هذه السورة آية لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٧].

عن مجاهد :{وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}، قال: اعلم أنك ستموت عند ذلك"[٨].

قال مقاتل: " كانت هذه السورة آية موت النبي- صلى الله عليه وسلم- فقرأها على أبي بكر وعمر ففرحا، وسمعها عبد الله بن عباس فبكى، فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم-: صدقت. فعاش النبي- صلى الله عليه وسلم- بعدها ثمانين يوما. ومسح رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بيده على رأس ابن عباس وقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[٩]"[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر : ٣]، أي:" إنه كان كثير التوبة على المسبحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم"[١١].

قال مقاتل: أي: " للمستغفرين"[١٢].

قال الطبري: "يقول: إنه كان ذا رجوع لعبده، المطيع إلى ما يحب"[١].

---

(١) تفسير عبدالرزاق(٣٧٢٥):ص٣/٤٧٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٦٦٨-٦٦٩.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤/٦٦٨-٦٦٩.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٤/٦٦٨-٦٦٩.
(٥) تفسير عبدالرزاق(٣٧٢٤):ص٣/٤٧٠.
(٦)أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ١٧٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٦٧١.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٦٧١، وانظر: تفسير مجاهد: ٧٥٨.
(٩) مسند احمد(٢٣٩٧):ص٤/٢٢٥، وأخرجه يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ١/٤٩٤ من طريقين عن زهير أبي خيثمة، بهذا الإسناد. وأخرجه الطبراني (١٠٦١٤) من طريق داود بن أبي هند، عن سعيد بن جبير، به.
والحديث تكرر في المسند برقم (٢٨٧٩) و (٣٠٣٢) و (٣١٠٢) ، وانظر (١٨٤٠) و (٢٤٢٢) و (٣٠٢٢) و (٣٠٦٠) .
قوله: "وعلمه التأويل"، قال السندي: المراد بالتأويل: تأويل القرآن، فكان يسمى بحرا، وترجمان القرآن، والله تعالى أعلم.
ونص الحديث:
عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضع يده على كتفي - أو على منكبي، شك سعيد - ثم قال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٩٠٥.
(١١) التفسير الميسر: ٦٠٣.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٩٠٥.

قال السمعاني:" أي: توابا على عباده، ويقال: التواب هو المسهل لسبيل التوبة، ويقال: هو القابل لها"[٢].

قال ابن فورك:" أي: إنه يقبل توبة من بقي كما قبل توبة من مضى"[٣].

قال سهل:" أي: رجاعاً يقبل التوبة، كلما تاب العبد إليه. واعلم أن إلهنا أكرم من أن يكون معك على نفسك، فإنه قال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} [البقرة: ٢٢٢] فإن كنت عليها كان معها بالعفو، وإن كنت معها على أمر الله ونهيه كان عليك، فمن وافق أمر الله على هواه كان ناجياً، ومن وافق هواه على أمر الله كان هالكاً، وإنّ أمر الله تعالى مرّ وهوى النفس حلو، فما مثالها إلا كالأطعمة اللذيذة قد يحصل فيها الصبر، والدواء يشرب مع مرارته لما جعل فيه من المنافع. وكان بعض الصالحين يقول: وا سوأتاه، وإن عفوت. فمنهم من يحذر الرد، ومنهم من يبكي خجلاً، وإن عفي عنه"[٤].

روي عن أبي زرعة قال: "إن أول شيء كتب: أنا التواب أتوب على من تاب"[٥].

عن ابن شهاب قال: "قراءة {قل يا أيها الكافرون}، {إذا جاء نصر الله والفتح}، فإنهما يغنيان من الفقر"[٦].

فوائد السورة الكريمة:

١- مشروعية نعي الميت إلى أهله ولكن بدون إعلان وصوت عال.

٢- وجوب الشكر عند تحقق النعمة ومن ذلك سجدة الشكر.

٣- مشروعية قول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي في الركوع.

«آخر تفسير سورة (النصر)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٢) تفسير السمعاني: ٢٩٦/٦.

(٣) تفسير ابن فورك: ٢٩٥/٣.

(٤) تفسير التستري: ٢٠٨.

(٥)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٣):ص٨٩٦/٣

(٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٩):ص٣٦/٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المسد»

«سورة المسد»: هي السورة الحادية عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفاتحة»، وقبل «سورة التكوير»، وآياتها خمس بالإجماع. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها سبع وسبعون. فواصل آياتها: «دب»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة المسد»:**

سميت في المصاحف وأكثر من التفاسير[٢]: «سورة المسد»، ووجه تسميتها لقوله تعالى: {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [المسد : ٥].

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «تبت»:

سميت هذه السورة في جمع من المصاحف «سورة تبت»، وكذلك عنونها الترمذي في «جامعه»[٣]، وفي بعض كتب التفسير[٤]، تسمية لها بأول كلمة فيها، قال تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١].

٢-سورة «أبي لهب»:

وسماها بعض من المفسرين[٥] «سورة أبي لهب» على تقدير: سورة ذكر أبي لهب، ووجه تسميتها لوقوع هذه الكلمة في أول السورة، قال تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١].

٣-سورة «اللهب»:

وقد عنونها بعض المفسرين[٦]: «سورة اللهب». ووجه تسميتها لوقوع كلمة «لهب» في بداية السورة، وذلك في قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١].

٤-سورة «تبت يدا أبي لهب»:

وردت هذه التسمية عند ابن عباس[٧]، وابن الزبير[٨]، وعائشة[٩]، -رضي الله عنهم جميعا، وبذلك عنونها البخاري في «صحيحه»[١٠]، والماتريدي[١١]، والثعالبي[١] في تفسيريهما. تفسيريهما.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٢/١.

(٢) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٦٣٢/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧١/٥، والكشف والبيان: ٣٢٣/١٠، والنكت والعيون: ٣٦٣/٦، والوسيط للواحدي: ٥٦٨/٤، وتفسير البغوي: ٥٧٨/٨، والكشاف: ٨١٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣٤/٥، وزاد المسير: ٥٠٢/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٤٩/٣٢، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٤٥١/٥.

(٤) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٧٣/٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٨١/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٩٨/٦، وتفسير القرطبي: ٢٣٤/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٤٥/٥، وغيرها

(٥) انظر مثلا: تفسير ابن فورك: ٢٩٦/٣، ومفاتيح الغيب: ٣٤٨/٣٢، وتفسير النسفي: ٦٩١/٣، وتفسير ابن جزي: ٥٢١/٢.

(٦) انظر مثلا: تفسير الإيجي: ٥٤١/٤، وتفسير المظهري: ٣٦٧/١٠، وذكرها صاحب المنار في "تفسيره": ٣١/١٢، والزحيلي في "المنير": ٤٥٣/٣٠.

وقال ابن عاشور: ٥٩٩/٣٠:" وعنونها أبو حيان في «تفسيره» «سورة اللهب» ولم أره لغيره، وعنونها ابن العربي في «أحكام القرآن» «سورة ما كان من أبي لهب» وهو عنوان وليس باسم". ولم أجد التسميتين في نسخة كتابي "البحر المحيط" و"أحكام القرآن".

(٧) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) انظر: صحيح البخاري: ١٧٩/٦.

(١١) انظر: تأويلات أهل السنة: ٦٣٨/١٠.

وهذه الأسماء الأربعة هي من اجتهاد أهل العلم، ولم يرد عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- خبر صحيح يثبت تلك الأسماء.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال:" أنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَب}، بمكة"[٢]. وروي عن ابن الزبير[٣]، وعائشة[٤] مثله.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع "[٥].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٦].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السورة السابقة أن ثواب المطيع حصول النصر والاستعلاء في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى. وهنا ذكر أن عاقبة العاصي الخسار في الدنيا والعقاب في الآخرة[٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد «سورة المسد» الإجمالية في: البت والقطع الحتم بخسران الكافر ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين، اللازم عنه أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عن الوصف، فهو يفعل ما يشاء لأنه لا كفو له أصلاً، حثاً على التوحيد من سائر العبيد، ولذلك وقعت بين سورة الإخلاص المقرون بضمان النصر وكثرة الأنصار، واسمها تبّت واضح الدلالة على ذلك بتأمل السورة على هذه السورة.

وقد جاءت مقاصد «سورة المسد» التفصيلية، على النحو الآتي:

١- يستنكر الإسلام أفعال الظالمين وتعديهم بأمورهم، وإن كانوا من رؤساء القوم وزعمائهم، وذلك ما حصل بأبي لهب، فالإسلام لا يعد دينا سياسيا أو تظاهريا، كما أن الأمور والشؤون السياسية جزء من الدين الإسلامي، فكما أن الإسلام حدد العلاقة بين العبد وربه فإنه حدد العلاقة بين العباد.

٢- بيّن القران الكريم كيفية الرد والصد للاضطهاد السياسي الذي قد يقع، فاستنكر الله تعالى بالآيات التي أنزلها ما كان من أبي لهب، عندما قاطع خطاب النبي عليه الصلاة والسلام وصرف الناس عن دعوته عندما وقف الرسول عليه الصلاة والسلام خطيبا بالناس يدعوهم إلى الحق، وكان أبو لهب مستخدما لمكانته في القوم وشأنه، ولذلك كان الرد على أبي لهب من الله تعالى وليس من الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى يعلم الناس جميعهم أن الله تعالى يجازي الظالمين على ظلمهم ولا يتركهم دون حساب، فالله تعالى ينصر عباده، ويؤيد من اتبعه واتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- تقرير أن أبا لهب كان عالما بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوته، فأبو لهب عم النبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك خص الله تعالى بعض المكذبين بأسمائهم، فالتكذيب من أقرب الناس يكون أشد وذا أثر أكبر في قلوب المدعويين، وذلك مصير كل مكذب بالله تعالى وبدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٤٨/٤.
(٢) الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٤) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٣٤/٥.
(٦) زاد المسير: ٥٠٢/٤.
(٧) التحرير والتنوير: ٥٩٩/٣٠.
(٨) انظر: تفسير المراغي: ٢٦٠/٣٠.

٤- التأكيد على وجود مصير للظالم في الحياة الاخرة، فمصير وعذاب الحياة الدنيا لا عبرة بهما، حيث قال الله تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة : ٥٥] ، فالله تعالى لم يذكر مصير أبي لهب في الحياة الدنيا، واكتفى بذكر مصيره في الحياة الاخرة.

٥- الإشارة إلى أن الظلم ينتشر، وتقوى شوكة الظالمين بنصرة بعضهم لبعض، ولذلك دور كبير في زرع الفتنة بين المسلمين، فكانت زوجة أبي لهب تنشر الفتنة، وتسعى في النميمة، وورد أنها كانت تضع الشوك ليلا في طريق الرسول عليه الصلاة والسلام، فالجزاء يكون بحسب العمل الذي قدمه العبد في حياته الدنيا.

٦- الرد على الظالمين يكون بالقول، ويترجم القول إلى العمل والفعل، فاختصر الرد على أبي لهب بالدعاء عليه، وباليقين وتقرير وقوع العذاب به، وذلك مما يدل على إعجاز القران الكريم، الذي أخبر بجزاء ومصير أبي لهب.

٧- الدلالة على أن الكفر لا ينتصر أبدا ما دام الهدف الذي يسعى إليه يتمثل بالصد عن سبيل الله تعالى، فمهما كانت القوة التي يستند إليها الكافر في تحقيق مقصده من الأموال والأسباب إلا أنه لن ينتصر على الحق، ولن يغني شيئا من بطش وجزاء الله تعالى.

قال الفيروزآبادي :" مقصود السورة: تهديد أبى لهب على الجفاء والإعراض، وضياع كسبه وأمره، وبيان ابتلائه يوم القيامة، وذم زوجه في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان ما هو مدخر لها من سوء العاقبة "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة [٢].

- **فضائل السورة:**
  - عن سعيد بن جبير قال: "لما أنزل الله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعه أبو بكر فقال أبو بكر: يا نبي الله، إنها امرأة بذية اللسان فقال: «إنه سيحال بيني وبينها»، قال: فلم تره، فقالت لأبي بكر: هجانا صاحبك، فقال: والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله، فقالت: إنك لمصدق، قال: فاندفعت راجعة، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما رأتك، قال: فقال: «لم يزل ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت»[٣].
  - عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة تبّت رجوت أن لا يجمع الله سبحانه بينه وبين أبي لهب في دار واحدة» [٤].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٢/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف العزيز: ٥٥٢/١.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٣١٧٦٨):ص٣٢٣/٦.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٢٣/١٠. [موضوع].

القرآن
{تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)} [المسد : ١]

التفسير:

خسرت يدا أبي لهب وشقي بإيذائه رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم، وقد تحقق خسران أبي لهب.

اختلف في سبب نزولها في أبي لهب على ثلاثة أقوال :

أحدها : ما رواه ابن عباس، قال: «لما أنزل الله عز وجل: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين} [الشعراء: ٢١٤] ، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا، فصعد عليه، ثم نادى: " يا صباحاه " فاجتمع الناس إليه، بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا يا بني يا بني. . . أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟ " قالوا: نعم قال: " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ فأنزل الله عز وجل: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١]»[(١)].[صحيح]

الثاني : ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي -صلى الله عليه وسلم - فقال : "ماذا أُعطَى يا محمد إن آمنت بك؟ قال؟ «كمَا يُعْطَى المُسْلِمُون»، فقال: مالي عليهم فضل؟ قال: «وأيّ شَيْءٍ تَبْتَغِي؟» قال: تبا لهذا من دين تبا، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، يقول: بما عملت أيديهم"[(٢)].

الثالث : ما حكاه عبد الرحمن بن كيسان:" أنه كان إذا وفد على النبي -صلى الله عليه وسلم- وفْدٌ انطلق إليهم أبو لهب ، فيسألونه عن رسول الله ويقولون : أنت أعلم به ، فيقول لهم أبو لهب : إنه كذاب ساحر ، فيرجعون عنه ولا يلقونه ، فأتاه وفد ، ففعل معهم مثل ذلك ، فقالوا : لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه ، فقال لهم أبو لهب : إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتبّاً له وتعساً ، فأخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم -فاكتأب له ، فأنزل الله تعالى: {تَبَّتْ} السورة"[(٣)].

قوله تعالى:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد : ١]، أي:" خسرت يدا أبي لهب وشقي بإيذائه رسول الله محمدا -صلى الله عليه وسلم-"[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند(٢٨٠١):ص١٧/٥، وأخرجه الطبري٦٧٦/٢٤، وابن منده في "الإيمان" (٩٥٠) ، والبيهقي في "الدلائل" ١٨١/٢-١٨٢ من طريق عبد الله بن نمير، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه البخاري (٤٩٧١) ، ومسلم (٢٠٨) (٣٥٥) ، والطبري ١٢١/١٩، وابن حبان (٦٥٥٠) ، وابن منده (٩٤٩) و (٩٥٠) ، والبيهقي في "الدلائل " ١٨١/٢-١٨٢، والبغوي في "شرح السنة" (٣٧٤٢) ، وفي "معالم التنزيل" ٤٠٠/٣-٤٠١ من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، والبخاري (٤٧٧٠) ، والنسائي في "الكبرى" (١١٤٢٦) ، والبغوي في "معالم التنزيل" ٤٠١/٣ من طريق حفص بن غياث، كلاهما عن الأعمش، به.

وأخرجه مختصرا البخاري (٣١٩٤) و (٣٥٢٥) و (٤٩٧٣) من طريق حفص بن غياث، عن الأعمش، به- الموضع الأول والثالث بقصة أبي لهب، والموضع الثاني بقصة نزول (وأنذر عشيرتك الأقربين) ومناداته لبطون قريش.

وأخرجه أيضا مختصرا بقصة نزول (وأنذر عشيرتك الأقربين) : البخاري (٣٥٢٦) ، والنسائي في "اليوم والليلة" (٩٨٢) ، والطبري ٦٧٦/٢٤-٦٧٧، والطبراني (١٢٣٥٢) ، وابن منده (٩٥٢) من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، به. وانظر المسند (٢٥٤٤) .

قوله: "يا صباحاه"، قال في "اللسان": هذه كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة، لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه، يقول: قد غشينا العدو.

وقوله: "بسفح هذا الجبل"، قال السندي: بفتح سين وسكون فاء، قيل: هو بسين وصاد: أسفله ووجهه، وقيل: بالسين: عرضه، وبالصاد: جانبه.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٧٥/٢٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٦٠٣.

عن سفيان: "{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، قال: حين أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليه وإلى غيره، وكان أبو لهب عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وكان اسمه عبد العزى، فذكرهم، فقال أبو لهب: تبا لك، في هذا أرسلت إلينا؟ فأنزل الله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}"[١].

قال ابن عطية:" «أبو لهب» : هو عبد العزى بن عبد المطلب، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن سبقت له الشقاوة"[٢].

قال السعدي:" أبو لهب هو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان شديد العداوة والأذية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فلا فيه دين، ولا حمية للقرابة -قبحه الله- فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد : ١]، وجوه:

أحدها : أي: معناه: خسرت يدا أبي لهب. قاله ابن عباس[٤]، وقتادة[٥]، وابن زيد[٦]، ومنه قول الشاعر[٧]:

تواعَدَني قوْمي ليَسْعوْا بمهجتي ... بجارية لهم تَبّا لهم تبّاً[٨].

قال ابن عطية:" {تَبَّتْ}، معناه: خسرت، والتباب: الخسار والدمار، وأسند ذلك إلى اليدين من حيث اليد موضع الكسب والربح وضم ما يملك"[٩].

قال السعدي:" أي: خسرت يداه، وشقى"[١٠].

عن ابن عباس: "{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، قال: خسرت"[١١].

قال قتادة:" خسرت يدا أبي لهب وخسر"[١٢].

قال الكلبي:" خسرت يدا أبي لهب"[١٣].

قال ابن زيد:" التبّ: الخسران"[١٤].

عن ابن زيد:" {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، يقول: بما عملت أيديهم"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : خسرت وخابت، وضل عمله وسعيه"[١٦].

الثاني : ضلّت ، وهو قول عطاء[١٧].

الثالث : هلكت ، قاله ابن جبير[١٨].

الرابع : صفِرت من كل خير ، قاله يمان بن رئاب[١٩].

حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: "أنه لما قتل عثمان بن عفان سمع الناس هاتفاً يقول :

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٧٧/٢٤.
(٢) المحرر الوجيز: ٥٣٤/٥.
(٣) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٢٤):ص٣٤٧٣/١٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٥/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٥/٢٤.
(٧) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٩) المحرر الوجيز: ٥٣٤/٥.
(١٠) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٤):ص٣٤٧٣/١٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٧٥/٢٤-٦٧٦.
(١٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٧٤):ص١١٩/١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٧٥/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٧٥/٢٤.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٨.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.

لقد خلّوْك وانصدعوا ... فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهمُ ... فيا تبًّا لما صَنعوا"[١].

قال الحسن: "إنما سمي أبا لهب، من حسنه"[٢].

قال الماوردي : "وقيل إنه" كني أبا لهب لحُسنه وتلهّب وجنته"[٣].

وفي ذكر الله له بكنيته دون اسمه، ثلاثة وجوه [٤]:

أحدها : أنه كان بكنيته أشهر منه باسمه.

الثاني : لأنه كان مسمى: بعبد هشم، وقيل: إنه عبد العزى فلذلك عدل عنه.

الثالث : لأن الاسم أشرف من الكنية، لأن الكنية إشارة إليه باسم غيره، ولذلك دعا الله أنبياءه بأسمائهم.

قوله تعالى:{وَتَبَّ} [المسد : ١]، أي:" وقد تحقق خسران أبي لهب"[٥].

وفي قوله: {وتَبَّ} [المسد : ١]، وجوه من التفسير :

أحدها : أنه تأكيد للأول من قوله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، فقال بعده: {وتَبَّ}، تأكيداً.

قال ابن عطية:" أي: حتم ذلك عليه"[٦].

قال ابن كثير:" {وَتَبَّ}، أي : وقد تب تحقق خسارته وهلاكه[٧].

قال السعدي:" فلم يربح"[٨].

عن ابن عباس: "{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، قال: خسرت، {وَتَبَّ}، قال: خسر"[٩].

عن قتادة: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، قال:" خسرت يدا أبي لهب وخسر"[١٠].

قال سهل:" {تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ}، أي: خسرت يداه، {وَتَبَّ}، أي: خسر"[١١].

الثاني : يعني: تبت يدا أبي لهب بما منعه الله تعالى من أذى لرسوله ، وتب بما له عند الله من أليم عقابه. حكاه الماوردي [١٢].

الثالث : يعني: وتبّ ولد أبي لهب، قاله مجاهد[١٣].

الرابع : أن الخسران الأول: خسران المال، والخسران الآخر: خسران النفس. قاله سهل[١٤].

الخامس : أن الأول: دعاء، والثاني: خبر. قاله الفراء[١٥].

قال الفراء:" كما تقول للرجل: أهلكك الله، وقد أهلكك، أو تقول: جعلك الله صالحا، وقد جعلك"[١٦].

قال سهل: "التباب الأول كالدعاء عليه، والثاني كالإخبار عن وقوع الخسران في سابق التقدير، وهو جواب عن قول أبي لهب للنبي صلّى الله عليه وسلّم: «تباً لك»[١]، حين جمعهم ودعاهم إلى التوحيد، وأنذرهم العذاب بقوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}"[٢].

---

(١) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٥):ص٣٤٧٣/١٠.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٥/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٦٠٣.
(٦) المحرر الوجيز: ٥٣٤/٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٨.
(٨) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٤):ص٣٤٧٣/١٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٧٥/٢٤-٦٧٦.
(١١) تفسير التستري: ٢٠٩.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦٥/٦.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٥/٦.
(١٤) تفسير التستري: ٢٠٩.
(١٥) انظر: معاني القرآن: ٢٩٨/٣.
(١٦) معاني القرآن: ٢٩٨/٣.

وفي قراءة ابن مسعود : « تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَب»، جعله خبراً ، وهي على قراءة غيره تكون دعاء كالأول[٣].

القرآن

{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)} [المسد : ٢]

التفسير:

ما أغنى عنه ماله وولده، فلن يَرُدَّا عنه شيئًا من عذاب الله إذا نزل به.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أيّ شيء أغنى عنه ماله، ودفع من سخط الله عليه {وَمَا كَسَبَ}، وهم ولده"[٤].

قال السعدي:" {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ} الذي كان عنده وأطغاه، ولا ما كسبه فلم يرد عنه شيئًا من عذاب الله إذ نزل به"[٥].

قال ابن عطية:" يحتمل أن تكون {ما} نافية، ويكون الكلام خبرا عن أن جميع أحواله الدنياوية لم تغن عنه شيئا حين حتم عذابه بعد موته، ويحتمل أن تكون ما استفهاما على وجه التقرير أي أين الغناء الذي لماله ولكسبه؟ {وَما كَسَبَ}: يراد به عرض الدنيا من عقار ونحوه، أو ليكون الكلام دالا على أنه أتعب فيه نفسه لم يجئه عفوا لا بميراث وهبة ونحوه، وقال كثير من المفسرين: المراد ب ما كَسَبَ بنوه، فكأنه قال: ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وولده"[٦].

عن مجاهد :"{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}، قال: ما كسب ولده"[٧].

قال مجاهد:" ولده هم من كسبه"[٨].

قال الكلبي:" كسبه ولده"[٩].

قال مقاتل:" يعني: أولاده عتبة وعتيبة ومعتب، لأن ولده من كسبه"[١٠].

وعن قتادة: "عمله الذي ظن أنه منه على شيء، كقوله: {وَقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ}"[١١].

قال الزمخشري:" استفهام في معنى الإنكار، ومحله النصب أو نفى وَما كَسَبَ مرفوع. وما موصولة أو مصدرية بمعنى: ومكسوبه. أو: وكسبه. والمعنى: لم ينفعه ماله وما كسب بماله، يعنى: رأس المال والأرباح. أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها، وكان ذا سابياء[١٢]. أو ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه. أو ماله التالد والطارف"[١٣].

وذكر عن ابن مسعود:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب : إذا كان ما يقول ابن أخي حقا، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي، فأنزل الله :{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}"[١٤].

---

(١) سبق تخريجه في سبب نزول السورة.
(٢) تفسير التستري: ٢٠٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٥/٢٤، والنكت والعيون: ٣٦٥/٦.
(٤) تفسير الطبري: ٦٧٧/٢٤.
(٥) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(٦) المحرر الوجيز: ٥٣٤/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٧٧/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٧٧/٢٤.
(٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٧٤):ص١١٩/١.
(١٠) تفسير مقاتل نب سليمان: ٩١٤/٤.
(١١) عزاه إليه الزمخشري في "الكشاف": ٨١٥/٤.
(١٢)ذكر في القاموس من هاتبها: المال الكثير والنتاج، والإبل النتاج والغنم التي كثر نسلها. «التالد» القديم. والطارق المستحدث.
(١٣) الكشاف: ٨١٤/٤-٨١٥.
(١٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥١٥/٨.

قالت عائشة-رضي الله عنها-:" أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ابنه من كسبه، ثم قرأت: {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}، قالت: {وَمَا كَسَبَ}: ولده"[١].

عن ابن عباس:" أنه رأى يوما ولد أبي لهب يقتتلون، فجعل يحجز بينهم ويقول: هؤلاء مما كسب"[٢].

عن أبي الطفيل، قال: "جاء بنو أبي لهب إلى ابن عباس، فقاموا يختصمون في البيت، فقام ابن عباس، فحجز بينهم، وقد كُفّ بصره، فدفعه بعضهم حتى وقع على الفراش، فغضب، وقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث"[٣].

القرآن

{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤)} [المسد : ٣-٤]

التفسير:

سيدخل نارًا جهنم ذات اللَّهب المشتعل، هو وامرأته التي كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأذيَّته.

قوله تعالى:{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} [المسد : ٣]، أي:" سيدخل نارًا جهنم ذات اللَّهب المشتعل"[٤].

قال الطبري:" يقول: سيصلى أبو لهب نارا ذات لهب"[٥].

قال الزجاج:" أي: وولده سيصلى ناراً ذات لهب"[٦].

قال السعدي:" أي: ستحيط به النار من كل جانب"[٧].

قال الزمخشري:" «السين»: للوعيد، أي: هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته"[٨].

قوله تعالى:{سَيَصْلَى} [المسد : ٣]، وجهان:

أحدهما: صلي النار ، أي حطبا ووقودا ، قاله ابن كيسان[٩].

الثاني: يعني: تصليه النار، أي: تنضجه، وهو معنى قول ابن عباس[١٠]، فيكون على الوجه الأول صفة له في النار ، وعلى الوجه الثاني صفة للنار[١١]

وفي تفسير قوله تعالى:{نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} [المسد : ٣]، وجهان:

أحدهما : ما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت من نذره ووعيده.

الثاني : ذات ارتفاع وقوة واشتعال، فوصف ناره ذات اللهب بقوتها ، لأن قوة النار تكون مع بقاء لهبها.

قال ابن كثير:" أي : ذات شرر ولهيب وإحراق شديد"[١٢].

وهذه الآية تشتمل على أمرين [١٣]:

أحدهما : وعيد من الله حق عليه بكفره .

الثاني : إخبار منه تعالى بأنه سيموت على كفره ، وكان خبره صدقاً ، ووعيده حقاً.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٦):ص٣٤٧٣/١٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٧٧/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٧٧/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٦٠٣.
(٥) تفسير الطبري: ٦٧٨/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٣٧٥/٥.
(٧) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(٨) الكشاف: ٨١٥/٤.
(٩) النكت والعيون:٣٦٦/٦.
(١٠) النكت والعيون:٣٦٦/٦.
(١١) النكت والعيون:٣٦٦/٦.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٨.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٦.

قال العلماء : "وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى :{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهرًا ولا باطنًا، لا مسرًا ولا معلنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة"(١).

قوله تعالى:{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد : ٤]، أي:" هو وامرأته التي كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأذيَّته"(٢).

قال السعدي:" أي: هو {وَامْرَأَتُهُ}، وكانت أيضًا شديدة الأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول صلى الله عليه وسلم"(٣).

قال ابن كثير:" كانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي : أم جميل، واسمها أروى بنتُ حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده ؛ فلهذا تكون يوم القيامة عَونًا عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال :{حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}، يعني : تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مُهَيَّأة لذلك مستعدة له"(٤).

وفي قوله تعالى: {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد : ٤]، أربعة وجوه:

أحدها : أنها كانت تحتطب الشوك فتلقيه في طريق النبي - صلى الله عليه وسلم- ليلاً ، ليدخل في قدمه إذا خرج إلى الصلاة. قاله ابن عباس(٥)، والضحاك(٦)، وابن زيد(٧).

قال ابن عباس:" كانت تحمل الشوك، فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، ليعقره وأصحابه"(٨).

قال الضحاك:" كانت تحمل الشوك، فتلقيه على طريق نبي الله صلى الله عليه وسلم ليعقِره"(٩).

قال ابن زيد:" كانت تأتي بأغصان الشوك، فتطرحها بالليل في طريق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"(١٠).

عن أبي إسحاق:" عن رجل من همدان يقال له يزيد بن زيد، أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبيّ صلى الله عليه وسلم الشوك، فنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ... وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}"(١١).

عن عطية الجدلّي:"{حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}، قال: كانت تضع العضاه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكأنما يطأ به كثيبا"(١٢).

الثاني : أنها كانت تعيِّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالفقر ، فكان يحتطب فعُيِّرتْ بأنها كانت تحتطب، حكاه الطبري دون عزو(١٣)، وعزاه الماوردي إلى قتادة(١٤).

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥١٧/٨.
(٢) التفسير الميسر: ٦٠٣.
(٣) تفسير السعدي: ٩٣٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٨/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٧٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٧٨/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٧٨/٢٤-٦٧٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٦، وزاد المسير: ٥٠٣/٤.

قال ابن الجوزي:" وهذا القول ليس بالقوي، لأن الله تعالى وصفه بالمال"[١].
الثالث : أنها كانت تحتطب الكلام وتمشي بالنميمة، قاله الحسن[٢]، ومجاهد[٣]، وعكرمة[٤]، وقتادة[٥]، والسدي[٦]، فسمي الماشي بالنميمة: حمال الحطب، لأنه يشعل العداوة كما تشعل النار الحطب، قال الشاعر[٧]:

إنّ بني الأدْرَمِ حَمّالو الحَطَبْ ... هم الوُشاةُ في الرِّضا وفي الغَضَبْ
عليهمُ اللعْنةُ تَتْرى والحرَبْ

وقال آخر [٨]:

مِنَ البِيضِ لم تُصْطَدْ على ظهر لأمةٍ ... ولم تمشِ بَيْن الحيّ بالحَطَب والرطْبِ

عن مجاهد، وعكرمة، وسفيان: "{حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}: كانت تمشي بالنميمة"[٩].
قال قتادة:" كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة"[١٠].
قال قتادة:"أي: كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض"[١١].
قال الحسن:" كانت تحمل النميمة فتأتي بها بطون قريش"[١٢].
قال الكلبي:" حمالة النميمة"[١٣].
قل الفراء:" تحرش بين الناس، وتوقد بينهم العداوة"[١٤].
قال الزمخشري:" يقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس: يحمل الحطب بينهم، أى: يوقد بينهم النائرة ويورّث الشر"[١٥].
الرابع : أنه أراد ما حملته من الآثام في عداوة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، لأنه كالحطب في مصيره إلى النار[١٦].
قال الطبري:" الصواب عندي، قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك"[١٧].
عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زيد، وكان ألزم شيءٍ لمسروق، قال: "لما نزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، بلغ امرأة أبي لهب أن النبي صلى الله عليه وسلم يهجوك، قالت: علام يهجوني؟

---

(١) زاد المسير: ٥٠٣/٤.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٠):ص٣٤٧٣/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٦.
(٧) انظر: الكشف والبيان: ٣٢٨/١٠، والنكت والعيون: ٣٦٧/٦، و تفسير القرطبي: ٢٠/ ٢٣٩، والبحر المحيط في التفسير: ٥٦٨/١٠.
(٨) البيت بلا نسبة في لسان العرب (حطب) ، (حظر) ، (برعم) ، ومجمع الأمثال ١/ ١٧٩، ومقاييس اللغة ٢/ ٧٩، وأساس البلاغة (حظر) ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٤، ٤٥٥، وجمهرة اللغة ص ١٢٨٨، وتاج العروس (حطب) ، (حظر).
قوله:« بالحَطَب والرطْبِ»: قال الزمخشري٨١٥/٨:" جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر".
(٩) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٤، ٦٨٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٠):ص٣٤٧٣/١٠.
(١٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٧٤):ص١١٩/١.
(١٤) معاني القرآن: ٢٩٩/٣.
(١٥) الكشاف: ٨١٥/٤.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٦.
(١٧) تفسير الطبري: ٦٨٠/٢٤.

هل رأيتموني كما قال محمد أحمل حطبا؟، {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}" فمكثت، ثم أتته، فقالت: إن ربك قلاك وودعك، فأنزل الله: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}"[١].
ويقرأ:«حَمَّالَةُ الْحَطَبِ»[٢].

القرآن

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)} [المسد : ٥]

التفسير:

في عنقها حبل محكم الفَتْل مِن ليف شديد خشن، تُرْفَع به في نار جهنم، ثم تُرْمى إلى أسفلها.

قال الطبري:" يقول في عنقها; والعرب تسمي العنق: جيدا ; ومنه قول ذي الرمة:

فعَيْنَاكِ عَيْناها وَلَوْنُكِ لَوْنُها ... وجِيدُكِ إلا أنَّهَا غَيْرُ عَاطِلِ"[٣].

عن ابن زيد: "{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ}، قال: في رقبتها"[٤].

وفي قوله تعالى: {حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [المسد : ٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنها حبال كانت تكون بمكة، رواه العَوفي عن ابن عباس[٥].

قال الضحاك:" حبل من شجر، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به"[٦].

قال ابن زيد:" حبال من شجر تنبت في اليمن لها مسد، وكانت تفتل; وقال: {حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}: حبل من نار في رقبتها"[٧].

قال الكلبي:" يقال: الحبل الذي في الدلو"[٨].

قال أبو عبيدة:" المسد -عند العرب-: حبال يكون من ضروب"[٩].

أخرج الطبري بسنده الشعبي:" المسد : الليف"[١٠].

وعن الشعبي:" أنه حبل من ليف النخل"[١١]، عزاه إليه الماوردي وأنشد أنشد قول الشاعر[١٢]:

أعوذ بالله مِن لَيْل يُقرّبني ... إلى مُضاجعةٍ كالدَّلْكِ بالمسَدِ

قال الأزهري:" المسد: حبل من جلود الإبل، أو من ليف، أو من خوص"[١٣].

قال الزجاج:" «المسد» -في لغة العرب-: الحبل إذا كان من ليفِ المُقْل[١٤]، وقد يقال لما كان من أدبار الإبل من الحبال: مَسَدٌ [١٥].

الثاني : أنها قلادة من وَدَع في عنقها، على وجه التعيير لها، قاله قتادة[١٦].

قال قتادة:" قلادة من وَدَع"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٤.
(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٧٥/٥.
(٣) تفسير الطبري: ٦٨٠/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٠/٢٤-٦٨١.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٧٤):ص١١٩/١.
(٩) مجاز القرآن: ٣١٥/٢.
(١٠) كما في تفسير ابن كثير: ٥١٦/٨ قال المسد : الليف. ولم أقف عليه في نسخة تفسير الطبري.
(١١) النكت والعيون: ٣٦٨/٦.
(١٢) بلا نسبة في: النكت والعيون: ٣٦٨/٦.
(١٣) تهذيب اللغة: مادة «مسد»: ص٢٦٤/١٢.
(١٤)المقل: حمل الدوم، واحدته مقلة، والدوم شجرة تشبه النخلة في حالاتها. (اللسان).
(١٥) معاني القرآن: ٣٧٦/٥.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٤.

وذكر ابن كثير عن سعيد بن المسيب : "كانت لها قلادة فاخرة فقالت : لأنفقنها في عداوة محمد، يعني : فأعقبها الله بها حبلا في جيدها من مسد النار"[١].

قال ابن عطية:" فإنما عبر عن قلادتها بـ {حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}، على جهة التفاؤل لها، وذكر تبرجها في هذا السعي الخبيث"[٢].

الثالث : أن المَسَد: الحديد الذي يكون في البَكرة[٣]. قاله مجاهد[٤]، وعكرمة[٥].

عن مجاهد: "{حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}، قال: عود البكرة من حديد"[٦].

ونقل ابن كثير عن مجاهد :" {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}، أي : طوق من حديد، ألا ترى أن العرب يسمون البَكْرة مَسَدًا ؟"[٧].

قال أبو المعتمر: "زعم محمد أن عكرمة قال: {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}، إنه الحديدة التي في وسط البكرة"[٨].

الرابع : أنه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها، قاله الحسن [٩]، ذكرت به على وجه التعيير –أيضاً-.

الخامس : أنها قلادة من جوهر فاخر ، قالت: لأنفقنها في عداوة محمد ، ويكون ذلك عذاباً في جيدها يوم القيامة. حكاه الماوردي[١٠].

السادس : أنه إشارة إلى الخذلان ، يعني أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوطة في جيدها بحبل من مسد. حكاه الماوردي-أيضا-[١١].

السابع : أي: في عنقها حبل من النار مثل الطوق. قاله سفيان[١٢]، ومجاهد[١٣].

وقال سفيان:" حبل في عنقها في النار، مثل طوق طوله سبعون ذراعا"[١٤].

وعن مجاهد-في رواية-:" {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}: من نار"[١٥].

وذكر ابن كثير عن :" بعض أهل العلم في قوله تعالى :{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}، أي : في عنقها حبل في نار جهنم تُرفَع به إلى شفيرها، ثم يرمى بها إلى أسفلها، ثم كذلك دائما"[١٦].

قال أبو الخطاب بن دَحْية في كتابه التنوير[١٧] - وقد رَوَى ذلك - :"وعُبر بالمسد عن حبل الدلو، كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب "النبات" : كلّ مَسَد : رشاء، وأنشد في ذلك [١٨]:

وبَكْرَةً ومِحْوَرًا صِرَارًا... وَمَسَدًا مِنْ أبق مُغَارًا

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٨.
(٢) المحرر الوجيز: ٥٣٥/٥.
(٣) أي: البَكَرَة التي يلتف عليها حبل الدلو.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٥١٦/٨.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٤.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٦٨/٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦٨/٦.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٨/٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٢٨):ص٣٤٧٣/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٤.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٨):ص٣٤٧٣/١٠.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٨.
(١٧)التنوير في مولد السراج المنير، لابن دحية الكلبي، عمله لملك إربل. انظر : وفيات الأعيان (١٢٢/٣).
(١٨) بلا نسبة في: التنبيهات على أغاليط الرواتـ لأبي القاسم: ١١.. [مرقم آليا]، وذكر فيه عن أبي زياد: "الأرشية: كلها أمساد الواحد مسد، ولعل المسد: ما كان من جلود الإبل، ثم قيل لكل رشأ مسد، وأنشد:
وبكرةً ومحوراً صرّارا ... ومَسَداً من أبَق مُغارا

قال : والأبقُ : القنَّبُ"[1].
الثامن : أنه سلسلة من حديد. قاله عروة بن الزبير[2]، ومجاهد[3]، ومقاتل[4]، وهي التي قال الله تعالى فيها : {سَبْعُونَ ذِرَاعًا} [الحاقة : ٣٢].
قل الفراء:" هي: السلسلة التي في النار"[5].
قال الزجاج:" يعنى: أنها تسلك في السلسلة سبعون ذراعاً"[6].
عن مجاهد: "{مِنْ مَسَدٍ}، قال: من حديد"[7].
وقال عروة:" سلسلة من حديد من نار ذرعها سبعون ذراعا"[8]، وفي لفظ:" سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعا"[9]. وفي لفظ: "سلسلة ذرعها سبعون ذراعا"[10].
قال الحسن : "سميت «السلسلة»: مسداً، لأنها ممسودة ، أي: مفتولة"[11].
قال ابن قتيبة:" وأما «المسد»: فهو عند كثير من الناس: اللّيف دون غيره. وليس كذلك، إنما المسد: كلّ ما ضفر وفتل من اللّيف وغيره، يقال: مسدت الحبل مسدا إذا فتلته، فهو مسد. كما تقول: نفضت الشّجرة نفضا وخبطتها خبطا. واسم ما يسقط من ثمرها وورقها: نفض وخبط، ومنه قيل: رجل ممسود الخلق، إذا كان مجدولا مفتولا، ويدلّك على أن المسد قد يكون من غير الليف، قول الرّاجز[12] :
يا مسد الخوص تعوّذ منّي ... إن تك لدنا ليّنا فإنّي
ما شئت من أشمط مقسئنّ فجعله هذا من خوص.
وقال آخر [13]:
ومسد أمرّ من أيانق ... لسن بأنياب ولا حقائق
فجعله هذا من جلود الإبل.
أراد الله، تبارك وتعالى، بهذا الحبل السلسلة التي ذكرها، فقال: {فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: ٣٢]، فيجوز أن يكون سمّاها مسدا، وإن كانت حديدا أو نارا أو ما شاء الله أن تكون، بالضّفر والفتل"[14].

قال: والأبق: هُدْب الكتان، وهو عند غيره القِنّب.
وقال أبو خيرة وأصحابه من الأعراب: المسد من جلد أو أبق، والأبَق: القِنّب عام ومن مصاص، وهو نبات كالكولان أو من خلب، والخلب: الليف، وقال الفراء: المسد: الحبل من الليف ثم قيل في الحبل من الجلود ".
(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥١٧/٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩١٤/٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٩٩/٣.
(٦) معاني القرآن: ٣٧٦/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣١):ص٣٤٧٣/١٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٤.
(١١) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٦٧/٦.
(١٢)الرجز بلا نسبة في لسان العرب (مسد) ، (قسن) ، وتاج العروس (مسد) ، (قسن) ، وجمهرة اللغة ص ١٠٨٩، ١٢٢٠، وكتاب العين ٥/ ٧٩، ومقاييس اللغة ٥/ ٨٧، والمخصص ٢/ ٩٥، وتهذيب اللغة ٨/ ٤٠٩، ١٢/ ٣٨٠.
(١٣)الرجز لعمارة بن طارق في لسان العرب (حقق) ، وتاج العروس (مسد) ، (حقق) ، (نوق) ، ولعثمان بن طارق في لسان العرب (زهق) ، ولعمارة بن طارق أو لعقبة الهجيمي في التنبيه والإيضاح ٢/ ٥٣، ولسان العرب (مسد) ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٣/ ٣٨٠، ١٢/ ٣٨٠، وجمهرة اللغة ص ٧٨٥، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٢٣، ومجمل اللغة ٤/ ٣٢٨، وأساس البلاغة (مسد).
(١٤) تأويل مشكل القرآن: ١٠٣-١٠٤

قال الزمخشري:" المسد: الذي فتل من الحبال فتلا شديدا، من ليف كان أو جلد، أو غيرهما ورجل ممسود الخلق مجدوله. والمعنى: في جيدها حبل مما مسد من الحبال، وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون: تخسيسا لحالها، وتحقيرا لها، وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن، لتمتعض[١] من ذلك ويمتعض بعلها، وهما في بيت العز والشرف. وفي منصب الثروة والجدة. ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس ابن عتبة ابن أبى لهب بحمالة الحطب، فقال[٢]:

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي ... أم ما تعيّر من حمّالة الحطب

غرّاء شادخة في المجد غرّتها ... كانت سليلة شيخ ناقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى: أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع، وفي جيدها حبل من ما مسد من سلاسل النار: كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه"[٣].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو حبل جُمع من أنواع مختلفة ولذلك اختلف أهل التأويل في تأويله على النحو الذي ذكرنا"[٤].

قال السعدي:" ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة"[٥].

ورد في سيرة ابن هشام:" جعلت قريش حين منعه الله منها، وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم من سمى لنا، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار، فكان ممن سمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية، حمالة الحطب وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب لأنها كانت -فيما بلغني- تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث تمر، فأنزل الله تعالى فيهما: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)} [المسد : ١ - ٥]"[٦].

---

(١) المواهن: جمع ماهن وهي الخادم. والامتعاض: الغضب. أفاده الصحاح.

(٢) انظر: تاريخ ابن عساكر: ٣٤٠/٤٨، وهو تعبير الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب. وحمالة الحطب: زوجة أبى لهب، فهي جدته. والغراء البيضاء. والشادخة: المتسعة، وذلك مجاز عن الظهور وارتفاع المقدار. والسليلة من سل من غيره، والمراد بالشيخ: أبوها حرب، لأنها أم جميل أخت أبى سفيان بن حرب، كانت عوراء، وماتت مخنوقة بحبلها الذي كانت تحمل فيه الحطب. وقيل: حمل الحطب مجاز عن إثارة الفتنة، لأنها كانت نمامة. وإلى شتمي: متعلق بمحذوف أو بأردت على طريق التضمين، أى: أى شيء أردته مائلا أنت إلى شتمي، أو منضما هو إلى شتمي. أو ما الذي أردته من شتمي أو مع شتمي؟ هل أردت أنك شريف لا عيب فيك. ويجوز أن إلى بمعنى من كما قال النحاة، واشتشهدوا عليه بقوله:

تقول وقد عاليت بالكور فوقها ... السقي فلا يروى إلى ابن أحمرا

ويمكن أنها للمصاحبة، كما قالوه أيضا في قوله تعالى وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إلى أَمْوالِكُمْ وتعير: أصله تتعير، فحذف منه إحدى التائين. أما تتعير من جدتك التمامة لا ينبغي عدم ذلك. وروى: ثاقب الحسب. والمعنى: أن حسبه أصيل، فكأنه داخل في أجداد السابقين «أو سائر بين الناس، وذمها الآن مع رفعة شأنها فيما كان: أشد في الامتهان.

(٣) الكشاف: ٨١٥/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٤-٦٨٣.

(٥) تفسير السعدي: ٩٣٦.

(٦) سيرة ابن هشام: ٥/٢.

قال ابن إسحاق: "فذكر لي: أن أم جميل، حمالة الحطب، حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر[1] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر: أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمَّمًا عَصَيْنا
وأمرَه أبَيْنا
ودينَه قَلَيْنَا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني؟ لقد أخذ الله ببصرها عني.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش إنما تسمي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مذمما، ثم يسبونه، فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ألا تعجبون لما صرف الله عني أذى قريش، يسبون مذمما، وأنا محمد»"[2].

روي عن الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : "لما نزلت :{تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ} أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول[3]:

مُذَمَّمًا أبَيْنَا
ودينَه قَلَيْنا
وَأمْرَه عَصَيْنا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنها لن تراني". وقرأ قرآنا اعتصم به، كما قال تعالى :{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} [الإسراء : ٤٥]. فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا أبا بكر، إني أخبرت أن صاحبك هجاني ؟ قال : لا ورب هذا البيت ما هجاك. فولت وهي تقول : قد علمت قريش أني ابنة سيدها. قال : وقال الوليد في حديثه أو غيره : فعثَرَت أم جميل في مِرْطها وهي تطوف بالبيت، فقالت : تَعس مُذَمَّم. فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب : إني لحصانُ فما أكلَّم، وثَقَافُ فما أعلَّم، وكلنا من بني العم، وقريش بعد أعلم"[4].

عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال : لما نزلت :{تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ} جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، ومعه أبو بكر. فقال له أبو بكر : لو تَنَحَّيت لا تُؤذيك بشيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنه سَيُحال بيني وبينها". فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت : يا أبا بكر، هجانا صاحبك. فقال أبو بكر : لا ورب هذه البنية ما نَطَق بالشعر ولا يتفوه به. فقالت : إنك لمصدق، فلما ولت قال أبو بكر، رضي الله عنه : ما رأتك ؟ قال : "لا ما زال ملك يسترني حتى ولت"[5].

---

(١)الفهر: حجر يملأ الكف.
(٢) سيرة ابن هشام: ٦/٢.
(٣) انظر: سيرة ابن هشام: ٣٥٦/١، والروض الأنف: ١٨٨/٣، .
(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٥١٦/٨، مسند الحميدي (١٥٣/١) ورواه أبو يعلى في مسنده (٥٣/١) من طريق سفيان به.
وقد مرّ في فضائل السورة بنحوه في رواية ابن أبي شيبة. [انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٣١٧٦٨):ص٣٢٣/٦]
(٥)مسند البزار برقم (٢٢٩٤) "كشف الأستار"، ورواه أبو يعلى في مسنده (٣٣/١) من طريق عبد السلام بن حرب به، وقال الهيثمي في المجمع (١٤٤/٧) : "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط"
وقال البزار : "لا نعلمه يُروَى بأحسنَ من هذا الإسناد، عن أبي بكر، رضي الله عنه".

وقال مقاتل:" فلما نزلت هذه الآية في أبي لهب قيل لها: إن محمدا قد هجا زوجك، وهجاك، وهجا ولدك، فغضبت وقامت فأمرت وليدتها أن تحمل ما يكون في بطن الشاة من الفرث والدم والقذر، فانطلقت لتستدل على النبي- صلى الله عليه وسلم- لنلقى ذلك عليه فتصغره، وتذله به، لما بلغها عنه، فأخبرت أنه في بيت عند الصفا، فلما انتهت إلى الباب سمع أبو بكر- رحمة الله عليه- كلامها، وكان النبي- صلى الله عليه وسلم- داخل البيت فقال أبو بكر- رحمة الله عليه-: يا رسول الله إن أم جميل قد جاءت، وما أظنها جاءت بخير. فقال: النبي- صلى الله عليه وسلم-: اللهم خذ ببصرها. أو كما قال. ثم قال لأبي بكر- رحمة الله عليه-: دعها تدخل، فإنها لن تراني، فجلس النبي-- صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر- رحمة الله عليه- جميعا، فدخلت أم جميل البيت، فرأت أبا بكر- رحمة الله عليه- ولم تر النبي- صلى الله عليه وسلم-، وكانا جميعا في مكان واحد فقالت يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقال: وما أردت منه يا أم جميل؟ قالت: إنه بلغني أنه هجاني، وهجا زوجي، وهجا أولادي، وإني جئت بهذا الفرث لألقيه على وجهه، ورأسه أذله بذلك. فقال لها: والله، ما هجاك، ولا هجا زوجك، ولا هجا ولدك. قالت: أحق ما تقول يا أبا بكر. قال: نعم. فقالت: أما إنك لصادق، وأنت الصديق، وما أرى البأس إلا وقد كذبوا عليه. فانصرفت إلى منزلها، ثم إنه بدا لعتبة بن أبي لهب أن يخرج إلى الشام في تجارة، وتبعه ناس من قريش حتى بلغوا الصفاح فلما هموا أن يرجعوا عنه إلى مكة، قال لهم عتبة: إذا رجعتم إلى مكة، فأخبروا محمدا بأنى كفرت بـ {وَالنَّجْمِ إذا هَوى}، وكانت أول سورة أعلنها رسول الله- صلى الله عليه وسلم، فلما بلغ النبي- صلى الله عليه وسلم- ذلك قال: اللهم سلط عليه كلبك يأكله، فألقى الله- عز وجل- في قلب عتبة الرعب لدعوة النبي- صلى الله عليه وسلم وكان إذا سار ليلا ما يكاد ينزل بليل، فهجر بالليل، فسار يومه وليلته، وهم أن لا ينزل حتى يصبح، فلما كان قبيل الصبح، قال له أصحابه: هلكت الركاب، فما زالوا به حتى نزل، وعرس، وإبله وهو مذعور، فأناخ الإبل حوله مثل «السرادق وجعل الجواليق دون الإبل مثل السرادق ثم أنام الرجال حوله دون الجواليق، فجاء الأسد ومعه ملك يقوده، فألقى الله- عز وجل- على الإبل السكينة، فسكنت، فجعل الأسد يتخلل الإبل، فدخل على عتبة وهو في وسطهم فأكله مكانه. وبقي عظامه وهم لا يشعرون، فأنزل الله- عز وجل- في قوله حين قال لهم: قولوا لمحمد إنى كفرت بالنجم إذا هوى، يعني القرآن إذ نزل، أنزل فيه: {قُتِلَ الْإِنْسانُ} يعني لعن الإنسان {مَا أَكْفَرَهُ}، يعني: عتبة يقول أي شيء أكفره بالقرآن، إلى آخر الآيات"[1].

فوائد السورة الكريمة:

١- بيان حكم الله بأبي لهب وإبطال كيده الذي كان يكيده لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئا من عذاب الله إذا عمل بمساخطه وترك مراضيه.

٣- حرمة أذية المؤمنين مطلقا.

٤- عدم إغناء القرابة شيئا مع الشرك والكفر إذ أبو لهب عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في النار ذات اللهب.

«آخر تفسير سورة (المسد)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٩١٤-٩١٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الإخلاص»

«سورة الإخلاص»: هي السورة الثانية عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الناس»، وقبل «سورة النجم»، وآياتها خمس في عد المكيين، والشاميين، وأربع عند الباقين. وكلماتها إحدى عشرة وحروفها سبع وأربعون. المختلف فيها آية: {لَمْ يَلِد} [الإخلاص : ٣]. فواصل آياتها على «الدال»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الإخلاص»:

سميت في أكثر المصاحف وفي معظم كتب التفسير[٢]، وفي «جامع الترمذي»[٣]: «سورة الإخلاص»، واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة، لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى، أي: سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية[٤].

وذكر الماوردي في تسميتها بـ«سورة الإخلاص»، ثلاثة وجوه [٥]:

أحدها : لأن في قراءتها خلاصاً من عذاب الله .

الثاني : لأن فيها إخلاص لله من كل عيب ومن كل شريك وولد ، قاله عبد الله ابن المبارك .

الثالث : لأنها خالصة لله ليس فيها أمر ولا نهي .

٢-سورة «قل هو الله أحد»:

وردت هذه التسمية في تفسير ابن أبي زمنين[٦]، «روح المعاني» للألوسي[٧]، و«صحيح البخاري»[٨]، وهي تسمية للسورة بأول آية منها، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص : ١].

والمشهور في تسميتها في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وفيما جرى من لفظه، وفي أكثر ما روي عن الصحابة تسميتها «سورة قل هو الله أحد».

ورد في الصحيح: «قل هو الله تعدل ثلث القرآن»[٩].

وهو ظاهر في أنه أراد تسميتها بتلك الجملة لأجل تأنيث الضمير من قوله: «تعدل» فإنه على تأويلها بمعنى السورة.

وقد روي عن جمع من الصحابة[١٠] ما فيه تسميتها بذلك، فذلك هو الاسم الوارد في السنة[١١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٨٥/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٤٣/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي:٦٣٤/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٢/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٩٩/٣، والكشف والبيان: ٣٣٠/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٩١/١٢، والنكت والعيون: ٣٦٩/٦، وتفسير السمعاني: ٣٠٢/٦، وتفسير البغوي: ٥٨٤/٨، والكشاف: ٨١٧/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٥٦/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ١٦٧/٥.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠٩/٣٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧١/٦.

(٦) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٧٢/٥، و.

(٧) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.

(٨) انظر: صحيح البخاري: ١٨٠/٦.

(٩)أخرجه البخاري (٥٠١٣) و (٦٦٤٣) و (٧٣٧٤).

(١٠) انظر: الروايات في فضائل السورة.

(١١) انظر: الروايات في فضائل السورة.

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «التوحيد»:

وسميت في بعض المصاحف التونسية «سورة التوحيد»[١]، وقد وردت هذه التسمية عند الرازي[٢]، والألوسي[٣]، كما ذكرها ابن العربي في «أحكام القرآن»[٤].

ووجه تسميتها، «سورة التوحيد»،لأنها تشتمل على إثبات أنه تعالى واحد، فهي سورة التوحيد والتنزيه لله- سبحانه وتعالى- وهذا هو الأصل الأول والركن الركين للإسلام لذلك ورد أنها تعدل ثلث القرآن في ثواب قراءتها إذ الأصول العامة ثلاثة: التوحيد، تقرير الحدود وأعمال الخلق، وذكر أحوال يوم القيامة، ولا حرج على فضل الله الذي يهب لمن يقرؤها بتدبر وتفهم مثل ما يهبه لقارئ ثلث القرآن[٥].

٢-سورة «الأساس»:

ذكرها الزمخشري[٦]، والرازي[٧]، في تفسيريهما، ووجه تسميتها بـ«سورة الأساس»، لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الدين[٨].

قال الزمخشري:" وتسمى «سورة الأساس»، لاشتمالها على أصول الدين"[٩]. ثم استدل على هذه التسمية، بما روي عن قتادة، عن عمرو بن غيلان الثقفي، رحمه الله تعالى قال وهو على منبر البصرة: «حدثنا هذا الرجل الصالح من أهل الكتاب، يعني كعبا رحمه الله تعالى، أن الله عز وجل، أسس السماوات السبع، والأرضين السبع على هذه السورة «قل هو الله أحد»»[١٠].

يعني: ما خلقت السماوات والأرضون إلّا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي تضمنتها هذه السورة، وقيل: معنى تأسيسها عليها أنها إنما خلقت بالحق كما قال تعالى: {وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ} [الأنبياء: ١٦] {ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ} [الدخان: ٣٩]، وهو العدل والتوحيد، وهو إن لم يرجع إلى الأول لا يخلو عن نظر، وقيل: المراد أن مصحح إيجادهما أي بعد إمكانهما الذاتي ما أشارت إليه السورة من وحدته عز وجل واستحالة أن يكون له سبحانه شريك إذ لولا ذلك لم يمكن وجودهما لإمكان التمانع كما قرره بعض الأجلّة في توجيه برهانية قوله تعالى: {لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا} [الأنبياء: ٢٢]. وفيه بعد[١١].

وهذا الحديث لا يدل دلالة صريحة على تسمية السورة بـ«الأساس»، لأن معنى الحديث أنها الأساس الذي أسس عليه السماوات والأرض وذلك تعظيما وتشريفا لها، فلا تعد اسما للسورة-والله أعلم-.

٣-سورة «المقشقشة»:

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠٩/٣٠.
(٢) انظر: مفاتيح الغيب": ٣٥٧/٣٢.
(٣) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.
(٤) انظر: أحكام القرآن: ١٩٩٥/٤.
(٥) انظر: التفسير الواضح، للحجازي: ٩١٨/٣.
(٦) انظر: الكشاف: ٨١٩/٤.
(٧) انظر: مفاتيح الغيب": ٣٥٧/٣٢.
(٨) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٩٧/١.
(٩) الكشاف: ٨١٩/٤.
(١٠) أخرجه أبو الشيخ في "العظمة"(٨٩٣):ص١٣٧٥/٤، وابن الضريس في "الفضائل"(٢٤٦):ص١١٠، والطبري في التفسير: ٦٩٣/٢٤. ورواية الطبري:" عن كعب، قال: إن الله تعالى ذكره أسس السموات السبع، والأرضين السبع، على هذه السورة: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه".
(١١) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.

في «الكشاف»: أن هذه السورة و«سورة الكافرون»، تسميان: المقشقشتين، لأنهما تقشقشان من الشرك والنفاق، أي: المبرئتين من الشرك ومن النفاق[١].

قال أبو عبيدة: " {قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، يقال لهما: «المشقشتان»، ومعناه المبرّئتان من الكفر والشكّ والنفاق كما يقشقش الهناء الجرب فيبرئه"[٢].

٤-سورة «الصمد»:

سماها البقاعي في «نظم الدرر» «سورة الصمد»[٣]، والرازي في «مفاتيح الغيب»[٤]، والألوسي في «روح المعاني» [٥].

ويشيع على ألسنة العامة تسميتها بـ«الصمدية»، وهي تسمية عربية صحيحة نسبة إلى الصمد سمى الله تعالى نفسه فيها

ويجدر القول بأن الفخر الرازي قام بإحصاء أسماء عديدة للسورة، وقد عقد لها فصلا، فذكر لها عشرين اسما بإضافة عنوان سورة إلى كل اسم منها ولم يذكر أسانيدها. وفيما يأتي هذه الأسماء[٦]:

أحدها : «سورة التفريد»، وثانيها : «سورة التجريد»، وثالثها : «سورة التوحيد»، ورابعها: سورة الإخلاص: لأنه لم يذكر في هذه السورة سوى صفاته السلبية التي هي صفات الجلال، ولأن من اعتقده كان مخلصا في دين الله، ولأن من مات عليه كان خلاصه من النار، ولأن ما قبله خلص في ذم أبي لهب فكان جزاء من قرأه أن لا يجمع بينه وبين أبي لهب.

قال النيسابوري:" ولشرف هذه السورة سميت بأسماء كثيرة، أشهرها: «»الإخلاص»، لأنها تخلص العبد من الشرك أو من النار"[٧]. و**خامسها : «سورة النجاة»:** لأنها تنجيك عن التشبيه والكفر في الدنيا، وعن النار في الآخرة. و**سادسها : «سورة الولاية»:** لأن من قرأها صار من أولياء الله، ولأن من عرف الله على هذا الوجه فقد والاه فبعد محنة رحمة كما بعد منحة نعمة. و**سابعها : «سورة النسبة»:** لما روينا أنه ورد جوابا لسؤال من قال: انسب لنا ربك، ولأنه عليه السلام قال لرجل من بني سليم: «يا أخا بني سليم استوص بنسبة الله خيرا». وهو من لطيف المباني، لأنهم لما قالوا: انسب لنا ربك، فقال: نسبة الله هذا، والمحافظة على الأنساب من شأن العرب، وكانوا يتشددون على من يزيد في بعض الأنساب أو ينقص، فنسبة الله في هذه السورة أولى بالمحافظة عليها. **وثامنها : سورة المعرفة:** لأن معرفة الله لا تتم إلا بمعرفة هذه السورة. روى جابر:«أن رجلا صلى فقرأ: قل هو الله أحد فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن هذا عبد عرف ربه». فسميت سورة المعرفة لذلك. **وتاسعها : «سورة الجمال»:** قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله جميل يحب الجمال»[٨]، فسألوه عن ذلك فقال: «أحد صمد لم يلد ولم يولد»، لأنه إذا لم يكن واحدا عديم النظير جاز أن ينوب ذلك المثل منابه. **وعاشرها : «سورة المقشقشة»:** يقال: تقشيش المريض مما به، فمن عرف هذا حصل له البرء من الشرك والنفاق، لأن النفاق مرض كما قال: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [البقرة : ١٠]. **والحادي عشر: «المعوذة»:** روي أنه عليه السلام دخل على عثمان بن مظعون فعوذه بها وباللتين بعدها، ثم قال: «تعوذ بهن فما تعوذت بخير منها». **والثاني عشر: «سورة الصمد»:** لأنها مختصة بذكره

---

(١) الكشاف: ٨٠٨/٤.
(٢) مجاز القرآن: ٦/١.
(٣) انظر: نظم الدرر: ٣٤٨/٢٢.
(٤) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٥٧/٣٢.
(٥) انظر: روح المعاني: ٥٠٣/١٥.
(٦) قال الفخر:" اعلم أن كثرة الألقاب تدل على مزيد الفضيلة، والعرف يشهد لما ذكرناه". [مفاتيح الغيب: ٣٥٧/٣٢].
(٧) تفسير النيسابوري: ٥٩٤/٦.
(٨)رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث ١٤٧. ابن ماجه في كتاب الدعاء باب ١٠. أحمد في مسنده (٤/ ١٣٣، ١٣٤).

تعالى. و**الثالث عشر: «سورة الأساس»:** قال عليه الصلاة والسلام: «أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد». ومما يدل عليه أن القول بالثلاثة سبب لخراب السموات والأرض بدليل قوله: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} [مريم : ٩٠]، فوجب أن يكون التوحيد سببا لعمارة هذه الأشياء وقيل السبب فيه معنى قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء : ٢٢]. **والرابع عشر : «سورة المانعة»:** روى ابن عباس أنه تعالى قال: لنبيه حين عرج به أعطيتك سورة الإخلاص وهي من ذخائر كنوز عرشي، وهي المانعة تمنع عذاب القبر ولفحات النيران. **والخامس عشر : «سورة المحضر»:** لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت. **والسادس عشر : «المنفرة»:** لأن الشيطان ينفر عند قراءتها. **والسابع عشر : «البراءة»:** لأنه روي أنه عليه السلام: رأى رجل يقرأ هذه السورة فقال: «أما هذا فقد برىء من الشرك». وقال عليه السلام: «من قرأ سورة قل هو الله أحد مائة مرة في صلاة أو في غيرها كتبت له براءة من النار». **والثامن عشر : «سورة المذكرة»:** لأنها تذكر العبد خالص التوحيد، فقراءة السورة كالوسمة تذكرك ما تتغافل عنه مما أنت محتاج إليه. **والتاسع عشر : «سورة النور»:** قال الله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور : ٣٥]، فهو المنور للسموات والأرض، والسورة تنور قلبك. وقال عليه السلام: «إن لكل شيء نور، ونور القرآن قل هو الله أحد». ونظيره أن نور الإنسان في أصغر أعضائه وهو الحدقة، فصارت السورة للقرآن كالحدقة للإنسان. **والعشرون : سورة الأمان:** قال عليه السلام: «إذا قال العبد لا إله إلا الله دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»"[(١)].

وبضم اسمها المشهور: «قل هو الله أحد»، تبلغ أسماؤها اثنين وعشرين.

وذكر الفيروزآبادي-أيضا- مجموعة من الأسماء، فقال:" ولها عشرون اسما: **سورة التوحيد، وسورة التفريد، وسورة التجريد، وسورة الإخلاص، وسورة النجاة، وسورة الولاية،** السابع: **نسبة الرب،** لقوله: «لكل شيء نسبة ونسبة الرب: قل هو» . الثامن: **سورة المعرفة**. التاسع: **سورة الجمال**. العاشر: **المقشقشة**. وقد سبق في: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون : ١]، الحادي عشرة: **المعوذة**. الثاني عشر: **سورة الصمد**. الثالث عشر: **الأساس**. الرابع عشر: **المانعة**. الخامس عشر: **المحضرة**؛ لأن الملائكة تحضر لاستماعها من القارئ. السادس عشر: **المنفرة،** لأنها تنفر الشيطان. السابع عشر: **البراءة،** أي: من النفاق. الثامن عشر: **المذكرة**. التاسع عشر: **الشافية**. العشرون: **سورة النور**؛ لما في الخبر: «إن لكل شيء نورا، ونور القرآن: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص : ١] "[(٢)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود[(٣)]، والحسن[(٤)]، وعطاء[(٥)]، وعكرمة[(٦)]، وجابر[(٧)]، وقتادة[(٨)]، ومجاهد-بخلاف عنه-[(٩)].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٣٢/٣٥٧-٣٥٨.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٥٥٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٦٩، وزاد المسير: ٤/٥٠٥، وتفسير القرطبي: ٢٠/٢٤٤، والبحر المحيط في التفسير: ١٠/٥٧٠.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٦٩، وزاد المسير: ٤/٥٠٥، وتفسير القرطبي: ٢٠/٢٤٤، والبحر المحيط في التفسير: ١٠/٥٧٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٦٩، والمحرر الوجيز: ٥/٥٣٦، وزاد المسير: ٤/٥٠٥، وتفسير القرطبي: ٢٠/٢٤٤، والبحر المحيط في التفسير: ١٠/٥٧٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٦٩، وزاد المسير: ٤/٥٠٥، وتفسير القرطبي: ٢٠/٢٤٤، والبحر المحيط في التفسير: ١٠/٥٧٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٦٩، وزاد المسير: ٤/٥٠٥.

(٨) انظر: المحرر الوجيز: ٥/٥٣٦، والبحر المحيط في التفسير: ١٠/٥٧٠.

(٩) انظر: المحرر الوجيز: ٥/٥٣٦، والبحر المحيط في التفسير: ١٠/٥٧٠.

الثاني: مدنية، روي عن ابن عباس[١]، وأبو العالية[٢]، وقتادة[٣]، والضحاك[٤]، والقرظي[٥]، والسدي[٦].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور... ومنشأ هذا الخلاف الاختلاف في سبب نزولها"[٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

وجه مناسبتها لما قبلها: أمر الله نبيه في السورة السابقة بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وفي هذه السورة سورة التوحيد والبراءة من الشرك تصريح باستقلال عبادته عن عبادة الكفار، فهو لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون من الأوثان والأصنام، وبالغ في ذلك فكرّره وأكّده، وانتهى إلى أن له دينه، ولهم دينهم[٨].

قال أبو حيان:" ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد"[٩].

وقيل: إنها متصلة بسورة : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، في المعنى فهما بمنزلة كلمة التوحيد في النفي والإثبات، ولهذا تسميان بالمقشقشتين، وقرن بينهما في القراءة في صلوات كثيرة، إلّا أنه فصل بينهما بسورتين: «سورة النصر»، و«سورة المسد»، لما تقدم في موضعه، من أن سورة النصر قرنت بسورة «الكافرون»، لأن سورة «الكافرون» تضمنت اختلاف دين الرسول ودين قريش، و«سورة النصر» تضمنت أن دينه عليه الصلاة والسلام هو الغالب، وهو السائد والمنصور، و«سورة المسد» قرنت بـ«بسورة النصر»، لأن «سورة النصر» تضمنت أن ثواب الطاعة حصول النصر والغلبة والاستعلاء في الدنيا، و«سورة المسد» بينت أن عاقبة العاصي الخسران في الدنيا فلهذا تلتها[١٠].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تعدّ سورة الإخلاص من قصار السور فعدد آياتها أربع آيات، إلا أن مكانتها عظيمة بين المسلمين فهي تدخل في معظم الأدعية والأذكار، وتعظم مقاصد سورة الإخلاص ومضامينها لأنها تدور حول تأكيد وحدانية الله تعالى، ونفي الشريك عنه سبحانه وتعالى، والتأكيد على أن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة السائل ويقضي طلب المحتاج، بالإضافة إلى أنه لم يلد، ولم يولد، ولا نظير له ولا شبيه، مما يوجب صرف العبادة له وحده دون شريك.

وتتمثل مقاصد سورة الإخلاص الإجمالية في بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص في التوحيد بإثبات الكمال،

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، والمحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠.

وفي الدر المنثور: ٦٧١/٨:" وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال: جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنسب لنا ربك وفي لفظ: صف لنا ربك فلم يدر ما يرد عليهم فنزلت {قل هو الله أحد} حتى ختم السورة".

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠.

(٧) التحرير والتنوير: ٦١١/٣٠. وستأتي الروايات في بيان سبب نزولها إن شاء الله.

(٨) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٤٣٧/٣٠.

(٩) البحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(١٠) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٢٠٤٨/١٠.

ونفي شوائب النقص والاختلال، المثمر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات اللجاء والاعتماد في جميع الأحوال، وعلى ذلك دل اسمها الإخلاص الموجب للخلاص.

وقد جاءت مقاصد «سورة الإخلاص» التفصيلية، على النحو الآتي:

١- الإشارة إلى أصل من أصول الإسلام؛ وهو توحيد الله تعالى بالأسماء والصفات، حيث بينت صفاته عز وجل، وأنه واحد لا شريك له، ولا نظير، ولا شبيه، ولا صاحبة، ولا ولد له سبحانه وتعالى، إذ لم يلد ولم يلد، وبينت السورة أن الله -تعالى- هو الصمد الذي يفتقر إليه في كافة الحاجات التي يحتاجها البشر.

٢- اشتمال السورة على التوحيد الاعتقادي، حيث تبين ما يجب إثباته لله -تعالى- من الصفات كالوحدانية، والصمدية، والصفات المثبتة لجميع صفات الكمال، والمنافية لصفات النقص والعجز، كاتخاذ الصاحبة والولد، بالإضافة إلى نفي الكفء الذي يقتضي نفي التمثيل والتشبيه، ويمكن القول إن السورة تدور حول إثبات الكمال لله تعالى، ونفي النقص عنه عز وجل.

٣- ترسيخ أول أصل وأعظم ركن من أركان الإسلام، وهو التوحيد الذي بعث الله -تعالى- الأنبياء جميعا، وخاتمهم محمد -صلى الله عليه وسلم- لدعوة الناس إليه، وإخراجهم من الشرك.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان الوحدانية، وذكر الصمد، وتنزيه الحق من الولد والوالد والولادة، والبراءة من الشركة والشريك في المملكة"[١].

قال الزحيلي:" هذه السورة المكية- سورة البراءة من عمل المشركين والإخلاص في العمل للّه تعالى، وضعت الحد الفاصل النهائي بين الإيمان والكفر، وبين أهل الإيمان وعبدة الأوثان، فحينما طلب المشركون المهادنة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وأن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، نزلت السورة تقطع أطماع الكفار الرخيصة، وتفصل النزاع بين فريقي المؤمنين والكافرين إلى الأبد"[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٣].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي سعيد الخدري: "أن رجلا سمع رجلا يقرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[٤].
- عن أبي هريرة، قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أقرأ عليكم ثلث القرآن»، فقرأ: قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها"[٥].
- روي أنه صلّى الله عليه وسلّم دخل المسجد، فسمع رجلا يدعو ويقول: أسألك يا الله يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال: «غفر لك، غفر لك، غفر لك»[٦]، ثلاث مرات.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.

(٢) التفسير المنير: ٤٣٧/٣٠.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف العزيز: ٥٥٣/١.

(٤)صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٣ و ٦٦٤٣ و ٧٣٧٤ ومالك ١/ ٢٠٨ وأحمد ٣/ ٣٥ وأبو داود ١٤٦١ والنسائي ٢/ ١٧١ وابن حبان ٧٩١ كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥)صحيح. أخرجه مسلم ٨١٢ وأحمد ٢/ ٤٢٩ من حديث أبي هريرة.

(٦)رواه الطبراني في المعجم الصغير (٢: ٢٠) ، وابن حجر في لسان الميزان (٤: ٥٥٧) ، وابن كثير في التفسير (٦: ٩٥) ، والبخاري في التاريخ الكبير (١: ٢٦٦) ، والسيوطي في الدر المنثور (٥: ٦) ، والعقيلي في الضعفاء (٣: ٢٢٤).

- وعن سهل بن سعد جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم وشكا إليه الفقر فقال: «إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة»[١] . ففعل الرجل فأدر الله عليه رزقا حتى أفاض على جيرانه.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلّى الله عليه وسلّم قال: «من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشر مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى»[٢].
- وروي أنه صلّى الله عليه وسلّم قال: «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه، لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة»[٣].
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"[٤].
- عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في الركعة الأولى:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، و{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، وفي الثانية «الْعَصْرُ»، و{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، و{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، وفي الثالثة:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{تَبَّتْ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»[٥].
- عن أبي هريرة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "[٦].[صحيح]
- عن ابن عمر:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "[٧].[صحيح]

---

(١)رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ١٤٦) ، والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٤١٥).
(٢)رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ١٤٥) ، والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٤١٢) ، والقرطبي في التفسير (٢٠: ٢٤٩) ، والألباني في السلسلة الضعيفة (٣٠١).
(٣)رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦: ٢٤١٦).
(٤) سنن الترمذي(٢٨٩٥):ص١٦/٥. وقال :"هذا حديث حسن".
(٥) مسند أبي يعلى الموصلي(٤٦٠):ص٣٥٦/١.[إسناده ضعيف]
(٦) صحيح مسلم(٧٢٦):ص٥٠٢/١.
(٧) المسند(٤٧٦٣):ص٣٨١/٨. إسناده صحيح على شرط الشيخين إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق وسماعه من جده أبي إسحاق وهو عمرو بن عبد الله السبيعي - فى غاية الإتقان للزومه إياه ومجاهد: هو ابن جبر المكي وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١ من طريق عبد الله بن رجاء، وأبي نعيم، كلاهما عن إسرائيل، بهذا الإسناد.
وأخرجه الطيالسي (١٨٩٣) وابن أبي شيبة ٢٤٢/٢، والطبراني في "الكبير" (١٣٥٢٨) ، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم، عن أبي إسحاق، به.
وأخرجه النسائي في "المجتبى" ١٧٠/٢، والبيهقي في "السنن" ٤٣/٣ من طريق أبي الجواب، عن عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، به. ورواية غير عمار بن رزيق عن أبي إسحاق بعدم ذكر إبراهيم بن مهاجر أصح وأقوى.
وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٣١٢٣) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، دون ذكر ركعتي المغرب.
وعبد العزيز بن عمران متروك.

- عن ليث، قال: حدثني أبو محمد، قال: رمقت ابن عمر شهرا فسمعته في الركعتين، قبل صلاة الصبح يقرأ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، قال: فذكرت له ذلك فقال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا أو خمسة وعشرين يوما يقرأ في الركعتين قبل صلاة الصبح: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، وقال: «إن إحداهما تعدل بثلث القرآن، والأخرى بربع القرآن، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل بثلث القرآن، و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون} تعدل بربع القرآن»[1].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

وأخرجه ابن عدي في "الكامل " ٢٦٤٨/٧ من طريق يحيى بن أبي أنيسة، عن نفيع بن الحارث، عن ابن عمر، به. دون ذكر ركعتي المغرب. ويحيى بن أبي أنيسة ضعيف.

وانظر: الحديث في: مسند أحمد-أيضا- برقم (٤٩٠٩) و (٥٦٩١) و (٥٦٩٩) و (٥٧٤٢) ، وتكرر برقم وفي الباب في ركعتي الفجر: عن أبي هريرة عند مسلم (٧٢٦) ، وأبي داو (١٢٥٦) ، والنسائي ١٥٦/٢، وابن ماجه (١١٤٨) .

وعن جابر عند ابن حبان (٢٤٦٠) .

وعن أنس عند الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١.

وعن عائشة سيرد ١٨٤/٦.

وفي ركعتي الفجر والمغرب معا: عن ابن مسعود عند ابن ماجه (١١٦٦) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/١.

قال السندي: قوله: "بضعا وعشرين مرة": يريد أنه كان يقرأ السورتين في الركعتين المذكورتين مرارا، لا أنه قرأهما مرة أو مرتين في عمره، ثم ترك، ويستبعد أن يكون مراده التكرار دفعة، لأن مبنى سنة الفجر على التخفيف، والله تعالى أعلم.

(١) مسند أبي يعلى الموصلي(٥٧٢٠):ص٨٢/١٠.[إسناده ضعيف]

القرآن
{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)} [الإخلاص : ١]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: هو الله المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يشاركه أحد فيها.

اختلف في سبب نزول السورة، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة، قاله أُبَيّ بن كعب(١)، وجابر بن عبدالله(٢)، وابن مسعود(٣). [وعلى هذا القول السورة مكية]

عن أبي بن كعب: «أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم:يا محمد، انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك وتعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص : ١ - ٤]»"(٤).

عن جابر قال: "قالوا: يا رسول الله، انسب لنا ربك، «فنزلت: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] إلى آخرها»(٥).

عن ابن مسعود قال: " قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}"(٦).

عن عكرمة، قال: "إن المشركين قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن ربك، صف لنا ربك ما هو، ومن أي شيء هو؟ فأنزل الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، إلى آخر السورة"(٧).

الثاني: أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عامر: إلام تدعونا يا محمد؟ قال: إلى الله، قال: صفه لنا أمن ذهب هو؟ أم من فضة؟ أم من حديد؟ أم من

---

(١) انظر: المسند(٢١٢١٩):ص١٤٣/٣٥-١٤٤.

(٢) انظر: المعجم الأوسط للطبراني (٥٦٨٧):ص٢٥/٦.

(٣)رواه عُبيد بن إسحاق العطار كما في تفسير ابن كثير (٥١٨/٨).

(٤) أخرجه احمد في المسند(٢١٢١٩):ص١٤٣/٣٥-١٤٤، إسناده ضعيف لضعف أبي سعد محمد بن ميسر وأبي جعفر الرازي -وهو عيسى بن ماهان- أبو العالية: هو رفيع بن مهران.

وأخرجه الترمذي (٣٣٦٤) ، والطبري ٦٨٧/٢٤، وابن خزيمة في "التوحيد" ٩٥/١، والعقيلي في "الضعفاء" ١٤١/٤، وابن عدي في "الكامل" ٢٢٣١/٦، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص٢٧٩، والواحدي في "أسباب النزول" ص٣٠٩ من طريق أبي سعد الصاغاني، بهذا الإسناد. وزاد عن

بعضهم: فالصمد: الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث، (ولم يكن له كفوا أحد) قال: لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء. وهذه الزيادة نظنها من كلام أبي جعفر الرازي.

وأخرجه الحاكم ٥٤٠/٢ وعنه البيهقي في "الأسماء والصفات" ص٤٤ من طريق محمد بن سابق، عن أبي جعفر الرازي، به. وفيه عندهما الزيادة المذكورة.

وأخرجه الترمذي (٣٣٦٥) من طريق عبيد الله بن موسى، والطبري ٣٤٣/١ من طريق مهران بن أبي عمر العطار، والعقيلي ١٤١/٤ من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم، ثلاثتهم عن أبي جعفر، به مرسلا. وقال: هذا أصح من حديث أبي سعد. قلنا: وهو ضعيف أيضا لضعف أبي جعفر الرازي.

وفي الباب عن جابر عند الطبري ٦٨٧/٢٤-٦٨٨، وأبي يعلى (٢٠٤٤) ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص٢٧٩، وإسناده ضعيف. كما سيأتي.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط(٥٦٨٧):ص٢٥/٦، والطبري في "التفسير":٦٨٧/٢٤-٦٨٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور: وزاد نسبته لأبي يعلى وابن المنذر، وأبي نعيم والبيهقي، وضعفه الهيثمي (مجمع الزوائد: ١٤٦/ ٧) وهو كما قال بسبب مجالد بن سعيد (تقريب التهذيب: ٢٢٩/٢ - رقم: ٩١٩).

(٦) رواه عُبيد بن إسحاق العطار كما في تفسير ابن كثير (٥١٨/٨) وإسناده ضعيف فيه عبيد ابن إسحاق ضعيف، وقيس بن الربيع مختلف فيه.

ورواه الطيالسي عن قيس، عن عاصم، عن أبي وائل مرسلا، ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (٨٩).

قال الطبراني : رواه الفريابي وغيره، عن قيس، عن أبي عاصم، عن أبي وائل، مرسلا. [تفسير ابن كثير: ٥١٩/٨]

(٧) أخرجه الطبري: ٦٨٧/٢٤.

خشب؟ فنزلت هذه السورة فأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون. قاله ابن عباس[١].[فتكون السورة مدنية، لأنهما ما أتياه إلا بعد الهجرة]

الثالث: جاء ناس من اليهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو؟ من ذهب هو أم نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة وهي نسبة الله خاصة. قاله قتادة[٢]، والضّحّاك[٣]، ومقاتل[٤]. وروي نحوه عن ابن عباس[٥].

عن ابن عباس :" إن اليهود جاءت النبي -صلى الله عليه وسلم- منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)} [الإخلاص : ١ - ٢]، {لَمْ يَلِدْ} فيخرج منه الولد، {وَلَمْ يُولَدْ} فيخرج من شيء"[٦].

وروي عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام:" أن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه- قال لأحبار اليهود: إني أردت أن أحدث بمسجد أبينا إبراهيم عهدا، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: أنت عبد الله بن سلام؟ قال: نعم، قال: أدن، فدنا منه، فقال: أنشدك بالله أما تجدني في التوراة رسول الله؟ فقال له انعت لنا ربك، فجاء جبريل فقال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، إلى آخر السورة، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ابن سلام: أشهد إن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ثم انصرف إلى المدينة وكتم إسلامه"[٧].

وقال قتادة:" جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أنسب لنا ربك، فنزلت: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، حتى ختم السورة"[٨].

---

(١)عزاه البغوي في «التفسير»: ٥٨٤/٨ لأبي صالح وأبي ظبيان عن ابن عباس، وأبو صالح متهم في روايته عن ابن عباس، وراوية أبي ظبيان ابنه قابوس، وهو ضعيف. ولا يصح هذا الخبر.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٦٨٨/٢٤.

(٣) عزاه إليه الواحدي في "أسباب النزول": ٤٧١، والبغوي في"التفسير": ٥٨٤/٨، ولم أره عن الضحاك مسندا.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٢٣٩٢٤/٤.

قال مقاتل:" وذلك أن عامر بن الطفيل بن صعصعة العامري، دخل على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، أما والله لئن دخلت في دينك ليدخلن من خلفي، ولئن امتنعت ليمتنعن من خلفي، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: فما تريد؟ قال: أتبعك على أن تجعل لي الوبر ولك المدر، قال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لا شرط في الإسلام. قال: فاجعل لي الخلافة بعدك. قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: لا نبي بعدي. قال: فأريد أن تفضلني على أصحابك. قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: لا ولكنك أخوهم إن أحسنت إسلامك. فقال : فتجعلني أخا بلال، وخباب بن الأرت، وسلمان الفارسي، وجعال. قال: نعم. فغضب وقال: أما والله لأثيرن عليك ألف أشقر عليها ألف أمرد، فقال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ويحك تخوفني؟، قال له جبريل- عليه السلام- عن ربه: لأثيرن على كل واحد منهم ألفًا من الملائكة، طول عنق أحدهم مسيرة سنة، وغلظها مسيرة سنة، وكان يكفيهم واحد، ولكن الله- عز وجل- أراد أن يعلمه كثرة جنوده، فخرج من عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وهو متعجب مما سمع منه فلقيه الأربد بن قيس السهمي، فقال له: ما شأنك؟ وكان خليله فقص عليه قصته، وقال: إنى دخلت على ابن أبي كبشة آنفًا، فسألته الوبر، وله المدر فأبى، ثم سألته من بعده فأبى، ثم سألته أن يفضلني على أصحابه فأبى، وقال: أنت أخوهم إن أحسنت إسلامك. فقال له: أفلا قتلته؟ قال: لم أطق ذلك. قال: فارجع بنا إليه، فإن شئت حدثته حتى أضرب عنقه فانطلقا على وجوههما حتى دخلا على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقعد عامر عن يمينه والأربد عن يساره، «وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- علم ما يريدان. قال: وجاء ملك من الملائكة فعصر بطن الأربد بن قيس، وأقبل عامر على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقد وضع يده على فمه وهو يقول: يا محمد لقد خوفتني بأمر عظيم، وبأقوام كثيرة فمن هؤلاء؟ قال: جنودي وهم أكثر مما ذكرت لك. قال: فأخبرني ما اسم ربك؟ وما هو؟ ومن خليله؟ وما حيلته؟ وكم هو؟ وأبو من هو؟ ومن أي حي هو؟ ومن أخوه؟. وكانت العرب يتخذون الأخلاء في الجاهلية، فأنزل الله- تعالى- {قل} يا محمد {هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...}".

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٣):ص٣٤٧٤/١٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٣):ص٣٤٧٤/١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٣):ص٣٤٧٤/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٨٨/٢٤.

قلت: ولا يصح هذا الخبر، لأن السورة مكية، وأخبار اليهود وسؤالاتهم مدنية، والراجح في ذلك هو القول الأول-والله أعلم-.

قال ابن عاشور:" الصحيح أنها مكية فإنها جمعت أصل التوحيد وهو الأكثر فيما نزل من القرآن بمكة، ولعل تأويل من قال: إنها نزلت حينما سأل عامر بن الطفيل وأربد، أو حينما سأل أحبار اليهود، أن النبيء صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم هذه السورة، فظنها الراوي من الأنصار نزلت ساعتئذ أو لم يضبط الرواة عنهم عبارتهم تمام الضبط"(١).

قال السيوطي:" وجمع بعضهم بينهما بتكرر نزولها، ثم ظهر لي بعد ترجيح أنها مدنية كما بينته في أسباب النزول"(٢).

قال الطبري-في تفسير الآية-:"قل يا محمد لهؤلاء السائليك عن نسب ربك وصفته، ومَن خَلقه: الربّ الذي سألتموني عنه، هو الله الذي له عبادة كل شيء، لا تنبغي العبادة إلا له، ولا تصلح لشيء سواه"(٣).

قال الزجاج:" المعنى: الذي سألتم تبيين نِسْبَته {هُوَ الله أحد}"(٤).

قال النحاس:" {هُوَ} في موضع رفع بالابتداء، كناية عن الحديث على قول أكثر البصريين والكسائي، أي: الحديث الذي هو الحق: الله أحد"(٥).

قال الماوردي:" الأحد : هو المتفرد بصفاته الذي لا مِثل له ولا شبه"(٦).

قال الفراء:" وهذا من صفاته: أنَّهُ واحد، وأحد وإن كَانَ نكرة"(٧).

فأما «الأحد»، و«الواحد»، ففيهما ثلاثة وجوه :

أحدهما: أنه لا فرق بينهما. وهذا مذهب ابن عباس(٨)، وأبي عبيدة(٩).

قال أبو عبيدة:" «أحد»، أي: واحد"(١٠).

قال ابن عباس:" يريد الواحد الذي ليس كمثله شيء"(١١).

الثاني : أن «الأحد»: لا يدخل العدد، و«الواحد»: يدخل في العدد ، لأنك تجعل للواحد ثانياً ، ولا تجعل للأحد ثانياً. وهذا قول ثعلب(١٢).

ورد عليه أبو حيان بأنه يقال: «أحد وعشرون ونحوه فقد دخله العدد»(١٣).

الثالث : أن «الأحد»: يستوعب جنسه، و«الواحد»: لا يستوعب، لأنك لو قلت: فلان لا يقاومه أحد ، لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر ، فصار الأحد أبلغ من الواحد. حكاه الماوردي-أيضا-(١٤).

---

(١) التحرير والتنوير: ٦١١/٣٠.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٥٥/١.

(٣) تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٤.

(٤) معاني القرآن: ٣٧٧/٥.

(٥) إعراب القرآن: ١٩٤/٥.

(٦) النكت والعيون: ٣٧٠/٦.

(٧) معاني القرآن: ٢٩٩/٣.

(٨) عزاه إليه الواحدي في "التفسير الوسيط" ٤/ ٥٧١، و"التفسير البسيط": ٤٣١/٢٤، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٥٠٦/٤.

(٩) انظر: مجاز القرآن: ٣١٦/٢.

(١٠) مجاز القرآن: ٣١٦/٢.

(١١) عزاه إليه الواحدي في "التفسير الوسيط" ٤/ ٥٧١، و"التفسير البسيط": ٤٣١/٢٤.

(١٢)عزاه إليه أبو حيان في "البحر المحيط": ٥٧١/١٠، والشوكاني في "الفتح القدير": ٦٣٣/٥، وحكي هذا القول دون نسبة في : النكت والعيون: ٣٧٠/٦-٣٧١، وزاد المسير: ٥٠٦/٤.

قال أبو حيان:" بين واحد وأحد فرق، الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان، والأحد لا يدخله. يقال: الله أحد، ولا يقال: زيد أحد، لأن الله خصوصية له الأحد، وزيد تكون منه حالات، انتهى. وما ذكر من أن أحدا لا يدخله ما ذكر منقوض بالعدد".

(١٣) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٧١/١٠.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٠/٦-٣٧١، وزاد المسير: ٥٠٦/٤.

وقال أبو سليمان الخطابي: "الواحد: هو المنفرد بالذات، فلا يضاهيه أحد، والأحد: هو المنفرد بالمعنى، لا يشاركه فيه أحد"[١].

وأصل «الأحد» عند النحويين: الوحد، ثم أبدلوا عن الواو الهمزة"[٢].

قال الأزهري: "لا يوصف شيء بالأحدية غير الله -تعالى- لا يقال: رجلٌ أحدٌ، ولا درهم أحدٌ. كما يقال: رجل وَحَدٌ، أي: فرد"[٣].

قرأ الجمهور: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، بإثبات {قُلْ}، وقرأ عبد الله بن مسعود وأبي: «الله أحد»، بدون «قل»[٤]. وقرأ الأعمش «قل هو الله الواحد» ، وقرأ الجمهور بتنوين «أحد»، وهو الأصل. وقرأ زيد بن علي وأبان بن عثمان وابن أبي إسحاق والحسن وأبو السمال وأبو عمرو في رواية عنه بحذف التنوين للخفة[٥].

القرآن

{اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)} [الإخلاص : ٢]

التفسير:

الله الذي كَمُل في صفات الشَّرَف والمجد والعظمة، الذي يقصده الخلائق في قضاء الحوائج والرغائب.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له الصمد"[٦].

قال النحاس:" فيه ست تقديرات[٧]: أحسنها أن يكون قولك اللَّهُ رفعا بالابتداء الصَّمَدُ نعته وما بعده خبره"[٨].

قال الشوكاني: "وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية"[٩].

وفي تفسير: «الصَّمَد»، أقوال:

أحدها : أن «الصَّمَد»: هو السيد الذي تصمد إليه الخلق في حوائجهم ومطالبهم، قاله ابن عباس[١٠]، والحسن[١١]، وسعيد بن جبير[١٢]، وأبو وائل[١٣]، وإبراهيم النخعي[١]، وبه قال أبو

---

(١) انظر: شأن الدعاء: ٨٣، وزاد المسير: ٥٠٦/٤.

(٢) نقلا عن: زاد المسير: ٥٠٦/٤.

(٣) انظر: "تهذيب اللغة" ٥/ ٩٧ – ١٩٨. [بتصرف].

(٤)قال القرطبي: ٢٤٥/٢٠ :" وقد أسقط من هذه السورة من أبعده الله وأخزاه، وجعل النار مقامه ومثواه، وقرأ: «الله الواحد الصمد» في الصلاة، والناس يستمعون، فأسقط: {قل هو}، وزعم أنه ليس من القرآن. وغير لفظ أحد، وأدعى أن هذا هو الصواب، والذي عليه الناس هو الباطل والمحال، فأبطل معنى الآية، لأن أهل التفسير قالوا: نزلت الآية جوابا لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: صف لنا ربك، أمن ذهب هو أم من نحاس أم من صفر؟ فقال الله عز وجل ردا عليهم: قل هو الله أحد. ففي هو دلالة على موضع الرد، ومكان الجواب، فإذا سقط بطل معنى الآية، وصح الافتراء على الله عز وجل، والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم".

(٥) انظر: السبعة في القراءات: ٧٠١، وفتح القدير للشوكاني: ٦٣٣/٥.

(٦) تفسير الطبري: ٦٨٩/٢٤.

(٧)والقول الثاني أن يكون الصمد الخبر، والقول الثالث أن يكون على إضمار مبتدأ، والرابع أن يكون خبرا بعد خبر، والخامس أن يكون بدلا من أحد، والسادس أن يكون بدلا من قولك الله الأول.

(٨) إعراب القرآن: ١٩٤/٥.

(٩) فتح القدير: ٦٣٤/٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٥):ً٣٤٧٤/١٠

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير: (٥٠٦/٤)عن ابن عباس مرفوعا، ولم أقف عليه، وتفرد ابن الجوزي بذكره دون سائر المفسرين أمارة لوهنه أو وضعه لخلوه عن كتب الحديث والأثر والتفسير، ولو صح مرفوعا ما اختلف المفسرون في تأويل «الصمد».

(١١) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٩/٢.

(١٢) عزاه إليه البغوي في "التفسير": ٥٨٨/٨.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤.

عبيدة[٢]، وابن قتيبة[٣]، والزجاج[٤]، وسهل بن عبدالله[٥]، وابن عطية[٦]، والقرطبي[٧]، والبيضاوي[٨]، والنسفي[٩]، والشوكاني[١٠]، وغيرهم. والعرب تقول لسيدها ولعظيمها: صمد، ومنه قول الشاعر[١١]:

عَلوْتُه بحُسامٍ ثم قلت له ... خُذْها حُذَيْفَ فأنت السيّد الصَّمَدُ

ويقال: بيت مصمود ومصمّد، إذا قصده الناس في حوائجهم[١٢]، قال طرفة [١٣]:

إن يَلْتَقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقِني ... إلى ذِروة البيتِ الرفيع المصمَّدِ

ومنه قول الأخر[١٤]:

ألا بَكَرَ النَّاعي بِخَيْرَيْ بَنِي أسَدْ ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

قال الواحدي: معناه: "أن السؤدد انتهى إلى الله، فلا سيد فوقه، كما أن العلم انتهى إليه، ففوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إليه، فلا عالم فوقه"[١٥].

قال أبو عبيدة:" هو الذي يصمد إليه، ليس فوقه أحد، والعرب كذلك تسمّى أشرافها"[١٦].

قال ابن قتيبة:" {الصَّمَدُ} السَّيد الذي قد انتهى سُودَدُه؛ لأن الناس يَصْمِدُونه في حوائجهم"[١٧].

قال الزجاج:" وأصحه: أنه السيد المصمود إليه في الحوائج"[١٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير "الإخلاص لابن تيمية": (ص٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٨٧) وإسناده حسن مقطوع.

(٢) انظر: مجاز القرآن: ٣١٦/٢.

(٣) انظر: غريب القرآن: ٥٤٢.

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى: ٥٨، ومعاني القرآن: ٣٧٧/٥.

(٥) انظر: تفسير التستري: ٢٠٩.

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٢٤٥/٢٠.

(٨) انظر: تفسير البيضاوي: ٣٤٧/٥.

(٩) انظر: تفسير النسفي: ٦٩٤/٣.

(١٠) انظر: فتح القدير: ٦٣٣/٥.

(١١)ورد البيت منسوب لعمرو بن الأسلع العبسي في "الزاهر" لابن الآنباري ١/ ١٨٠، و"بصائر ذوي التمييز" للفيروزابادي ٣/ ٤٤٠ وغير منسوب في: "الكشف والبيان" ١٣/ ١٨٩ ب برواية: (بحسام)، و"الصحاح" ٢/ ٤٩٩ (صمد)، و"لسان العرب" ٣/ ٢٥٨، و"تاج العروس" ٢/ ٤٠١، و"الأمالي" لأبي علي القالي ٢/ ٢٨٨، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢٤٥: برواية: (بحسام، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٧٣: برواية (حزيت)، و"تفسير سورة الإخلاص" ص ٤١.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٣٣٤/١٠.

(١٣)ورد البيت في: "ديوانه" ٣٠، ط. المؤسسة العربية، و"معجم مقاييس اللغة" ٣/ ٣١٠ (صمد)، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٨٩ ب برواية (وإن)، و"مجموع الفتاوى" ١٧/ ٢١٧، و"دقائق التفسير" ٦/ ٣٥٧، و"تفسير أسماء الله الحسنى" للزجاج ص ٥٩، و"الأمالي" لأبي علي القالي: ٢/ ٢٨٨.

معنى البيت: الصمد: القصد، يقول: وإن اجتمع الحي للافتخار. تلاقني أنتمي وأعتزي. إلى ذروة البيت الشريف: إلى أعلى الشرف. يريد أنه أوفاهم حظًا من الحب أعلاهم سهمًا من النسب.

(١٤)ورد البيت غير منسوب في: "شعر بني أسد في الجاهلية" د. أحمد الجاسم ص ٣٧، و"جامع البيان" ٣٠/ ٣٤٧، و"مجاز القرآن" ٢/ ٣١٦ برواية بخير، و"معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٧٨، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٨٩ ب، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٧١، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٥٣٦ برواية (بخير)، و"زاد المسير" ٨/ ٣٣١، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ١٨١، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢٤٥، برواية (بخير)، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٧٣، و"الأغاني" ٢٢، ٩٢، ط. دار الكتب، و"فتح القدير" ٥/ ٥١٧، و"تهذيب اللغة" ١٢/ ١٥ (صمد)، و"لسان العرب" ٣/ ٢٥٨، و"فتح الباري" ٨/ ٧٤٠، و"الأمالي" لأبي علي القالي ٢/ ٢٨٨، و"سمط اللآلي" ص ٩٣٢، و"تفسير سورة الإخلاص" ص ٤١.

(١٥) التفسير البسيط: ٤٣٨/٢٤.

(١٦) مجاز القرآن: ٣١٦/٢.

(١٧) غريب القرآن: ٥٤٢.

(١٨)تفسير أسماء الله الحسنى: ٥٨.

قال ابن عطية:" الصَّمَدُ في كلام العرب السيد الذي يصمد إليه في الأمور ويستقل بها"[١].

قال ابن الأنباري:" لا خلاف بين أهل اللغة أن «الصمد»: هو السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم"[٢].

قال الشوكاني:" الصمد: هو الذي يصمد إليه في الحاجات، أي: يقصد لكونه قادرا على قضائها، فهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض لأنه مصمود إليه، أي: مقصود إليه"[٣].

قال السمين: أي:" هو السند الذي يسند إليه في الأمور، أي: يقصد. يقال صمد صمده أي قصد قصده معتمدًا عليه، وقيل: الصمد: المرتفع الرتبة. ومنه: بناءٌ مصمدٌ، أس مرتفعٌ عالٍ. والصمْد بسكون العين: ما شرف من الأرض وعل"[٤].

قال الفيروزآبادي:" «الصمد»: المكان المرتفع الغليظ لا يبلغ أن يكون جبلا مرتفعا، و«الصماد»: عفاص القارورة أو سدادها. وقد صمدتها أصمدها. و«الصمد» - بالتحريك -: السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج، أي: يقصد. ومنه حديث عمر رضى الله عنه: «أيها الناس إياكم وتعلم الأنساب والطعن فيها. والذى نفس عمر بيده، لو قلت: لا يخرج من هذا الباب إلا صمد ما خرج إلا أقلكم»[٥]"[٦]. أي: من انتهي إليه السؤدد.

قال الحسن:" الذي يصمد إليه في الحوائج، ثم تلا هذه الآية: {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل : ٥٣]"[٧].

قال أبو وائل: "{الصَّمَد}: «السيد الذي قد انتهى سؤدده»; ولم يقل أبو كُرَيب وابن عبد: «الأعلى سؤدده»"[٨].

قال شقيق: "{الصَّمَدُ}: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده"[٩].

قال إبراهيم النخعي: "الذي يصمد إليه العباد في حوائجهم"[١٠].

وعن ابن عباس-أيضا-: "الصمد الذي تصمد إليه الأشياء إذا نزل بهم كربة أو بلاء"[١].

بلاء"[١].

---

(١) المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥.

(٢) نقلا عن: البحر المحيط في التفسير: ٥٧١/١٠-٥٧٢

(٣) فتح القدير: ٦٣٤/٥.

(٤)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٣٥٣/٢.

(٥) انظر قول الإمام عمر في : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٣٥٣/٢.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٠/٣.

(٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٩/٢.

(٨) ذكره البخاري في: "الجامع الصحيح" من قول أبي وائل تعليقًا ٣/ ٣٣٤: التفسير: باب ٢ وقال الحافظ ابن حجر في الفتح وصله الفريابي من طريق الأعمش عنه وجاء أيضًا من طريق عاصم عن أبي وائل يذكر ابن مسعود فيه. "فتح الباري" ٨/ ٧٤٠.

وقال د. عبد العلي: أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" ١/ ٢٩٩ ح ٦٦٦، وقال الألباني: إسناده حسن، وأخرجه أيضًا من قول أبي وائل من رواية ابن نمير عن وكيع، وابن إدريس عن الأعمش عنه ورجال إسناده في الصحيحين: ١/ ٣ ح ٦٢٧، وأخرجه الطبري، والبيهقي في "الأسماء والصفات" من وجه آخر عن الأعمش عنه (١/ ١٠٩) ورجالهما أيضًا ثقات.

"تفسير سورة الإخلاص" تح د. عبد العلي: ص ٣٩ و٥٢.

كما ورد أيضًا في "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٤٠٧، و"تفسير الطبري" ٦٩٢/٢٤، و"بحر العلوم" ٣/ ٥٢٥، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٨٩ ب، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٧١، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢٤٥، و"لباب التأويل" ٤/ ٤٢٧ وعزاه إلى البخاري في أفراده، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٦١٠، و"الأسماء والصفات" ١/ ١٠٩، و"مجموع الفتاوى" ١٧/ ٢١٦ و٢١٩ و٢٢٥، و"دقائق التفسير" ٦/ ٣٥٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٩٢/٢٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير "الإخلاص لابن تيمية": (ص٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٨٧) وإسناده حسن مقطوع.

عن ابن عباس، في قوله: "{الصَّمَدُ}، يقول: السيد الذي قد كمُل في سُؤدَده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبَّار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له"[٢].

الثاني : أن «الصَّمَد»: الذي لا جوف له، قاله ابن مسعود [٣]، وابن عباس [٤]، والحسن[٥]، وسعيد بن المسيب[٦]، ومجاهد[٧]، وعكرمة[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، وعطاء بن أبي رباح[١٠]، وعطية العوفي[١١]، والضحاك[١٢]، والسدي[١٣]، وعبد الله بن بُريدة، ورواه مرفوعا[١٤]. ومنه قول الشاعر [١٥]:

شِهَابُ حُروبٍ لا تَزَالُ جِيَادهُ ... عَوابِسَ يَعلُكْنَ الشَّكِيمَ المُصَمَّدَا

قال الشوكاني: " وهذا لا ينافي القول الأول[١٦]، لجواز أن يكون هذا أصل معنى «الصمد»، ثم استعمل في «السيد» المصمود إليه في الحوائج، ولهذا أطبق على القول الأول أهل اللغة وجمهور أهل التفسير"[١٧].

قال ابن عطية:" قال كثير من المفسرين: «الصَّمَدُ»: الذي لا جوف له، كأنه بمعنى «المصمت»[١٨].. وقال الشعبي: «هو الذي لا يأكل ولا يشرب»[١٩]، وفي هذا التفسير كله نظر، لأن الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى. فما الذي تعطينا هذه العبارات"[٢٠].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في "تفسير الإخلاص لابن تيمية": (ص٧)، وإسناده ضعيف فيه محمد بن موسى الحرشي لين الحديث وعبد الله بن عيسى ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٩٢/٢٤،(واللفظ له)، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٥):ص٣٤٧٤/١٠، ولفظه:" الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفو، وليس كمثله شيء".

(٣)أخرجه ابن أبي حاتم كما في الإخلاص لابن تيمية (ص٨) وإسناده ضعيف فيه مندل بن علي ضعيف كما في التقريب، وذكره ابن كثير في "التفسير": ٥٢٨/٨، والثعلبي في: "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٨.

(١١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٨.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٨.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤-٦٩١.

(١٥) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٣٧١/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧١/١٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٥٢/١١، وفتح القدير للشوكاني: ٦٤٣/٥, ولم أعرف قائله فيما عندي من المراجع.

«علكت الدابة اللجام» : لاكته وحركته. «الشكيم» : الحديد المعترضة في فم الدابة.

(١٦) أي: تفسير «الصمد»: بالمصمت الذي لا جوف له.

(١٧) فتح القدير: ٦٣٤/٥.

(١٨) وقال ابن فورك في "التفسير": ٣٠٢/٣، "ومن زعم أن الصمد بمعنى: المصمت، فقد جهل الله، لأن المصمت هو المتضاغط الأجزاء، وهذا تشبيه وكفر بالله".

(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٢٠) المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥.

قال الواحدي:" فقد يكون في العربية «الصمد»: الشيء المصمت الذي لا جوف له، المسدود الجوف، ومنه يقال: لسداد القارورة: الصماد، وقد صمدتها أصمدها، وشيء مصمد: صلب، وليس فيه خور[١]، وهذا صحيح في اللغة[٢]، ولكن «الصمد» -بهذا المعنى-: لا يجوز في صفة الله -تعالى-، لأن المصمت هو المتضاغط[٣] الأجزاء، وهذا تشبيه وكفر بالله"[٤].

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال - لا أعلم إلا قد رفعه – قال :"{الصَّمَدُ}، الذي لا جوف له"[٥].

عن ابن عباس، قال: "{الصَّمَد}: الذي ليس بأجوف"[٦].

عن الحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، ومجاهد، وعكرمة:" {الصَّمَد}: الذي لا جوف له"[٧].

قال مجاهد:" المُصْمَت الذي لا جوف له"[٨].

قال سعيد بن المسيب:" الذي لا حِشوة له"[٩].

وعن ابن مسعود: "الذي ليست له أحشاء"[١٠].

الثالث : هو الذي لا يأكل ولا يشرب ، قاله الشعبي[١١]، ومقاتل[١٢]، وهو احد قولي: سهل بن عبدالله[١٣].

قال الشعبي:" "الصمد الذي لا يأكل الطعام"[١٤].

عن الشعبي:" {الصَّمَد}، قال: الذي لا يطعم الطعام"[١٥].

قال الشعبي:" الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب"[١٦].

الرابع : أنه الباقي الذي لا يفنى ، قاله قتادة[١٧]، والحسن[١٨].

---

(١)الخور: هو الصوت "الصحاح" ٢/ ٦٥١ (خور).

(٢)انظر: "تهذيب اللغة" ١٢/ ١٥٠ - ١٥١ (صمد)، و"الصحاح" ٢/ ٤٩٩، و"لسان العرب" ٣/ ٢٥٨، و"تاج العروس" ٢/ ٤٠١.

(٣)المتضاغط الضغط والضغطة: عصر شيء إلى شيء ضغطه يضغطه ضغطًا: زحمه إلى حائط ونحوه، والتضاغط التزاحم. "لسان العرب" ٧/ ٣٤٢ (ضغط).

(٤) التفسير البسيط: ٤٤٠/٢٤. وقد ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام حول هذا الإشكال، انظر: "مجموع الفتاوى" ١٧/ ٢٣٨ – ٢٤٠. وسوف يأتي كلامه في آخر تفسير معنى«الصمد».

(٥) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤-٦٩١، وابن عدي في الكامل (١٣٧٢/٤) والطبراني في الكبير (٧/٢) وإسناده ضعيف فيه عبيد الله بن سعيد وصالح بن حبان وهما ضعيفان كما في التقريب، وقال الهيثمي في المجمع (١٤٤/٧): «وفيه صالح بن حبان وهو ضعيف» وقال ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/٨): «وهذا غريب جدًا ، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة».

(٦) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤، ٦٩١.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤، وابن أبي حاتم كما في الإخلاص لابن تيمية (ص٨) وابن أبي عاصم في السنة (٦٧٣) وإسناده صحيح مقطوع.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(١٠)أخرجه ابن أبي حاتم كما في الإخلاص لابن تيمية (ص٨) وإسناده ضعيف فيه مندل بن علي ضعيف كما في التقريب، وذكره الثعلبي في: "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٢٤/٤.

(١٣) انظر: تفسير التستري: ٢٠٩.

(١٤)أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة": (٧٦٨٢: ٧٦٨٣)، بسند صحيح.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤، وابن أبي حاتم كما في الإخلاص لابن تيمية (ص٨) وابن أبي عاصم في السنة (٦٨٤)، وفيه هشيم بن بشير وهو معروف بالتدليس ولم يصرح بالتحديث

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤.

كان الحسن وقتادة يقولان: "الباقي بعد خلقه، قال: هذه سورة خالصة، ليس فيها ذكر شيء من أمر الدنيا والآخرة"[١].

عن قتادة، قال: "{الصمد}: الدائم"[٢]. وروي عن عاصم بن بهدلة[٣] ، ومعمر[٤] مثله.

الخامس : هو الذي لم يلد ولم يولد ، قاله أبو العالية[٥]، ومحمد بن كعب[٦]، وعكرمة[٧].

قال أبو العالية:" الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يلد إلا سيورث، ولا شيء يولد إلا سيموت، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لا يورث ولا يموت"[٨].

عن أبي سعيد الصنعاني، قال: "قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فأنزل الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص : ١ - ٤]، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله جلّ ثناؤه لا يموت ولا يورث {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}: ولم يكن له شبيه ولا عِدل، وليس كمثله شيء"[٩].

عن محمد بن كعب: "{الصَّمَدُ}: الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد"[١٠].

السادس : أنه الكامل الذي لا عيب فيه ، قاله مقاتل بن حيان[١١]، ومنه قول الزبرقان [١٢]:

سِيرُوا جَمِيعًا بِنِصْفِ اللَّيْلِ وَاعْتَمِدُوا ... وَلَا رَهِينَةَ إِلَّا سَيِّدٌ صَمَدُ

عن مقاتل بن حيان:" {الصَّمَد} الذي لا عيب فيه"[١٣].

السابع : أنه المقصود إليه في الرغائب ، والمستغاث به في المصائب ، قاله السدي[١٤].

الثامن : أنه المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد. قاله أبو هريرة[١٥].

التاسع: «الصَّمَد»: الذي ليس فوقه أحد. قاله علي[١٦]، وعكرمة[١٧].

العاشر : أنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ، قاله الحسين بن فضيل[١٨].

الحادي عشر : الذي لا يخرج منه شيء. قاله عكرمة[١٩].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٩٢/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٩٢/٢٤.

(٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٣٥.

(٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٣٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٤.

(١١) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠، وانظر: النكت والعيون: ٣٧٢/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/٢٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٢/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/٢٠، وعجز البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣١٦/٢، وتفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤.

ورواية البيت في النكت:

« ساروا جَميعاً بنصْفِ الليل واعْتَمدوا ... ألاَ رهينة إلا السيّدُ الصَمَدُ»

(١٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٣٥، تفسير البغوي ٨/ ٥٨٨، وانظر: النكت والعيون: ٣٧٢/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/٢٠.

(١٤) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠- والماوردي في "النكت والعيون" :٣٧٢/٦، والبغوي في "التفسير": ٥٨٨/٨.

(١٥) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠، والقرطبي في "التفسير": ٢٤٥/٢٠.

(١٦) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(١٧) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(١٨) انظر: النكت والعيون: ٣٧٢/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/٢٠.

(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤. وقال الألباني عن رواية عكرمة: إسناده ضعيف مقطوع: "ظلال الجنة في تخريج السنة" ١/ ٢٩٩ ح ٦٦٧.

وعلق ابن تيمية عليه فقال: "كلام صحيح؛ بمعنى أنه لا يفارقه شيء منه "[١].
الثاني عشر : الذي لا يكافئه من خلقه أحد. قاله كعب الأحبار[٢].
الثالث عشر : الذي لا يوصف بصفته أحد. قاله ابن كيسان[٣].
الرابع عشر : الذي لا تعتريه الآفات. قاله الربيع[٤].
الخامس عشر : الكامل في جميع صفاته وأفعاله. قاله سعيد بن جبير[٥].
السادس عشر : الذي لا يبلى ولا يغنى. قاله مرّة الهمداني[٦].
السابع عشر : أن «الصَّمَدُ»: نور يتلألأ. قاله عبد الله بن بُرَيدة[٧].
الثامن عشر : هو الذي: {يَحْكُمُ ما يُرِيدُ ويَفْعَلُ ما يَشاءُ} ... {لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ} ولا راد لقضائه. قاله الحسين بن الفضل أيضا[٨].
التاسع عشر : أن «الصَّمَد»: الذي لا {تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ}، ولا تحويه الأفكار ولا تبلغه الأقطار {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ}. قاله محمد بن علي[٩].
العشرون : هو المتعالي عن الكون والفساد. قاله ابن عطاء[١٠].
الواحد والعشرون : هو الذي لا يسحر ولا يستغرق ولا تعترض عليه القواطع والغلل. قاله الواسطي[١١].
الثاني والعشرون : هو الذي أيست العقول عن الإطلاع على كيفيته. قاله علي بن موسى الرضا[١٢].
الثالث والعشرون :أن «الصَّمَد» :هو الغالب الذي لا يغلب. قاله جعفر الصادق[١٣].
الرابع والعشرون: ما روي عن جعفر الصادق: أن "{الصَّمَد} خمس حروف: فالألف دليل على أحَدِيَّته، واللام دليل على إلاهِيَّته، وهما مدغمان لا يظهران على اللسان ويظهران في الكتابة، فدلّ ذلك على أنّ أحَدِيَّته وإلاهِيَّته خفيّة لا تُدرك بالحواس، وأنّه لا يقاس بالناس، فخفاؤه في اللفظ دليل على أنّ العقول لا تُدركه ولا تحيط به علمًا، وإظهاره في الكتابة دليل على أنه يظهر على قلوب العارفين، ويبدو لأعين المُحِبِّين في دار السلام، والصاد دليل على صِدْقه، فوعْده صِدْقٌ، وقوله صِدْقٌ، وفِعله صِدْقٌ، ودعا عباده الى الصدق، والميم دليل على مُلكه، فهو المِلِك على الحقيقة، والدال علامة دوامه في أبديّته وأزليّته"[١٤].
الخامس والعشرون: هو الأزلي بلا عدد، والباقي بلا أمد، والقائم بلا عمد. قاله محمد بن علي الترمذي[١٥].
وقال الحسين بن الفضل: "هو الأزلي بلا ابتداء"[١٦].

---

(١)مجموع الفتاوى: ١٧/ ٢٤٠.
(٢) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.
(٣) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.
(٤) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.
(٥) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.
(٦) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.
(٧) عزاه إليه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٨.
(٨) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.
(٩) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.
(١٠) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.
(١١) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.
(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٣٣٥/١٠.
(١٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٣٥.
(١٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٣٥.
(١٥) انظر: الكشف والبيان: ٣٣٥/١٠.
(١٦) انظر: الكشف والبيان: ٣٣٥/١٠.

قال الطبري:" الصمد عند العرب: هو السيد الذي يُصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمى أشرافها; ومنه قول الشاعر[١]:

ألا بَكَرَ النَّاعي بِخَيْرَيْ بَنِي أسَدْ ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وقال الزبرقان[٢]:

وَلا رَهِينَةَ إلا سَيِّدٌ صَمَدُ

فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الكلمة، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه; ولو كان حديث ابن بُريدة[٣]، عن أبيه صحيحا، كان أولى الأقوال بالصحة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما عنى الله جل ثناؤه، وبما أنزل عليه"[٤].

قال ابن تيمية بعدما ذكر الأقوال في معنى «الصمد» - قال: «قلت: الاشتقاق يشهد للقولين جميعًا؛ قول من قال: إن الصمد الذي لا جوف له، وقول من قال: إنه السيد، وهو على الأول أدل؛ فإن الأول أصل الثاني»[٥].

وقال ابن كثير بعد سياق كثير من الأقوال في معنى «الصمد»: "وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في «كتاب السنة» له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسيره «الصمد»: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل، هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك"[٦].

وقد أطنب شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان معنى «الصمد» في «الفتاوى»[٧].

القرآن

{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)} [الإخلاص : ٣]

التفسير:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) من شواهد أبي عبيدة في "مجاز القرآن": ٣١٦/٢، وسبق تخريجه.

(٣) قال ابن كثير في "التفسير": (٥٢٨/٨):" غريب جدًا ، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة".

(٤) تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤-٦٩٣.

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والاسم "الصمد" فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة، وليست كذلك، بل كلها صواب، والمشهور منها قولان:

أحدها: أن الصمد هو الذي لا جوف له.

والثاني: أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج.

والأول قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة، والثاني: قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين.

ثم قال: قلت: الاشتقاق يشهد جميعًا قول من قال: إن "الصمد" الذي لا جوف له، وقول من قال إنه السيد، وهو على الأول أدل، فالأول أصل للثاني، ولفظ "الصمد" يقال على ما لا جوف له في اللغة .. وأصل هذه المادة الجمع والقوة -ثم قال- لم يقل الله صمد؛ بل قال: "الله الصمد"، فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ما سواه، فإنه المستوجب لغايته على الكمال، والمخلوق وإن كان صمدًا من بعض الوجوه، فإن حقيقة الصمدية منتفية عنه، فإنه يقبل التفرقة والتجزئة، وهو أيضًا محتاج إلى غيره، فإن كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء، ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله تبارك وتعالى، وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض، والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك؛ بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه، كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء بوجه من الوجوه، ثم قال: ودل قوله: "الأحد، الصمد" على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فإن الصمد هو الذي لا جوف له ولا أحشاء، فلا يدخل منه شيء، فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالي .. والصمد المصمد الذي لا جوف له، فلا يخرج منه عين من الأعيان فلا يلد ..". ["مجموع الفتاوى" ١٧/ ٢٣٨ - ٢٤٠ مختصرًا].

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٨.

(٧) انظر: الفتاوى: (٢١٤/١٧).

ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.

قال السمعاني:" أي: ليس له والد ولا ولد"[١].

قال القشيري:" ليس بوالد ولا مولود"[٢].

قال الشوكاني: "أي: لم يصدر عنه ولد، ولم يصدر هو عن شيء لأنه لا يجانسه شيء، ولاستحالة نسبة العدم إليه سابقا ولا حقا"[٣].

قال الطبري:" يقول: ليس بفانٍ، لأنه لا شيء يلد إلا هو فانٍ بائد، وليس بمحدث لم يكن فكان، لأن كل مولود فإنما وجد بعد أن لم يكن، وحدث بعد أن كان غير موجود، ولكنه تعالى ذكره قديم لم يزل، ودائم لم يبد، ولا يزول ولا يفنى"[٤].

قال البيضاوي:" لم يلد، لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه، ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله:{ولم يولد}، وذلك لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم"[٥].

وفي تفسير الآية، وجهان:

أحدهما : لم يلد فيكون والداً، ولم يولد فيكون ولداً ، قاله ابن عباس[٦].

عن ابن عباس :" {لَمْ يَلِدْ} فيخرج منه الولد، {وَلَمْ يُولَدْ} فيخرج من شيء"[٧].

الثاني : لم يلد فيكون في العز مشاركاً، ولم يولد فيكون موروثاً هالكاً ، قاله الحسين بن فضيل[٨]، وهو معنى قول أبي العالية[٩].

قال أبو العالية:" الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يلد إلا سيورث، ولا شيء يولد إلا سيموت، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لا يورث ولا يموت"[١٠].

قال أبو سعيد الصنعاني:" لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله جلّ ثناؤه لا يموت ولا يورث"[١١].

قال الزمخشري:" قوله: {لَمْ يُولَدْ} وصف بالقدم والأوّلية، قوله {لَمْ يَلِدْ}: نفى للشبه والمجانسة. وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} تقرير لذلك وبت للحكم به"[١٢].

وقال سهل:" {لَمْ يَلِدْ}: فيورث. {وَلَمْ يُولَدْ}: فيكون ملكه محدثا، وهو أيضاً إثبات الفردانية، ونفي الأسباب عنه، رداً على الكفار"[١٣].

قال ابن عطية:" قوله تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}، رد على إشارة الكفار في النسب الذي سألوه"[١٤].

وإنما كان كذلك لأمرين [١٥]:

أحدهما : أن هاتين صفتا نقص فانتفتا عنه.

---

(١) تفسير السمعاني: ٣٠٤/٦.
(٢) لطائف الإشارات: ٧٨٣/٣.
(٣) فتح القدير: ٦٣٤/٥.
(٤) تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٤.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣٤٧/٥.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٣):ص٣٤٧٤/١٠.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٣):ص٣٤٧٤/١٠.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٧٢/٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٤.
(١٢) الكشاف: ٨١٨/٤.
(١٣) تفسير التستري: ٢٠٩.
(١٤) المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥-٥٣٧.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٢/٦.

الثاني : أنه لا مثل له، فلو وَلَدَ أو وُلِدِ لصار ذا مثل، والله تعالى منزه عن أن يكون له مثل.

وقد نفى الله الولادة قبل التولد، لأن الولادة لم يدعها أحد في حقه – سبحانه – وإنما ادعوا أنه ولد، فلذلك قدم نفيه لأنه المهم المحتاج إلى نفيه.

قال مقاتل:" وذلك أن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الرحمن. {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّه} [التوبة : ٣٠]، فأكذبهم الله- عز وجل- فبرأ نفسه من قولهم، فقال: {لَمْ يلد}، يعني: لم يكن له ولد. {وَلَمْ يُولَدْ}، كما ولد عيسى وعزير ومريم"[١].

قال ابن كثير:" أي : ليس له ولد ولا والد.. وهذا كما قال تعالى : { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ } [الأنعام : ١٠١] أي : هو مالك كل شيء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه، تعالى وتقدس وتنزه. قال الله تعالى : {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم : ٨٨ - ٩٥] وقال تعالى : {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } [الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧] وقال تعالى : {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الصافات : ١٥٨، ١٥٩] وفي الصحيح - صحيح البخاري - : «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدا ، وهو يرزقهم ويعافيهم»[٢]"[٣].

عن أبي هُرَيرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "قال الله ، عز وجل : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يُعيدَني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدًا. وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد"[٤].

وفي حديث مرفوع حسن: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذات الله»[٥].

وعن ابن عباس: "تفكروا في كل شيء، ولا تتفكروا في ذات الله تعالى"[٦].

يعني: كيفيات صفات الله، فإن الله لا تصل إليه فكرة، سبحانه وتعالى، مهما يصل بك الفكر إلى كيفية من كيفيات صفات الله جل وعلا فالله أعظم وأجل، سبحانه وتعالى، فكبر وسبح ونزه ربك، إذاً: فالتكييف باطل أثراً ونظراً.

قال ابن عطية: "لأن الأفهام تقف دون ذلك حسيرة، والمؤمنون يعرفون الله تعالى بواجب وجوده وافتقار كل شيء إليه واستغنائه عن كل شيء وينفي العقل عنه كل ما لا يليق به

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٢٦/٤.

(٢)صحيح البخاري برقم (٦٠٩٩) من حديث أبي موسى ، رضي الله عنه.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٨.

(٤)صحيح البخاري برقم (٤٩٧٤) وبرقم (٤٩٧٥).

(٥)أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٥٠) رقم (٦٣١٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٢٥) رقم (٩٢٧)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٣٦) رقم (١٢٠)، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (١/ ٣٩٠) رقم (٦٧١) من حديث ابن عمر بلفظه. قال البيهقي: (هذا إسناد فيه نظر).
وأخرجه أيضا الهيثمي في المجمع (١/ ٨١)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٥٥٦)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٧١).
وقد روي مثل هذا عن أبي هريرة، وعبد الله بن سلام، وغيرهما كما في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٩٥ - ٣٩٦) رقم (١٧٨٨)، ولذا قال الألباني في الصحيحة (٤/ ٣٩٧): (وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي، والله أعلم).

(٦) المحرر الوجيز: ٥٣٧/٥.

تبارك وتعالى، وأن ليس كمثله شيء، وكل ما ذكرته فهو في ضمن هذه السورة الوجيزة البليغة"[١].

القرآن

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص : ٤]

التفسير:

ولم يكن له مماثلا ولا مشابهًا أحد من خلقه، لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدَّس.

قال ابن أبي زمنين:" ولم يكن له أحد كفوا له، أي: مثل وشبه"[٢].

قال البيضاوي:" أي: ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها"[٣].

قال السمعاني:" لم يكن أحد نظيرا له ولا شبيها، فهو على التقديم والتأخير، ومعنى «أحد» في آخر السورة، غير معنى «أحد» في أول السورة"[٤].

وفي تفسير الآية، ثلاثة وجوه:

أحدها : لم يكن له مثل ولا عديل، قاله ابن عباس[٥]، وكعب[٦]، وأبو العالية[٧]، وعطاء[٨]، وابن جريج[٩].

قال ابن فارس:" الكفء: المثل"[١٠].

عن ابن جريج: "{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا}: مثل"[١١].

قال ابن عباس:" ليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد القهار"[١٢].

قال أبو العالية:" لم يكن له شبيه، ولا عِدْل، وليس كمثله شيء"[١٣]. وروي عن أبي سعيد الصنعاني مثله[١٤].

قال كعب:" إن الله تعالى ذكره أسس السموات السبع، والأرضين السبع، على هذه السورة {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه"[١٥].

قال ابن عطية: " معناه: ليس له ضد ولا ند ولا شبيه، والكفأ والكفؤ والكفاء النظير"[١٦].

الثاني : يعني: لم تكن له صاحبة ، فنفى عنه الولد والوالدة والصاحبة ، قاله مجاهد[١٧].

عن مجاهد: "{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، قال: صاحبة"[١٨].

---

(١) المحرر الوجيز: ٥٣٧/٥.
(٢) تفسير ابن أبي زمنين: ١٧٢/٥.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣٤٧/٥.
(٤) تفسير السمعاني: ٣٠٤/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٤-٦٩٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٤.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٧٢/٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٤/٢٤.
(١٠) مقاييس اللغة، مادة«كفء»:ص ١٨٩/٥.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٩٣/٢٤-٦٩٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٩٣/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٩٣/٢٤.
(١٦) المحرر الوجيز: ٥٣٧/٥.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٤/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٤.

الثالث : أنه لا يكافئه في خلقه أحد ، قاله قتادة[١]. وفيه تقديم وتأخير ، تقديره : ولم يكن له أحدٌ كُفواً ، فقدم خبر كان على اسمها لتنساق أواخر الآي على نظم واحد. ذكره سهل التستري[٢].

قال الطبري:" والكُفُؤُ والكُفَى والكِفَاء -في كلام العرب- واحد، وهو: المِثْل والشِّبْه; ومنه قول نابغة بني ذُبيان[٣]:

لا تَقْذِفَنِّي برُكْن لا كِفَاء لَهُ ... ولَوْ تَأَلَّفَكَ الأعْدَاءُ بالرِّفَدِ

يعني: لا كِفَاء له: لا مثل له"[٤].

قرئ :«كُفُواً» بضم الكاف والفاء، و«كُفْواً»، بضم الكاف وسكون الفاء، «وكِفْواً»، بكسر الكاف وسكون الفاء، و«كِفَاء» بكسر الكاف[٥].

قال على بن الحسين بن واقد: "سال الخليفة مقاتل بن سليمان، فقال له: بلغني انك تشبه! فقال: إنما أقول: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص : ١ - ٤]. فمن قال غير ذلك فقد كذب"[٦].

علي الروذباري، قال: "وجدنا أنواع الشرك ثمانية: النقص والتقلّب والكثرة والعدد وكونه علّة أو معلولا، والأشكال والأضداد، فنفى الله تعالى عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، ونفى التنقّص والتقلّب بقوله: {اللَّهُ الصَّمَدُ}، ونفى العلل والمعلول بقوله: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}، ونفى الأشكال والأضداد بقول: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ}، فحصلت الوحدانية البحت لذلك سمّيت: «سورة الإخلاص»"[٧].

عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «قال الله تعالى: كذَّبني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشَتَمني ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه إيّايَ فقولهُ: لن يعيدني كما بدأني. وليس أولُ الخَلْق بأهونَ عليّ من إعادته، وأمّا شَتْمُهُ إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا. وأنا الأحد الصَّمَد، الذي لم أَلِدن ولم أولدن ولم يكن لي كفوًا أحد»"[٨].

فوائد السورة الكريمة:

١- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته: إذ تضمنت هذه السورة العظيمة إثبات صفات الكمال، ونفي النقائص، والعيوب من خصائص المخلوقين من التولد والمماثلة، وإذا كان منزهًا عن أن يخرج منه مادة الولد التي هي أشرف المواد فلأن نزه عن خروج مادة غير الولد أولى، وكذلك تنزيهه نفسه عن أن يولد فلا يكون من مثله تنزيه له عن أن يكون من سائر المواد بطريق الأولى، فمن أثبت لله ولدًا فقد شتمه وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد»[٩].

وفي «صحيح البخاري» أيضًا عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان،

---

(١) عزاه إليه الماوردي في "النكت والعيون": ٣٧٢/٦.

(٢) انظر: تفسير التستري: ٢٠٩، وحكاه الماوردي في: النكت والعيون: ٣٧٢/٦.

(٣)ديوانه ٢٦، ولسان العرب (أثف) ، و (ركن) ، ومقاييس اللغة ١/ ٥٧، وجمهرة اللغة ١٠٣٦، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٩٠ وتاج العروس (أثف) ومجمل اللغة ١/ ١٦٧، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ١٧٣، والمنصف ١/ ١٩٣، وبلا نسبة في شرح شواهد الإيضاح ٦١٢.

(٤) تفسير الطبري: ٦٩٤/٢٤.

(٥) انظر: السبعة في القراءات: ٧٠١-٧٠٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٧٨/٥، وتفسير الطبري: ٦٩٥/٢٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٩/٥، وانظر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٨٣.

(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٦/١٠.

(٨)أخرجه البخاري ٦/ ١٨٠ (٤٩٧٤، ٤٩٧٥).

(٩) أخرجه البخاري (٧٣٩/٨) من حديث أبي هريرة.

وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدًا»[1].

وقد رد الله على من زعم أنه لا يعيد الخلق، وعلى من زعم أنه له ولد كما تضمنه هذا الحديث في قوله: {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا} [مريم: ٦٦]، إلى قوله: {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا} [مريم: ٨٩].

وفي «صحيح البخاري» أيضًا عن النبي ﷺ قال: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولد وهو يرزقهم ويعافيهم»[2].

فهذه السورة الكريمة تضمنت نفي ما هو من خصائص آلهة المشركين عن رب العالمين، حيث جاء في سبب النزول أنهم سألوا النبي ﷺ عن ربه أي شيء هو؟ أمن كذا، أم من كذا، أو ممن ورث الدنيا، ولمن يورثها، حيث كانوا قد اعتادوا آلهة يلدون، ويولدون، ويرثون ويورثون، وآلهة من مواد مصنوعة منها، فأنزل الله هذه السورة.

وفي «المسند» من حديث أبي بن كعب بعد ذكر نزولها: لأنه ليس أحد يولد ولا أحد يرث إلا يورث[3] يقول كل من عبد من دون الله وقد ولد مثل المسيح والعزير وغيرهما من الصالحين، ومثل الفراعنة المدعين الإلهية، فهذا مولود يموت وهو إن كان قد ورث من غيره ما هو فيه فإذا مات ورثه غيره والله – سبحانه – حي لا يموت ولا يورث سبحانه وتعالى.

٢- تقرير التوحيد والنبوة.

٣- بطلان نسبة الولد إلى الله تعالى.

قال الشوكاني:"

- **الآية الثانية**: {اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)} [الإخلاص : ٢]: تبطل مذهب من أثبت خالقا سوى الله، لأنه لو وجد خالق آخر لما كان الحق مصمودا إليه في طلب جميع الحاجات.
- **والآية الثالثة**: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)} [الإخلاص : ٣]: تبطل مذهب اليهود في عزير، والنصارى في المسيح والمشركين في أن الملائكة بنات الله.
- **والآية الرابعة**: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص : ٤]: تبطل مذهب المشركين حين جعلوا الأصنام شركاء له تعالى"[4].

٤- ومن فوائد السورة: وجوب عبادته تعالى وحده لا شريك له فيها, إذ هو الله ذو الألوهية على خلقه دون سواه.

«آخر تفسير سورة (الإخلاص)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٨/٨) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠/١٣) ومسلم (٢١٦٠/٤) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٣) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٤) فتح القدير: ٦٧٩/٢-٦٨٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الفلق»

«سورة الفلق»: هي السورة الثالثة عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفيل»، وقبل «سورة الناس»، وآياتها خمس بالإجماع. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها أربع وسبعون. وفواصل آياتها «دبق»[1].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الفلق»:

اشتهرت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير[2] بـ«سورة الفلق»، ووجه تسميتها لافتتاحها بقوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق : ١].

٢-سورة«قل أعوذ برب الفلق»:

سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة: «قل أعوذ برب الفلق».

روي عن عقبة بن عامر الجهني، أنه قال: اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب، فوضعت يدي على قدميه، فقلت: أقرئني من سورة يوسف. فقال: " لن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من :{قل أعوذ برب الفلق}"[3].

وهذا ظاهر في أنه أراد سورة: «قل أعوذ برب الفلق»، لأنه كان جوابا عن قول عقبة: أقرئني سورة هود إلخ، ولأنه عطف على قوله:«قل أعوذ برب الفلق» قوله: «وقل أعوذ برب الناس»، ولم يتم سورة: «قل أعوذ برب الفلق».

وقد عنونها البخاري في «صحيحه»[4]: «سورة قل أعوذ برب الفلق»، بإضافة كلمة «سورة» إلى أول جملة منها.

٣- سورة «المعوذتين» - مع «سورة الناس»:

جاء في كلام بعض الصحابة تسميتها مع سورة الناس «المعوذتين» .

روي عن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»[1]. بكسر الواو المشددة وبصيغة الجمع بتأويل الآيات المعوذات، أي: آيات السورتين.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٦/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٩٧/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٥٣/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٤/٥، وتفسير ابن فورك: ٣٠٥/٣، والكشف والبيان: ٣٣٧/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٥٠٥/١٢، والنكت والعيون: ٣٧٣/٦، والوسيط للواحدي: ٥٧٢/٤، وتفسير السمعاني: ٣٠٥/٦، وتفسير البغوي: ٥٩١/٨، والكشاف: ٨٢٠/٤، والمحرر الوجيز: ٥٣٩/٥، وزاد المسير: ٥٠٧/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٦٩/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٥٢/٢٠، وغيرها.

(٣) أخرجه احمد في "المسند"(١٧٣٤١):ص٥٧٥/٢٨، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي عمران أسلم - وهو ابن يزيد التجيبي- فقد روى له أصحاب السنن غير ابن ماجه، وهو ثقة. هاشم: هو ابن القاسم، وليث: هو ابن سعد.

وأخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص١٤٥؛ والنسائي ٢٥٤/٨، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٨٢) ، وابن حبان (٧٩٥) ، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٧٨٩) و (٨٦٠) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٩٦) ، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٦٦) ، والبغوي (١٢١٣) من طرق عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد.

وأخرجه النسائي أيضا ١٥٨/٢ عن قتيبة بن سعيد، عن ليث، به، وزاد: و (قل أعوذ برب الناس) .

وأخرجه ابن حبان (١٨٤٢) ، والطبراني ١٧/ (٨٦١) من طريق عمرو بن الحارث، والحاكم ٥٤٠/٢، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٦٦) من طريق يحيى ابن أيوب، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب، به.

وأخرجه بنحوه الطبراني ١٧/ (٩٥١) من طريق عبد العزيز بن مروان، عن عقبة. وسنده حسن في المتابعات والشواهد.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٨١/٦.

وفي رواية: «بالمعوذتين في دبر كل صلاة»[٢].

ولم يذكر أحد من المفسرين أن الواحدة منهما تسمى «المعوذة» بالإفراد، وقد سماها ابن عطية «سورة المعوذة الأولى»[٣]، فإضافة «سورة» إلى «المعوذة» من إضافة المسمى إلى الاسم، ووصف السورة بذلك مجاز يجعلها كالذي يدل الخائف على المكان الذي يعصمه من مخيفه أو كالذي يدخله المعاذ.

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «المشقشقتين»- مع سورة الناس:

تسمى هي وسورة الناس :«المشقشقتين» -بتقديم الشينين على القافين- من قولهم: خطيب مشقشق، أي: مسترسل القول، تشبيها له بالفحل الكريم من الإبل يهدر بشقشقة وهي كاللحم يبرز من فيه إذا غضب[٤]، ولم يظهر لي وجه وصف المعوذتين بذلك.

وقد سماها بهذا الاسم السخاوي[٥]، والسيوطي[٦]، ولم يذكرا مستندهما في هذه التسمية.

٢-سورة «المقشقشتين»- مع سورة الناس:

وتسمى هي وسورة الناس : «المقشقشتين» -بتقديم القافين على الشينين-، أي: تبرئان من النفاق[٧]، وقد وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير[٨].

فيكون اسم «المقشقشة»، مشتركا بين أربع سور : «سورة الفلق»، و«سورة الناس»، و«سورة براءة»، و«سورة الكافرون».

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس[٩]، وبه قال الحسن[١٠]، وقتادة-في رواية- [١١]، وعكرمة[١٢]، وعطاء[١٣]، وجابر[١٤].

الثاني: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[١٥]، وبه قال قتادة[١٦].

قال ابن الجوزي:" والأول أصح، ويدل عليه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان"[١].

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.

(٢) سنن الترمذي(٢٩٠٣):ص١٧١/٥.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٦٠/١٥. طبعة: قطر.

وقد وردت هذه العبارة في عمدة الحفاظ:١٠٤/٣، وفيه:" ويروى أنه لما نزلت المعوذة الأولى".

وفي "روح البيان" لأبي الفداء: ٥٤٦/١٠، وفيه:" تأخرت هذه الصورة-أي سورة الناس- عن المعوذة الاولى".

(٤) انظر: جمال القراء: ٩٤، والتحرير والتنوير: ٦٢٤/٣٠.

قال السخاوي:" المشقشقتان من قولهم: شقشق البعير إذا هدر. وشقشق العصفور، وخطيتب مشقشق وخطيب ذو شقمشقة، والشقشقة التي يخرجها البعير من فيه إذا هاج كالرئة، شبه الخطيب بالفحل".

(٥) انظر: جمال القراء: ٩٤.

(٦) الإتقان: ١٩٧/١.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥١/٢٠.

(٨) ذكرها الزمخشري في "الكشاف": ٨٢٤/٤، و٣٧٣/٦، الماوردي في "النكت والعيون": ٣٧٣/٦، والقرطبي في "التفسير": ٢٥١/٢٠.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١١) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٨/٥.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦.

قال ابن عاشور:" الأصح أنها مكية، لأن رواية كريب عن ابن عباس مقبولة بخلاف رواية أبي صالح عن ابن عباس ففيها متكلم"[٢].

- **الردود على شبهة إنكار المعوذتين المنسوبة إلى ابن مسعود:**

عن زر بنُ حُبَيش قال : قلت لأبي بن كعب : "إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ؟ فقال : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أن جبريل ، عليه السلام ، قال له : " قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " فقلتها ، قال : " {قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}" فقلتها. فنحن نقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم"[٣].

، عن زر قال : سألتُ ابنَ مسعود عن المعوذتين فقال : سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم عنهما فقال : " قيل لي ، فقلت لكم ، فقولوا". قال أبي : فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنحن نقول"[٤].

عن زر - قال : سألت أبي بن كعب فقلت : أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال : إني سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "قيل لي ، فقلت". فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٥].

عن علقمة قال : كان عبد الله يَحُك المعوذتين من المصحف ، ويقول : إنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما"[٦].

عن أبي بن كعب قال : سألنا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : "قيل لي ، فقلت"[٧].

لقد أثار البعض شبهة تهدف إلى وجود تناقض في كتابة وتدوين القرآن في المصاحف، وأن خيرة الخلق قد اختلفوا في صميم النص القرآني من إضافة سور أو حذفها ، وصنعوا من بن مسعود رضي الله عنه في خيالهم شخصية مظلومة أفتري عليها ولم يسمع لرأيها في جمع وترتيب سور القرآن ، وكأنه كانت هناك عداوة بينه وبين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وخصوصا عثمان -رضي الله عنه-.

الرد على الشبهة :

لقد نسي هؤلاء أن الاختلافات المزعومة بين المصاحف، إما أن تكون إملائية، أو في طريقة القراءة، أو الوقف أو غير ذلك من هذه الأمور التي لا تمس النص القرآني بالزيادة والنقصان أو التبديل والتحريف، فهؤلاء نسوا أيضا أن هؤلاء الصحابة هم خيرة البشر وصفوتهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ويصعب تصديق مثل هذه الأفعال في حقهم ، والمعلوم أنهم كانت لهم ضوابط يسيرون عليها في مثل هذه الأمور الحساسة والمحورية .

لقد تناول علماء الإسلام هذه الشبهة بالنقد والتمحيص والتفنيد والتحليل منذ القديم ، وكان هدفهم إظهار الحق الجلي وليس الدفاع القائم على التعصب والذاتية .

أما بالنسبة للمعوذتين والفاتحة فإنه توجد عدة تساؤلات تطرح نفسها وتحتاج إلى إجابة وهي :

١- هل الروايات الواردة في هذا الصدد ثابتة ، أم محض افتراء على بن مسعود -رضي الله عنه-؟

---

(١) زاد المسير: ٥٠٧/٤.
(٢) المحرر الوجيز: ٦٢٤/٣٠.
(٣)المسند (١٢٩/٥).
(٤)المسند (١٢٩/٥).
(٥)صحيح البخاري برقم (٤٩٧٧)، (٤٩٧٦).
(٦) رواه أبو يعلى، كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٠،٨-٥٣١، رواه البزار في مسنده برقم (٢٣٠١) ، من طريق محمد بن أبي يعقوب ، عن حسان بن إبراهيم به ، وقال البزار : "وهذا لم يتابع عبد الله عليه أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة ، وأثبتنا في المصحف".
(٧)زوائد المسند (١٢٩/٥).

٢- هل استمر على رأيه أم رجع عنه ؟
٣- هل مخالفة أحد الصحابة للإجماع يعتبر حجة على القرآن ؟
٤- ما هو المبرر لعدم ضمه الفاتحة للمصحف ؟

- النقطة الأولى : بالنسبة لصحة النقل عن بن مسعود-رضي الله عنه-، فلقد رأى كثير من العلماء الذين لهم ثقل بين أكابر العلماء ورأيهم محل تقدير ، عدم صحة الروايات الواردة عن بن مسعود بهذا الصدد ، وقد تابعهم على هذا الرأي خلق كثير، وخلاصة ما قالوه :
أن المسلمين أجمعوا على وجوب تواتر القرآن ويشكل على هذا ما نقل عن بن مسعود من إنكاره لقرآنية الفاتحة والمعوذتين ، بل روي عن أنه ﷺ حك من مصحفه المعوذتين ،زعما منه أنهما ليستا من القرآن .وقد أجابوا عن ذلك بمنع صحة النقل ، فلقد قال النووي رحمه الله :"أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئًا منه كفر، وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل، ليس بصحيح عنه" [١].

وقال ابن حزم: "وكل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع، لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر ابن حبيش عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن والمعوذتان"[٢].

وإضافة إلى ذلك ما قاله الإمام الباقلاني إذ يقول أن :"القائلون بفضل بن مسعود يكذبون جميع ما روي عنه في هذا الباب"[٣] .

ومن الواضح أن ما ورد عن بن مسعود ﷺ يتناقض مع طبيعته وشخصيته ولا أدري في مصلحة من الافتراء على ذلك الصحابي الكبير ، وهذا ما هال العلماء الدفاع عنه ، وتبرئته من تلك التهم المكذوبة .

- النقطة الثانية : لم يستمر بن مسعود ﷺ على رأيه ، بل رجع إلى الصواب لما تبين له حقيقة الأمر ، وأقر المصحف العثماني وأمر أصحابه بحرق المصاحف .

وقد أكد الذهبي نزول بن مسعود على رأي الإجماع فقال : "وقد ورد أن بن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد"[٤]، وكذلك قال بن كثير: "وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب، بسبب أنه لم يكن كتب المصاحف إلى أن قال "ثم رجع بن مسعود إلى الوفاق"[٥] . وهنا تتضح صورة الصحابة في رجوعهم إلى الحق والتزامهم إياه بأدب جم وذوق رفيع ، هذا الاعتراض من بن مسعود ﷺ قبل الإجماع على مصحف عثمان -رضي الله عنه-، فلما تبين له رضا الجميع بهذا الجمع نزل على رأي الجماعة.

- النقطة الثالثة : من المقرر عند علماء الأصول أن مخالفة أحد الصحابة للإجماع لا يعتبر حجة على الإجماع، وبالتالي فإن مخالفة أحد الصحابة الإجماع لا يعتبر حجة على القرآن لأنه لا يؤثر في تواتر الخبر ، "ولم يقل أحد في الدنيا أن من شرط التواتر والعلم اليقيني المبني عليه ألا يخالف فيه مخالف ، وإلا لأمكن هدم كل متواتر وإبطال كل علم قام عليه بمجرد أن يخالف فيه مخالف ولو لم يكن في العير أو في النفير "[٦].

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي ، تحقيق : محمد نجيب المطيعي،(المملكة العربية السعودية، جدة مكتبة الإرشاد) (٣٦٣/٣)

(٢) المحلى، ابن حزم، تحقيق: العلامة أحمد محمد شاكر،(مصر مطبعة النهضة،) (١٣/١)

(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن، أبو بكر الباقلاني, تحقيق : محمد زغلول سلام،الإسكندرية، منشأة المعارف)، ص٣٦٣

(٤) سير أعلام النبلاء, الذهبي (٤٨٨/١)، تحقيق :شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، ط١١(بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧-١٩٩٦م)

(٥) فضائل القرآن، ابن كثير، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري ، ط١(القاهرة، مكتبة بن تيمية، ١٤١٦)، ص٢٠

(٦) مناهل العرفان، الزرقاني : (٢٢٥/١-٢٢٦)

فصنيع بن مسعود -رضي الله عنه-إن صح عنه لا يؤثر في إجماع الصحابة على مصحف عثمان بحال من الأحوال ،وهذه سمة عظيمة من سمات الدين الإسلامي وهي التوافق وعدم الإنفراد بالرأي .

- النقطة الرابعة : إن المبرر الحقيقي لعدم تسجيل بن مسعود -رضي الله عنه- لسورة الفاتحة في مصحفه "لا لأنها من غير القرآن ، وإنما بسبب أن القرآن الكريم إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، وكل هذا مأمون في سورة الفاتحة لقصرها ، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظها لحاجتهم الماسة إليها في الصلاة، حيث تثنى في كل صلاة وتقرأ في غيرها من الأمور والمناسبات الدينية، فلما أمن عليها العلة التي من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من المصحف بالتأكيد ، ولو أن رجلا كتب من القرآن سورا وترك سورا لم يكتبها لم يكن عليه في ذلك حرج أبدا "[١].

فهل يعقل أن يكون بن مسعود ﷺ غير عالم بأن الفاتحة من القرآن وأن قصد من تركها عدم قرآنيتها ؟! ولو سلمت بهذا التصور فإنه اتهام للصحابة غير مبرر وهم خيرة الخلق وأفضلهم على الإطلاق.

إن هذا التفسير جاء مناسبا لشخصية تاريخية تناولها كلا من المستشرقين والرافضة بالافتراء وإلصاق التهم بها ، فهل نصدق نحن المسلمون ذلك الزعم الذي يفخمه أعدائه من المستشرقين والمتنطعين ، بل ويسلطون الضوء عليه ويبرزونه ويتناولونه في أنديتهم على أنهم أخيرا قد توصلوا إلى ثغرة في تاريخ هذا الكتاب الكريم ؟ كلا لا نصدق ذلك أبدا عن بن مسعود، فإنهم لا يدركون قيمته عند المسلمين ،وقد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه القرآن وفضله ومناقبه تشهد بعلمه وفضله ،فالظن بعدم علمه أن المعوذتين والفاتحة من غير القرآن غير مقنع تماما، ومن وجهة نظر عقلية من يعرف شخصية بن مسعود رضي الله عنه وتفانيه في خدمة القرآن والمحافظة عليه يستبعد تماما تلك الأوهام والظنون التي أثيرت حوله ، ومما يثبت ذلك أن قراءة عاصم الأكثر انتشارا والتي تضم الفاتحة والمعوذتين ثابتة بالنقل الصحيح والتواتر عن بن مسعود.

ومن ناحية أخرى يوقن الجميع أن العصمة للأنبياء فقط وما عداهم قد يصيب ويخطئ، وأن العمل الفردي لا يعتد به ما لم يشيد على أساس من التوافق مع الشرع والإجماع ، ولا ينبني عليه حكم دون النظر فيما اتفقت عليه الأمة.

قال ابن كثير:" المشهور عند كثير من القراء والفقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ، فلعله لم يسمعهما من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتواتر عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة ، رضي الله عنهم ، كتبوهما في المصاحف الأئمة ، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ، ولله الحمد والمنة"[٢].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

لما أبان اللّه تعالى أمر الألوهية في سورة الإخلاص لتنزيه اللّه عما لا يليق به في ذاته وصفاته، أبان في هذه السورة وما بعدها وهما المعوذتان ما يستعاذ منه باللّه من الشر الذي في العالم، ومراتب مخلوقاته الذين يصدون عن توحيد اللّه، كالمشركين وسائر شياطين الإنس والجن، وقد ابتدأ في هذه السورة بالاستعاذة من شر المخلوقات، وظلمة الليل، والسحرة، والحسّاد، ثم ذكر في« سورة الناس» الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن لذا سميت السور الثلاثة -الإخلاص وما بعدها- في الحديث بالمعوّذات. وقدمت الفلق على الناس لمناسبة الأوزان في اللفظ لفواصل الإخلاص مع مقطع {تَبَّتْ}[٣].

---

(١)محمد علي قشيري, مصدر سابق ، ص٩٧

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣١/٨.

(٣) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٤٦٩/٣٠-٤٧٠.

قال أبو حيان:" لما شرح أمر الإلهية في السورة قبلها، شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته"[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد «سورة الفلق» الإجمالية في أمر المؤمنين بالاعتصام بالله، رب الفلق من شرّ مخلوقاته: وبالأخص الليل إذا أظلم، والسواحر بالنفث في العقد، والحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن الناس.

وقد جاءت المقاصد التفصيلية لـ«سورة الفلق» على النحو الآتي:

١- التأكيد على أنّ الله -تعالى- هو خالق الظواهر الكونية، فقد قال -سبحانه وتعالى- ويظهر ذلك في مطلع سورة الفلق: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق : ١]، والفلق هو بزوغ الفجر فقد أمر الله عباده بالاستعاذة بالله خالق الفلق وربّ كلّ ما في الكون.

٢- الإقرار بأنّ الله -تعالى- هو خالق الخير والشر، فالشيطان وكلّ من كفر من الجنّ هم من خلق الله وكانوا كلّهم مسلمين له قبل تمرّدهم وعصيانه، ولأنّ الله -تعالى- يعلم شرّ ما يمكن أن يصيبوا المرء به أمر النبيّ الكريم والمسلمين بالتعوذ بالله من شرّ ما خلق، حيث تابع قوله بأنّ يستعيذ برب الفلق من كل الشرور التي خلقها فقد قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)} [الفلق : ١ - ٢].

٣- لفت انتباه المسلمين إلى أنّ الليل إذا سكن فهو يحوي من الشر والمخاطر ما يستوجب الاستعاذة بالله منه وذلك بقوله: {وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} [الفلق : ٣]، فالغاسق هو الليل وإذا وقب أي إذا هدأ، فعند هدوء الليل تخرج شياطين الإنس والجن لتعيث فسادًا في المجتمع الإسلاميّ ولهذا أمر الله المسلمين بالاستعاذة من هدوء الليل.

٤- الأمر بالاستعاذة من النفاثات في العقد وذلك بقوله: {وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} [الفلق : ٤]، فالنفاثات في العقد هنّ الساحرات اللواتي يعقدن العقد وينفثن فيها حتى ينعقد السحر، فكان من مقاصد سورة الفلق الإقرار بكفر هؤلاء الساحرات مع الأمر بالاستعاذة بالله منهن للوقاية من شرّهن.

٥- ختام سورة الفلق بالمقصد الأخير وهو أنّ الله -سبحانه وتعالى- أمر بالاستعاذة من شر الحاسد وبغضه وذلك بقوله: {وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق : ٥]، وفي هذا إشارة على أنّ الحسد النابع من نفس المرء قد يحوي شرًا كثيرًا وقد تكون من تبعاته تمني زوال الخير عن من تحسده النفس الشريرة الأمارة بالسوء -والعياذ بالله-، لهذا كان أمر الله بالاستعاذة من شر هذه النفوس وما تضمره في صدورها من مشاعر سلبية مثل الحسد.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: الاستعاذة من الشرور، ومن مخافة الليل الديجور، ومن آفات الماكرين والحاسدين في قوله: {إِذَا حَسَدَ} [الفلق : ٥]"[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٣].

- **فضائل السورة:**

- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»[٤].

- عن عقبة بن عامر قال : اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب ، فوضعت يدي

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ٥٧٥/١٠.

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٦/١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف العزيز: ٥٥٦/١.

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين – باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير – تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ١٤٤/٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.

على قدمه، فقلت : أقرئني سورة هود أو سورة يوسف. فقال : "لن تقرأ شيئًا أنفع عند الله من " قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق "[١].

- عن عقبة بن عامر قال : بينا أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نَقب من تلك النقاب ، إذ قال لي : "يا عقبة ، ألا تَركب ؟ ". قال : فَأجْلَلتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أركب مركبه. ثم قال : "يا عُقيب ، ألا تركب ؟ ". قال فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت هنيهة ، ثم ركب ، ثم قال : "يا عقيب ، ألا أُعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ ". قلت : بلى يا رسول الله. فأقرأني : " قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " و " قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما ، ثم مر بي فقال : "كيف رأيت يا عقيب اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت"[٢].

- وعن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»[٣].

- عن عقبة بن عامر قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا عقبة، قل» فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني، ثم قال: «يا عقبة قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني، فقلت: اللهم اردده علي، فقال: «يا عقبة قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال: «قل أعوذ برب الفلق»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: «قل» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «قل أعوذ برب الناس» فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما»"[٤].

- عن عقبة بن عامر : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في صلاة الصبح"[٥].

- عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ يا جابر» قلت: وماذا أقرأ بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «اقرأ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس» فقرأتهما، فقال: «اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلهما»[٦].

- عن عبد الله الأسلمي - هو ابن أنيس - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره ثم قال : "قل". فلم أدر ما أقول ، ثم قال لي : "قل". قلت : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " ثم قال لي : "قل". قلت : " أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ " حتى فرغت منها ، ثم قال لي : "قل". قلت : " قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " حتى فرغت منها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هكذا فَتَعَوَذْ ما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط"[٧].

- عن ابن عابس الجهني أن النبي ﷺ قال له: يا ابن عابس «ألا أدلك - أو قال: ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: {قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و {قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} هاتين السورتين»[٨].

- عن أبي العلاء قال : قال رجل : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، والناس يعتقبون ، وفي الظهر قلة ، فحانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتي ، فلحقني فضرب من بعدي منكبي ، فقال : " {قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}"، فقرأها رسول الله صلى الله

---

(١) سنن النسائي(٥٤٣٩):ص٢٥٤/٨. قال الألباني: صحيح.
(٢) أخرجه أبو داود في الوتر ١٤٦٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٠٢٤، ٥٠٢٥، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.
(٤) سنن النسائي(٥٤٣٨):ص٢٥٣/٨. قال الألباني: حسن صحيح.
(٥) صحيح النسائي(٥٤٣٥):ص٢٥٢/٨. ثال الألباني: صحيح.
(٦) سنن النسائي(٥٤٤١):ص٢٥٤/٨، قال الألباني: حسن صحيح.
(٧)سنن النسائي الكبرى برقم (٧٨٤٥).
(٨) أخرجه النسائي في الاستعاذة(٥٤٣٢):ص٢٥١/٨، وصححه الألباني.

عليه وسلم وقرأتها معه ، ثم قال : " {قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}" ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأتها معه ، فقال : "إذا صليت فاقرأ بهما"[١].

- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، وما بلغت يداه من جسده»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود: الكلام على هاتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيرًا خاصًا في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس"[٣].

وقال ابن القيم: "فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيون التي أصلها كلها الوسوسة"[٤].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)المسند (٢٤/٥). قال ابن كثير:٥٣٤/٨:" الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر ، والله أعلم".

(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٨، ومسلم في السلام ٢١٩٢، وأبو داود في الطب، ٣٩٠٢، وابن ماجه في الطب ٣٥٢٩.

(٣) انظر «التفسير القيم» ص٥٣٧.

(٤) التفسير القيم :٦٠٠.

القرآن
{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)} [الفلق : ١]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: أعوذ وأعتصم برب الفلق، وهو الصبح.

سبب نزول المعوذتين:

قال المفسر الثعلبي في تفسيره : "قال ابن عباس وعائشة ، رضي الله عنهما : كان غلام اليهود يخدم رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فدبّت إليه اليهود فلم يزلوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي -صلّى الله عليه وسلم- وعدّة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن أعصم، ثم دسّها في بئر لبني زريق يقال له: «ذروان»، فمرض رسول الله صلّى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه، ولبث ست أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه، فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهم عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طب قال: وما طب؟ قال: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد ابن أعصم اليهودي، قال: وبم طبّه؟ قال: بمشط ومشاطة قال: وأين هو؟ قال في جفّ طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان. - و«الجف»: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح-، فانتبه رسول الله صلّى الله عليه وسلم مذعورا وقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله سبحانه أخبرني بدائي»، ثم بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحنّاء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطة، وإذا فيه وتر معقود فيه إثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله سبحانه هاتين السورتين، فجعل كلّما يقرأ آية أنحلت عقدة، ووجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم خفّة حين أنحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما أنشط من عقال، وجعل جبرائيل -عليه السلام- يقول: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من حاسد وعين والله يشفيك»، قال: فقالوا: يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث فنقتله، فقال صلّى الله عليه وسلم: «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شرا»""[١].

روي عن عائشة قالت: "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أن يفعل الشيء وما يفعله، قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا، ثم قال: " يا عائشة شعرت أن الله عز وجل قد أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر أروان[٢] " قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، ثم جاء فقال: " يا عائشة لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين " قلت: يا رسول الله، فهلا أحرقته ؟ قال: " لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل، وكرهت أن أثير على الناس منه شرا "، قالت: فأمر بها فدفنت "[٣].

---

(١) الكشف والبيان: ٣٣٨/١٠، وذكره الواحدي في "أسباب النزول": ٥٠٢-٥٠٣. وابن الجوزي في "زاد المسير": ٥٠٧/٤، دون عزو. وذكره الحافظ ابن كثير(٥٣٨/٨) بطوله، ونسبه للثعلبي، وقال" هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة ، وفي بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد مما تقدم". وانظر ما بعده.
وذكر نحوه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٥٠٧/٤

(٢)قال الحافظ في "الفتح" ٢٢٩/١٠-٢٣٠: الأصل بئر ذي أروان، ثم لكثرة الاستعمال سهلت الهمزة فصارت ذروان.

(٣) أخرجه أحمد في المسند(٢٤٣٠٠):ص٣٤٣/٤٠-٣٤٤، إسناده صحيح على شرط الشيخين.
وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٠/٨، ومسلم (٢١٨٩) (٤٣) ، وابن ماجه (٣٥٤٥) ، والطبري في "تفسيره" (١٦٩٣) ، وابن حبان (٦٥٨٣) من طريق ابن نمير، بهذا الإسناد.

قال الطبري-في تفسير الآية-:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد، أستجير بربّ الفلق"[١].

عن أبيّ بن كعب، قال: "سألت رسول الله ﷺ عن المعوذتين؟ فقال: «قيل لي»، فقلت: فنحن نقول كما قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- "[٢].

قال سهل:" إن الله تعالى أمره في هاتين السورتين بالاعتصام والاستعانة به، وإظهار الفقر إليه"[٣].

ومعنى {أعُوذُ}: أعتصم وألتجئ وأستجير وأتحصن وأتحرز وألوذ[٤]، وهذا هو الركن الأول من أركان الاستعاذة، وهو نفس «التعوذ».

واختلف في معنى «الفلق»، على أقوال:

أحدها : أن الفلق: سجن في جهنم ، قاله ابن عباس[٥].

قال الزمخشري:" قيل: هو واد في جهنم أو جب فيها، من قولهم لما اطمأن من الأرض: الفلق"[٦].

وقال وهب والسدي: "جُبٌّ في جهنم"[٧]. وروي عن وهب مثله[٨].

وقال ابن السائب: "وادٍ في جهنم"[٩].

عن أبي هُريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "الفَلَق: جبّ في جهنم مغطًّى"[١٠].

أخرج ابن أبي حاتم، عن زيد بن علي، عن آبائه، قال: "الفلق: جب في قعر جهنم عليه غطاء، فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه"[١١].

عن عمرو بن عَبسة، قال: "الفَلَق: بئر في جهنم، إذا سُعِّرتْ جهنم فمنه تُسعّر، وإنها لتتأدّى بها كما يتأدّى بنو آدم من جهنم"[١٢].

عن كعب:" أنه دخل كنيسة فأعجبه حُسنها، فقال: أحسن عمل وأضلّ قوم، رضيت لكم الفلق، قيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فُتح صاح جميع أهل النار من شدّة حرّه"[١٣].

وأخرجه الحميدي (٢٥٩) - ومن طريقه البخاري (٥٧٦٥) و (٦٠٦٣) - وإسحاق بن راهوية (٧٣٧) ، والبخاري (٣٢٦٨) و (٥٧٦٣) و (٦٣٩١) ، والنسائي في "الكبرى" (٧٦١٥) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٩٣٤) ، وابن حبان (٦٥٨٤) ، والطبراني في "الأوسط" (٥٩٢٢) ، والبيهقي في "السنن" ١٣٥/٨، وفي "الدلائل" ٢٤٧/٦، والبغوي في "شرح السنة" (٣٢٦٠) من طرق عن هشام، به. قال الحميدي في آخر الحديث: قال سفيان: وكان عبد الملك بن جريج حدثناه أولا قبل أن نلقى هشاما، فقال: حدثني بعض آل عروة، فلما قدم هشام حدثناه.

وعلقه البخاري في الرواية (٣٢٦٨) بقوله: وقال الليث: كتب إلي هشام أنه سمعه ووعاه عن عائشة. ووصله الحافظ في "التغليق" ٥١٢/٣ من طريق أبي بكر بن أبي داود، عن عيسى بن حماد زغبة، عن الليث، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة فذكره.

وأخرجه عبد الرزاق (١٩٧٦٤) ، والطبري (١٦٩٤) من طريق ابن المسيب وعروة بن الزبير، مرسلا.

قال السندي: قوله: مطبوب، أي: مسحور.

(١) تفسير الطبري: ٦٩٩/٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الناس ٤٩٧٦، ٤٩٧٧.

(٣) تفسير التستري: ٢١٠.

(٤) انظر «لسان العرب» مادة «عوذ» وانظر كتابنا «اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب».

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٩/٢٤.

(٦) الكشاف: ٨٢٠/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٧٠٠/٢٤.

(٨) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٥٠٨/٤.

(٩) نقلا عن: زاد المسير: ٥٠٨/٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٧٠٠/٢٤.

(١١) تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٧):ص٣٤٧٥/١٠.

(١٢)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٠٨ - ٤٠٩ (٤٤) -، وابن أبي حاتم -كما في التخويف من النار ص ١٢١ -.

(١٣) أخرجه الطبري: ٧٠٠/٢٤.

عن العوّام بن عبد الجبار الجولاني، قال: "قَدم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشأم، قال: فنظر إلى دور أهل الذمة، وما هم فيه من العيش والنضارة، وما وُسِّع عليهم في دنياهم، قال: فقال: لا أبا لك أليس من ورائهم الفلق؟ قال: قيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذ فُتح هَرّ أهْلُ النار"[١].

الثاني : أنه اسم من أسماء جهنم ، قاله أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي[٢].

الثالث : أنه الخلق كله، رواه الوالبي عن ابن عباس[٣].

عن ابن عباس: "{الفلق}، يعني: الخلق"[٤].

عن الضحاك:" معنى الفلق: الخَلْق"[٥].

الرابع : أنه فلق الصبح، قاله جابر بن عبد الله[٦]، ورواه العوفي عن ابن عباس[٧]، وبه قاله الحسن[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، ومجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، والقرظي[١٢]، وابن زيد[١٣]. وبه قال الفراء[١٤]، وابن قتيبة[١٥]، والزجاج[١٦]، والنحاس[١٧]، ومنه قول الشاعر[١٨]:

يا ليلةً لم أنَمْها بتُّ مُرْتفقا ... أرْعى النجومَ إلى أنْ نوَّرَ الفَلَقُ

وقول الآخر[١٩]:

حتَّى إذَا ما جَلَى عَنْ وجْهِهِ فلقٌ ... هَاديهِ فِي أخريَاتِ اللَّيْلِ مُنتَصِبُ

قال السمعاني:" الأظهر -: أن الفلق هو الصبح"[٢٠].

قال الفراء:" الفلق: الصبح، يُقال: هُوَ أبين من فلق الصبح، وَفَرَقَ الصبح"[٢١].

قال الزجاج:" هو فلق الصبح وهو ضياؤه، ويقال: أيضاً فرق الصبح. يقال: «هو أبين من فلق الصبح»"[٢٢].

قال الزمخشري:" الفلق والفرق: الصبح، لأن الليل يفلق عنه ويفرق..ومنه قولهم: سطع الفرقان، إذا طلع الفجر"[٢٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٩٩/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٨):ص٣٤٧٥/١٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٧٠١/٢٤.
(٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٣٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٦):ص٣٤٧٥/١٠
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٣٠١/٣.
(١٥) انظر: غريب القرآن: ٥٤٣.
(١٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥.
(١٧) إعراب القرآن: ١٩٧/٥.
(١٨) الشعر بلا نسبة في :النكت والعيون: ٣٧٤/٦، وتفسير القرطبي: ٢٥٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٥/١٠، واللباب في علوم الكتاب: ٥٦٩/٢٠.
والمرتفق: المتكئ على مرفق يده.
(١٩) لذي الرّمة في ديوانه: ٩٢/١. واللسان«فلق». قوله: هاديه: أي: أوله. انظر: شرح الديوان لأبي نصر الباهلي.
(٢٠) تفسير السمعاني: ٣٠٥/٦.
(٢١) معاني القرآن: ٣٠١/٣.
(٢٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥.
(٢٣) الكشاف: ٨٢٠/٤.

قال النحاس:" وإذا وقع الاختلاف وجب أن يرجع إلى اللسان الذي نزل به القرآن، والعرب تقول: «هو أبين من فلق الصبح وفرقه»، يعنون: الفجر"[١].

وعن قتادة:" {الفَلَق}: فَلق النهار"[٢]. وفي لفظ:" فلق الصبح"[٣].

عن محمد بن كعب القرظي:" أنه كان يقول في هذه الآية: {قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق}، يقول: فالق الحبّ والنّوى، قال: {فالِقُ الإصْباحِ} [الأنعام: ٩٦]"[٤].

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قول الله: {قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق}، قيل له: فلق الصبح؟ قال: نعم، وقرأ: {فَالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا}"[٥].

الخامس : أنها الجبال والصخور تنفلق بالمياه .

السادس : أنه كُلُّ ما انفلق عن شيء كالصبح، والحَبُّ، والنَّوى، وغير ذلك، قاله الحسن[٦].

قال الزجاج:" وكذلك فلق الأرض بالنبات والسحاب بالمطر، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن خلقه أكثره عن انفلاق، فالفلق جميع المخلوقات، وفلق الصبح من ذلك"[٧].

وقال ابن القيم: "واعلم أن الخلق كله فلق، وذلك أن فلق «فعل» بمعنى «مفعول» كقبض وسلب وقنص بمعنى مقبوض ومسلوب ومقنوص. والله عز وجل: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} [الأنعام : ٩٦]، و {فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} [الأنعام : ٩٥]، وفالق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأجنة، والظلام عن الإصباح، ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة «فلقا وفرقا» يقال: هو أبيض من فرق الصبح وفلقه.. يفرق ظلام الليل بالإصباح.. ومنه فلقه البحر لموسى، وسماه «فلقًا»"[٨].

قال السعدي:" أي: {قل} متعوذًا {أعُوذُ} أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم {بِرَبِّ الفَلَق} أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح"[٩].

السابع: شجرة في النار، قاله عبد الله بن عمر[١٠].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول: {أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق}، والفلق في كلام العرب: فلق الصبح، تقول العرب: هو أبين من فَلَق الصُّبح، ومن فرق الصبح. وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فَلَق. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن جلّ ثناؤه وضعَ دلالة على أنه عُنِي بقوله: {بِرَبِّ الفَلَق} بعض ما يُدْعَى الفلق دون بعض، وكان الله تعالى ذكره ربّ كل ما خلق من شيء، وجب أن يكون معنيا به كل ما اسمه الفَلَق، إذ كان ربّ جميع ذلك"[١١].

القرآن

{مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)} [الفلق : ٢]

التفسير:

من شر جميع المخلوقات وأذاها.

---

(١) إعراب القرآن: ١٩٧/٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٧٠١/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٧٠١/٢٤.
(٤)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن(١٤٨):ص ٢/ ٧٧، والطبري: ٧٠١/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٧٠١/٢٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٦.
(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥.
(٨) انظر «التفسير القيم» ص٥٦٢.
(٩) تفسير السعدي: ٩٣٧.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٠٨/٤.
(١١) تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤-٧٠٢.

قال الطبري:" أمر نبيه أن يستعيذ من شرّ كل شيء، إذ كان كلّ ما سواه، فهو ما خَلق"[١].

وفي تفسير الآية، أقوال:

أحدها : أن شر ما خلق: جهنم ، قاله ثابت البناني[٢].

الثاني : إبليس وذريته ، قاله ابن عباس[٣]، والحسن[٤].

قال عطاء عن ابن عباس: "يريد إبليس خاصة، لأن الله تعالى لم يخلق خلقًا هو شر منه"[٥].

الثالث : أنه عام، أي: من شر ما خلق في الدنيا والآخرة ، قاله الكلبي"[٦]، وابن شجرة[٧].

وقال الكلبي: "يريد من شر كل ذي شر"[٨].

وقال مقاتل: من شر ما خلق من الجن والإنس"[٩].

قال السمعاني:" أي: من شر جميع ما خلق"[١٠].

قال السعدي:" هذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها، من الشر الذي فيها"[١١].

وقد روي أنه ﷺ إذا سافر فأقبل الليل، قال: «يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد»[١٢].

قال -صلى الله عليه وسلم-: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم يضره شيء حتى يرتحل منه»[١٣].

وروي عنه-صلى الله عليه وسلم-، قال: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن»[١٤].

قال الشوكاني:" أي: من شر كل ما خلقه سبحانه من جميع مخلوقاته فيعم جميع الشرور، وقيل: هو إبليس وذريته، وقيل: جهنم، ولا وجه لهذا التخصيص، كما أنه لا وجه لتخصيص من خصص هذا العموم بالمضار البدنية. وقد حرف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه وتقويما لباطله، فقرؤوا بتنوين شر على أن «ما» نافية، والمعنى: من شر لم يخلقه، ومنهم عمرو بن عبيد وعمرو بن عائذ"[١٥].

---

(١) تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٦.

(٣) التفسير البسيط للواحدي: ٤٥٨/٢٤. [ط. دار التفسير]

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٦.

(٥) التفسير البسيط للواحدي: ٤٥٨/٢٤. [ط. دار التفسير]

(٦) التفسير البسيط للواحدي: ٤٥٨/٢٤. [ط. دار التفسير]

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٦، وزاد المسير: ٥٠٨/٤.

(٨) التفسير البسيط للواحدي: ٤٥٨/٢٤. [ط. دار التفسير]

(٩)التفسير البسيط للواحدي: ٤٥٨/٢٤. [ط. دار التفسير]. ولم أعثر على مصدر لقوله، وقد ورد بمثله من غير عزو في: "لباب التأويل" ٤/ ٤٣٠.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٠٥/٦.

(١١) تفسير السعدي: ٩٣٧.

(١٢) أخرجه أبو داود في الجهاد ٢٦٠٣ – من حديث ابن عمر ﷺ وضعفه الألباني.

(١٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء ٢٧٠٨، والترمذي في الدعوات ٣٤٣٧، وابن ماجه في الطب ٣٥٤٧ – من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.

(١٤) أخرجه أحمد ٤١٩/٣ – من حديث عبد الرحمن بن خنبش ﷺ.

(١٥) فتح القدير: ٦٣٩/٥.

قال أبو حيان:" {ما}: عام، يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد، كالإحراق بالنار، والإغراق بالبحر، والقتل بالسم"[١].

قرأ الجمهور: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}، بإضافة {شَرِّ} إلى {مَا}، وقرأ عمرو بن فايد: «من شرٍ»، بالتنوين[٢].

قال ابن عطية:" وقرأ عمرو بن عبيد، وبعض المعتزلة القائلين بأن الله تعالى لم يخلق الشر: «من شرٍ»، بالتنوين، «ما خلق» على النفي، وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل، الله خالق كل شيء"[٣].

قال ابن القيم: "الشر يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي إليه؛ فالمعاصي والكفر والشرك وأنواع الظلم شرور، وإن كان لصاحبها فيها نوع لذة، لكنها شرور؛ لأنها أسباب للآلام ومفضية إليها كإفضاء سائر الأسباب إلى مسبباتها، فترتب الألم عليها كترتب الموت على تناول السموم القاتلة وعلى الذبح، والإحراق في النار، والخنق بالحبل، وغير ذلك من الأسباب التي تكون مفضية إلى مسبباتها ولابد، ما لم يمنع من السببية مانع، أو يعارض السبب ما هو أقوى منه... وهل زالت عن أحد قط نعمة إلا بشؤم معصيته؛ فإن الله إذا أنعم على عبد نعمة حفظها الله عليه، ولا يغيرها حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [الرعد : ١١]".

ومن تأمل ما قص الله في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال الله نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله، وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره، وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عاقبة عواقب الذنوب كما قيل[٤]:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

وحافظ عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

فما حفظت نعمة لله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد نعمة بمثل معصيته لربه، فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس، ومن سافر بفكره في أحوال العالم استغنى عن تعريف غيره له.

وأما كون مسبباتها شرورًا فلأنها آلام نفسية وبدنية، فيجتمع على صاحبها مع شدة الألم الحسي ألم الروح بالهموم والغموم والأحزان والخسران، ولو تفطن العاقل اللبيب لهذا حق التفطن لأعطاه حقه من الحذر والجد والهرب، ولكن قد ضرب على قلبه حجاب الغفلة ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً؛ فلو تيقظ حق التيقظ لتقطعت نفسه في الدنيا حسرات على ما فاته من حظه العاجل والآجل من الله، وإنما يظهر هذا حقيقة الظهور عند مفارقة هذا العالم والإشراف والاطلاع على عالم البقاء؛ فحينئذ يقول: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر : ٢٤]، {يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّه} [الزمر : ٥٦].

ولما كان الشر هو الآلام وأسبابها كانت استعاذات النبي ﷺ جميعها مدارها على هذين الأصلين؛ فكل ما استعاذ منه أو أمر بالاستعاذة منه فهو إما مؤلم، وإما سبب يفضي إليه؛ فكان يتعوذ في آخر الصلاة من أربع، وأمر بالاستعاذة منهن، وهي: «عذاب القبر، وعذاب النار»؛ فهذان أعظم المؤلمات، «وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال»، وهذان سبب العذاب المؤلم؛ فالفتنة سبب العذاب... فعادت الاستعاذة إلى الاستعاذة من الألم والعذاب وأسبابه، وهذا من آكد أدعية الصلاة وهذا من آكد أدعية الصلاة، حتى أوجب بعض السلف والخلف الإعادة

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ٥٧٥/١٠.

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٧٥/١٠.

(٣) المحرر الوجيز: ٥٣٨/٥.

(٤) الشعر لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه-. انظر «ديوانه» ص١٧٥، ١٧٦ – جمع نعيم زرزورة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

على من لم يدع به في التشهد الأخير. وأوجبه ابن حزم في كل تشهد. فإن لم يأت به فيه بطلت صلاته.

ثم قال ابن القيم –أيضًا-: "والشر المستعاذ منه نوعان: أحدهما: موجود، يطلب رفعه، والثاني: معدوم، يطلب بقاؤه على العدم، وأن لا يوجد؛ كما أن الخير المطلق نوعان: أحدهما: موجود، فيطلب دوامه وثباته، وأن لا يسلبه، والثاني: معدوم، فيطلب وجوده وحصوله؛ فهذه أربعة هي أمهات مطالب السائلين من رب العالمين، وعليها مدار طلباتهم.

وقد جاءت هذه المطالب الأربعة في قوله تعالى حكاية عن دعاء عباده في آخر آل عمران في قوله: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا} [آل عمران : ١٩٣] ؛ فهذا الطلب لدفع الشر الموجود؛ فإن الذنوب والسيئات شر، كما تقدم بيانه، ثم قال: {وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} [آل عمران : ١٩٣] ؛ فهذا طلب لدوام الخير الموجود - وهو الإيمان - حتى يتوفاهم عليه؛ فهذان قسمان، ثم قال: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ} [آل عمران : ١٩٤] ؛ فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم إياه، ثم قال: {وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران : ١٩٤]؛ فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدوم، وهو خزي يوم القيامة؛ فانتظمت الآيتان المطالب الأربعة أحسن انتظام، مرتبة أحسن ترتيب، قدم فيها النوعان اللذان في الدنيا، وهما المغفرة ودوام الإسلام إلى الموت، ثم أتبعا بالنوعين اللذين في الآخرة؛ وهما أن يعطوا ما وعدوه على ألسنة رسله، وأن لا يخزيهم يوم القيامة"[١].

القرآن

{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)} [الفلق : ٣]

التفسير:

ومن شر ليل شديد الظلمة إذا دخل وتغلغل، وما فيه من الشرور والمؤذيات.

وفي تفسير «الغاسق»، أقوال:

أحدها : يعني: الشمس إذا غربت، قاله ابن شهاب[٢].

قال ابن شهاب:" الغاسق: سقوط الثريا، و«الغاسق إذا وقب»: الشمس إذا غربت"[٣].

الثاني : أنه القمر إذا ولج، أي: دخل في الظلام.

عن أبي سلمة قال: قالت عائشة: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأراني القمر حين طلع، فقال: " تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب"[٤].[حسن]

---

(١) التفسير القيم: ٦١٠-٦١٢.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٩):ص٣٤٧٥/١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٩):ص٣٤٧٥/١٠.

(٤) أخرجه احمد في المسند(٢٤٣٢٣):ص٣٧٨/٤٠-٣٧٩، حديث حسن، من أجل الحارث وهو ابن عبد الرحمن القرشي، خال ابن أبي ذئب، فقد تفرد بالرواية عنه ابن أبي ذئب، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن سعد: كان قليل الحديث، وقال: ابن معين: هو مشهور، وقال أحمد: لا أرى به بأسا، وانفرد علي ابن المديني بتجهيله، ولم يتابعه
على ذلك أحد.
وأخرجه الطيالسي (١٤٨٦) - ومن طريقه البيهقي في "الدعوات" (٣١٤) - والحربي في "غريب الحديث" ٥١٧/٢، وإسحاق بن راهوية (١٠٧٢) ، وأبو يعلى (٤٤٤٠) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٧٧١) و (١٧٧٢) ، والحاكم ٥٤٠/٢ من طرق عن ابن أبي ذئب، به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وقد اختلف في هذا الإسناد على أبي داود الحفري، وهو عمر بن سعد.
فرواه الإمام أحمد- كما في هذه الرواية- عنه، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث، به.
ورواه محمود بن غيلان- كما عند النسائي في "الكبرى" (١٠١٣٨) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٣٠٦) - ومن طريقه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٤٨) - عنه، عن سفيان، وهو الثوري، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث، به. فزاد في الإسناد سفيان، وهو الأشبه.
ومن طريق سفيان الثوري أخرجه الطبري في "تفسيره" ٣٥٢/٣٠، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار"

قال ابن قتيبة:" ويقال: «الغَاسقُ»: القمر، إذا كُسف فاسودَّ. {إذا وَقبَ}: دخل في الكسوف"[١].

قال النحاس: يجوز أن تكون الاستعاذة من القمر، لأن قوما أشركوا بسببه، فنسب إليه الاستعاذة على المجاز"[٢].

وذكر بعضهم: "أن الاستعاذة من القمر؛ لأن أهل البرية يتحينون وجه القمر – أي: غروبه - وهم اللصوص وأهل الشر والفساد"[٣].

قال ابن قتيبة: "ويقال: الغاسق: القمر إذا كسف فاسودَّ. ومعنى وَقَبَ دخل في الكسوف"[٤].

الثالث : أنه الثريا إذا سقطت، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها، قاله ابن زيد[٥].

قال ابن زيد:" كانت العرب تقول: الغاسق: سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها"[٦].

عن عثمان بن عبد الله بن سراقة قال: «كنا في سفر ومعنا ابن عمر فسألته، فقال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسبح في السفر قبل الصلاة ولا بعدها"، قال: وسألت ابن عمر عن بيع الثمار، فقال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة"، قلت: أبا عبد الرحمن وما تذهب العاهة، ما العاهة؟ قال: "طلوع الثريا"»[٧].

عن أبي هريرة رفعه:"إذا طلع النجم ذا صباح، فقد رفعت العاهة عن كل بلد"[٨]. قال السمعاني :"وذلك مثل الوباء والطواعين والأسقام وما يشبهها"[٩].

وذكره المرتضى الزبيدي، بلفظ:"لا تباع الثمار حتى تطلع الثريا"[١].

(١٧٧٤) عن ابن أبي ذئب، عن الحارث، به.

قال السندي: قوله: "من شر هذا الغاسق"، أي: المظلم.

إذا وقع"، أي: غاب، وإنما سمي غاسقا، لأنه إذا أخذ في الطلوع والغروب يظلم لونه لما تعرض دونه من الأبخرة المتصاعدة من الأرض عند الأفق، وهو إذا غاب انتشر الفسقة للسرقة، وللفجور بالنساء، والله تعالى أعلم. [وانظر "شرح مشكل الآثار" ٣١/٥ للطحاوي].

(١) غريب القرآن: ٥٤٢.

(٢) عزاه إليه السمعاني في "التفسير": ٣٠٦/٦.

(٣) حكاه السمعاني في "التفسير": ٣٠٦/٦.

(٤) غريب القرآن: ٥٤٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٣/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٧٠٣/٢٤.

(٧) أخرجه احمد في المسند(٥٠١٢):ص٥٥/٩، إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عثمان بن عبد الله بن سراقة، فمن رجال البخاري. ابن أبي ذئب: هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة.

وقوله: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسبح في السفر قبل الصلاة ولا بعدها. سلف تخريجه برقم (٤٦٧٥) .

وقوله:"نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة": أخرجه الشافعي في "مسنده"١٤٩٠/٢ (ترتيب السندي) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار"٢٣/٤، وفي "شرح مشكل الآثار" (٢٢٨٣) و (٢٢٨٤) ، والطبراني في "الكبير" (١٣٢٨٧) ، والبيهقي./٣٠٥، والبغوي (٢٠٧٩) ، وابن عبد البر في "التمهيد"١٩٢/٢ من طرق، عن ابن أبي ذئب، به.

قوله:"حتى تذهب العاهة"هو من قول ابن عمر كما ورد في البخاري (١٤٨٦) ، ومسلم (١٥٣٤) (٥٢) ، ولفظه عند مسلم: فقيل لابن عمر: ما صلاحه؟ قال: تذهب عاهته، وانظر"الفتح"٣٩٦/٤، وسيرد برقم (٥٤٩٩).

وقوله: قلت: أبا عبد الرحمن وما تذهب العاهة؟ قال السندي: أي: ما المراد بقولك: تذهب العاهة؟ أو المعنى: ما علامة ذهاب العاهة؟ على أن الفعل أريد به المصدر، والمضاف مقدر.

(٨)محمد بن الحسن في " الآثار" ص ١٥٩ عن أبي حنيفة، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رفعه. وإسناده صحيح.

(٩) انظر: تفسير السمعاني: ٣٠٦/٦.

وأورده ابن حجر من رواية أبي داود بلفظ:"إذا طلع النجم صباحا رفعت العاهة عن كل بلد"، ثم قال: وفي رواية أبي حنيفة، عن عطاء: "رفعت العاهة عن الثمار"[٢].

والنجم: هو الثريا، وطلوعها صباحا يقع في أول فصل الصيف، وذلك عند اشتداد الحر في بلاد الحجاز، وابتداء نضج الثمار، فالمعتبر في الحقيقة النضج، وطلوع النجم علامة له.

وفي الباب عن زيد بن ثابت:" أنه كان لا يبيع ثماره حتى تطلع الثريا"[٣].

الرابع : أنه النجم، رواه أبو هريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم[٤].[ضعيف]

عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: "{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ}، قال: «النجم: الغاسق»"[٥].

الخامس : أنه الليل، لأنه يخرج السباع من آجامها، والهوام من مكامنها ويبعث أهل الشر على العبث والفساد ، رواه الوالبي عن ابن عباس[٦]، وبه قال الحسن[٧]، ومجاهد[٨]، والضحاك[٩]، وقتادة[١٠]، والقرظي[١١]، والسدي[١٢]، والفراء[١٣]، وأبو عبيدة[١٤]، وابن قتيبة[١٥]، والزجاج[١٦]، والزجاج[١٦]، والنحاس[١٧]. قال الشاعر [١٨]:

يا طَيْفَ هِنْدٍ لقد أبقيْتَ لي أرَقا ... إذ جئْتَنا طارِقاً والليلُ قد غَسَقا

قال السعدي:" أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية"[١٩].

عن مجاهد: "{غَاسِقٍ}، قال: الليل، {إِذَا وَقَبَ}، قال: إذا دخل"[٢٠].

عن الحسن:"{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ}، قال: أوّل الليل إذا أظلم"[٢١].

عن الحسن:" {إِذَا وَقَبَ}، قال: إذا جاء"[٢٢].

قال الحسن:" الليل إذا أقبل"[٢٣].

وعن قتادة: "{وَقَبَ}: ذهب"[١].

---

(١)عقود الجواهر المنيفة: ٢١٢/١.

(٢)"الفتح: ٣٩٦/٤.

(٣)أخرجه مالك: ٦١٩/٢، وإسناده صحيح.

(٤) ضعيف جدا. أخرجه الطبري ٧٠٣/٢٤،عن أبي هريرة مرفوعا، وإسناده ضعيف، فيه محمد بن عبد العزيز، وهو متروك، وقال الحافظ ابن كثير (٥٣٦/٨): "هذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-".

(٥) أخرجه الطبري: ٧٠٣/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٠٩/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٠٩/٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٥٠٩/٤.

(١٣) انظر: معاني القرآن: ٣٠١/٣.

(١٤) انظر: مجاز القرآن: ٣١٧/٢.

(١٥) انظر: غريب القرآن: ٥٤٣.

(١٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥.

(١٧) انظر: إعراب القرآن: ١٩٧/٥.

(١٨) البيت بلا نسبة في : النكت والعيون: ٣٧٥/٦، وتفسير القرطبي: ٢٥٦/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٦/١٠، واللباب في علوم الكتاب: ٥٧٢/٢٠.

(١٩) تفسير السعدي: ٩٣٧.

(٢٠) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٢١) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٢٢) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٢٣) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

وعن عطية بن سعد العَوفيّ، {ومِن شَرِّ غاسِقٍ إذا وقَبَ}، قال: الليل إذا ذهب"[٢].
قال القرظي:" النهار إذا دخل في الليل"[٣].
قال القرظي:" هو غروب الشمس إذا جاء الليل، إذا وقب"[٤].
قال القرظي:" : هو غروب الشمس إذا جاء الليل، إذا وجب"[٥].
وقال السدي:" يعني: الليل إذا أطبق الأُفُق بظُلمته"[٦].
قال ابن قتيبة:" «الْغَاسِقُ» الليل؛ و«الغَسَقُ»: الظلْمة، {إذَا وَقَبَ}، أي: دخل في كل شيء"[٧].
قال الطبري:" يقول: ومن شرّ مظلم إذا دخل، وهجم علينا بظلامه"[٨].
قال الفراء:" الغاسق: الليل «إذا وَقَبَ» إذَا دخل فِي كل شيء وأظلم، وَيُقَال: غسق وأغسق"[٩].
قال الزجاج:" {غَاسِقٍ}، يعنى: به الليل، {إذَا وَقَبَ}: إذا دَخَل، وقيل: لليل غاسقٌ - واللَّه أعلم - لأنه أبرد من النهار، والغاسق: البارد"[١٠].
قال ابن القيم: "ولا تنافي بين القولين؛ فإن الليل بارد ومظلم، فمن ذكر برده فقط، أو ظلمته فقط اقتصر على أحد وصفيه"[١١].
قال النحاس:" وأكثر أهل التفسير أن «الغاسق»: الليل، ومنهم من قال: الكواكب، فإذا رجع إلى اللغة عرف منها أنه يقال: «غسق»، إذا أظلم. فاتّفقت الأقوال، لأن الشمس إذا غربت دخل الليل، والقمر بالليل يكون، والكواكب لا يكاد يطلع إلّا ليلا. فصار المعنى: ومن شرّ الليل إذا دخل بظلمته فغطّى كل شيء. يقال: وقب إذا دخل"[١٢].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ} وهو الذي يُظْلِم، يقال: قد غَسَق الليل يَغْسُق غسوقا: إذا أظلم {إذَا وَقَبَ}، يعني: إذا دخل في ظلامه؛ والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك، فكلّ غاسق، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يُؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب. وكان يقول في معنى وقب: ذهب. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: «{غَاسِقٍ إذَا وَقَبَ}، قال: إذا ذهب»، ولست أعرف ما قال قتادة في ذلك في كلام العرب، بل المعروف من كلامها من معنى {وقب}: دخل"[١٣].
قال السمعاني:" ومعنى الاستعاذة من الليل؛ لأن فيه يكون تحرك الهموم وهجوم كل ذي شر بقصد"[١٤].

---

(١) عزاه إليه النحاس في "إعراب القرآن" وقال "لايعرف".
(٢)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٣) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٧٠٣/٢٤.
(٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٧٤ -.
(٧) غريب القرآن: ٥٤٢.
(٨) تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤.
(٩) معاني القرآن: ٣٠١/٣.
(١٠) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥.
(١١) التفسير القيم: ٦٢٢. وقال أيضا:" والظلمة في الآية أنسب لمكان الاستعاذة؛ فإن الشر الذي يناسب الظلمة أولى بالاستعاذة من البرد الذي في الليل، ولهذا استعاذ برب الفلق، الذي هو الصبح والنور، من شر الغاسق الذي هو الظلمة، فناسب الوصف المستعاذ به المعنى المطلوب بالاستعاذة".
(١٢) إعراب القرآن: ١٩٧/٥.
(١٣) تفسير الطبري: ٧٠٤/٢٤.
(١٤) تفسير السمعاني: ٣٠٥/٦.

قال الزمخشري:" التعوّذ من شر الليل لأن انبثاثه فيه أكثر، والتحرّز منه أصعب. ومنه قولهم: الليل أخفى للويل. وقولهم: أغدر الليل، لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشر إليه لملابسته له من حدوثه فيه"[١].

قال الشوكاني:" قيل: الغاسق: الحية إذا لدغت. وقيل الغاسق: كل هاجم يضر كائنا من كان، من قولهم غسقت القرحة إذا جرى صديدها. وقيل: الغاسق: هو السائل، و الراجح في تفسير هذه الآية أن الغاسق: الليل،، ووجه تخصيصه أن الشر فيه أكثر، والتحرز من الشرور فيه أصعب، ومنه قولهم: الليل أخفى للويل"[٢].

ولهذا قال ﷺ: «إذا أقبل الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك، واذكر اسم الله وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئًا»[٣].

وفي حديث آخر: «فإن الله عز وجل يبث في ليله من خلقه ما يشاء»[٤].

قال ابن تيمية: "فالقمر أحق ما يكون بالليل بالاستعاذة، والليل مظلم، تنتشر فيه شياطين الإنس والجن ما لا تنتشر بالنهار، ويجري فيه من أنواع الشر ما لا يجري بالنهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والخيانة والفواحش، وغير ذلك؛ فالشر دائمًا مقرون بالظلمة، ولهذا إنما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم؛ لكن شياطين الإنس والجن تفعل فيه من الشر ما لا يمكنها فعله بالنهار، ويتوسلون بالقمر وبدعوته، والقمر وعبادته، وأبو معشر البلخي له «مصحف القمر» يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستعاذة منه"[٥].

قال ابن القيم:" والليل هو محل الظلام. وفيه تتسلط شياطين الإنس والجن ما لا تتسلط بالنهار. فإن النهار نور، والشياطين إنما سلطانهم في الظلمات والمواضع المظلمة، وعلى أهل الظلمة. وروى أن سائلا سأل مسيلمة: «كيف يأتيك؟ فقال: في ظلماء حندس»[٦]. وسئل النبي صلّى الله عليه وسلّم «كيف يأتيك؟ فقال: في مثل ضوء النهار»[٧].

ولهذا كان سلطان السحر إنما هو بالليل دون النهار؛ فالسحر الليلي عندهم هو السحر القوي التأثير، ولهذا كانت القلوب المظلمة هي محال الشياطين وبيوتهم ومأواهم والشياطين تجول فيها وتتحكم، كما يتحكم ساكن البيت فيه، وكلما كان القلب أظلم كان للشيطان أطوع، وهو فيه أثبت وأمكن. ومن ههنا تعلم السر في الاستعاذة برب الفلق في هذا الموضع؛ فإن الفلق هو الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور، وهو الذي يطرد جيش الظلام، وعسكر المفسدين في الليل فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص، وكل قاطع طريق إلى سرب أو كن أو غار، وتأوي الهوام إلى أجحرتها، والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالها.

فأمر الله عباده أن يستعيذوا برب النور، الذي يقهر الظلمة ويزيلها، ويقهر عسكرها وجيشها، ولهذا ذكر سبحانه في كل كتاب: أنه يخرج عباده من الظلمات إلى النور، ويدع الكفار في ظلمات الكفر، قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة : ٢٥٧]، وقال تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} [الأنعام : ١٢٢]، وقال في أعمال الكفار: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا

---

(١) الكشاف: ٨٢١/٤.

(٢) فتح القدير: ٦٣٩/٥.

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢٨٠، ومسلم في الأشربة ٢٠١٢، وأبو داود في الأشربة ٣٧٣٣، والترمذي في الأطعمة ١٨١٢، وابن ماجه في الأدب ٣٧٧١ – من حديث جابر ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد ٣٠٦/٣، ٣٥٥ – من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٥) انظر «دقائق التفسير» ٤٩٧/٦.

(٦) نقلا عن: انظر :التفسير القيم: ٦٢٤.

(٧) نقلا عن: انظر :التفسير القيم: ٦٢٤.

أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور : ٤٠]، وقال عز وجل في وصف نوره ونور الإيمان: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور : ٣٥]"[١].

القرآن

{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)} [الفلق : ٤]

التفسير:

ومن شر الساحرات اللاتي ينفخن فيما يعقدن من عُقَد بقصد السحر.

قال الطبري:" يقول: ومن شرّ السواحر اللاتي ينفُثن في عُقَد الخيط، حين يَرْقِين عليها"[٢].

قال السعدي:" أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر"[٣].

قال البغوي:" يعني: السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها"[٤].

قال الفراء:" هن السواحر ينفثن سحرهن"[٥].

قال ابن قتيبة:" {النَّفَّاثَاتِ}: السَّواحر. و«يَنْفُثْن»: يَنْفُلْنَ إذا سَحَرْن ورَقَيْن"[٦].

قال الزجاج:" {النَّفَّاثَاتِ}: السواحر، تنفث: تتفل بلا ريق، كأنه نفخ كما يفعل كل من يرقى"[٧].

قال أبو عبيدة:" «النَّفَّاثاتِ»: السّحرة ينفثن، قال عنترة[٨]:

فإن يبرأ فلم أنفث عليه ... وإن يفقد فحقّ له الفقود"[٩].

قال ابن القيم: "والجواب المحقق أن «النفاثات» -هنا-: هن الأرواح والأنفس النفاثات؛ لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح لشريرة، وسلطانه إنما يظهر منها، ولهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث، دون التذكير، والله أعلم.. والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة، نفخ في تلك العقد نفخًا معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى، مقترن بالريق الممازج لذلك، وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري، لا الأمري الشرعي"[١٠].

قال الزمخشري:" {النَّفَّاثَاتِ}: النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين: والنفث النفخ من ريق، ولا تأثير لذلك، اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار، أو سقيه، أو إشمامه. أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه، ولكنّ الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان"[١١].

---

(١) التفسير القيم: ٦٢٤-٦٢٥.
(٢) تفسير الطبري: ٧٠٤/٢٤.
(٣) تفسير السعدي: ٩٣٧.
(٤) تفسير البغوي: ٥٩٦/٨.
(٥) معاني القرآن: ٣٠١/٣.
(٦) غريب القرآن: ٥٤٢.
(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥.
(٨)ديوانه من الستة: ص ٣٨.
(٩) مجاز القرآن: ٣١٧/٢.
(١٠) التفسير القيم: ٦٢٨.
(١١) الكشاف: ٨٢١/٤.

وقول الزمخشري :"«ولا تأثير لذلك» مبنى على مذهب المعتزلة من أنه لا حقيقة للسحر ولا تأثير له. وذهب أهل السنة إلى إثباته وإثبات تأثيره لظاهر الكتاب والسنة"[١].

عن ابن عباس: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: ما خالط السِّحر من الرُّقَى"[٢].

عن الحسن: "{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: السواحر والسَّحرَة"[٣].

عن قتادة، قال: "كان الحسن يقول إذا جاز: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: إياكم وما خالط السحر"[٤].

عن معمر، قال: تلا قتادة: "{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: إياكم وما خالط السِّحر من هذه الرُّقَى"[٥].

قال طاوس:" ما من شيء أقرب إلى الشرك من رُقْية المجانين"[٦].

عن مجاهد: "{النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: الرقى في عقد الخيط"[٧].

عن عكرمة :"{النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: الأخذ في عقد الخيط"[٨].

قال ابن زيد:" {النَّفَّاثَاتِ}: السواحر في العقد"[٩].

عن الضحاك :"{النفاثات}، قال: السواحر"[١٠].

قال الخليل:" النفث: نفثك في العقد ونحوها"[١١].

قال الأزهري:" التفل بالفم لا يكون إلا ومعه شيء من الريق، فإذا كان نفخا بلا ريق فهو النفث"[١٢].

قال الصاحب بن عباد:" النفث: النفخ كما ينفث الراقي. والنافثة: الساحرة، وهن النوافث والنافثات"[١٣].

قال الجوهري:" النفث: شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل. وقد نفث الراقي ينفث وينفث. {والنفاثات في العقد}: السواحر "[١٤]. التفل: شبيه بالبزق، وهو أقل منه. أوله البزق، ثم التفل، ثم النفث، ثم النفخ...ومنه: تفل الراقي. ورجل تفل، أي غير متطيب"[١٥].

قال ابن الأنباري: "قال اللغويون: تفسير «نَفَثَ»: نَفَخَ نفخاً ليس معه ريق، ومعنى «تفل»: نفخ نفخا معه ريق. وقال ذو الرّمّة[١٦]:

ومن جوف ماء عرمض[١٧] الحفل فوقه ... متى تحس منه ماثح القومِ يَثْفُلِ"[١٨].

وقال بعض المفسرين: "المراد بـ«النَّفَّاثات» –هاهنا-: بنات لبيد أعصم اليهودي سحرن رسول الله صلّى الله عليه وسلم"[١].

---

(١) أفاده محقق الكشاف: ٨٢١/٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٧٠٤/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٧٠٤/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٧٠٤/٢٤-٧٠٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٧٠٤/٢٤-٧٠٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤.
(٧)أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٥٤١):ص٣٤٧٥/١٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٤٠):ص٣٤٧٥/١٠.
(١١) العين، «نفث»:ص٢٣٠/٨.
(١٢) تهذيب اللغة، «تفل»: ص٢٠٢/١٤.
(١٣) المحيط في اللغة«تفث»:ص٤١٤/٢.
(١٤) الصحاح «نفث»:ص٢٩٥/١.
(١٥) الصحاح، «تفل»:ص ١٦٤٤/٤.
(١٦) ديوان ذي الرمة، شرح الباهلي: ١٥٨٧/٣.
(١٧)العرمض: الطحلب الأخضر الذي يتغشى الماء، اللسان«عرمض».
والمائح (بالهمز): الذي ينزل البئر فيملأ الدلو. والماتح (بالتاء): الذي يجذب الدلوا.
(١٨) نقلا عن: زاد المسير: ٥٠٩/٤.

قال أهل التفسير : "من السواحر ينفثن في عقد الخيوط للسحر ، قال الشاعر[٢]:

أعُوذُ بربِّي مِن النَّافِثا ... تِ في عُقَدِ العاضِهِ المُعْضِهِ

وربما فعل قوم في الرقى مثل ذلك ، طلباً للشفاء ، كما قال متمم بن نويرة[٣]:

نَفَثْت في الخيط شبيه الرُّقَى ... من خشيةِ الجِنّة والحاسدِ"[٤]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه»[٥].

عن أبي سعيد الخدري: أن جبريل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : "اشتكيت يا محمد ؟ فقال : "نعم". فقال : بسم الله أرْقِيك ، من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ، الله يشفيك"[٦].

قال ابن كثير:" ولعل هذا كان من شكواه ، عليه السلام ، حين سحر ، ثم عافاه الله تعالى وشفاه ، ورد كيد السحرَة الحسَّاد من اليهود في رءوسهم ، وجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وفضحهم ، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الدهر ، بل كفى الله وشفى وعافى"[٧].

عن زيد بن أرقم قال: " سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياما، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، عقد لك عقدا في بئر كذا وكذا، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستخرجوها، فجيء بها، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي، ولا رآه في وجهه قط"[٨].

روى ابن أبي سُرَيج: «النافثات»، بألف قبل الفاء مع كسر الفاء وتخفيفها[٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} [الفلق : ٤]، ثلاثة وجوه[١٠]:

أحدها : أنه إيهام للأذى وتخيل للمرض من غير أن يكون له تأثير في الأذى والمرض، إلا استشعار ربما أحزن، أو طعام ضار ربما نفذ بحيلة خفية. حكاه ابن فورك[١١].

---

(١) نقلا عن: زاد المسير: ٥٠٩/٤.

(٢) البيت بلا نسبة في اللسان«عضه»:ص٥١٥/١٣، والنكت والعيون: ٣٧٥/٦-٣٧٦، وتفسير القرطبي: ٢٥٧/٢٠، واللباب في علوم الكتاب: ٥٧٣/٢٠.

والعضة (كعنب): الكذب والسحر والبهتان. والعاضه: الساحر. اللسان«عضه»:ص٥١٦/١٣.

(٣) البيت له في: النكت والعيون: ٣٧٥/٦، وتفسير القرطبي: ٢٥٧/٢٠، واللباب في علوم الكتاب: ٥٧٣/٢٠.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٥/٦-٣٧٦، وتفسير القرطبي: ٢٥٧/٢٠، واللباب في علوم الكتاب: ٥٧٣/٢٠.

(٥) السنن الكبرى للنسائي(٣٥٢٨):ص٤٤٩/٣، والمعجم الأوسط للطبراني(١٤٦٩):ص١٢٧/٢.[ضعيف] في سنده عباد بن ميسرة وهو لين الحديث، والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

(٦)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد ، رضي الله عنه.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٣٧/٨.

(٨)المسند (٣٦٧/٤) وسنن النسائي(٤٠٨٠):ص :١١٢/٧.وصححه الألباني.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٠٩/٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن فورك: ٣٠٧/٣، والنكت والعيون: ٣٧٦/٦.

وذكر الزمخشري ثلاثة وجوه في معنى معنى الاستعاذة من شرهن:

أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهنّ في ذلك. والثاني: أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن. والثالث: أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن.

ثم قال الزمخشري:" ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات، من قوله: {إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ}، تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد. أو اللاتي يفتن الرجال بتعرّضهن لهم وعرضهن محاسنهن، كأنهن يسحرنهم بذلك".

[الكشاف: ٨٢١/٤-٨٢٢]

(١١) انظر: تفسير ابن فورك: ٣٠٧/٣.

وذكر الزمخشري ثلاثة وجوه في معنى معنى الاستعاذة من شرهن:

أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهنّ في ذلك. والثاني: أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن. والثالث: أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن.

ثم قال الزمخشري:" ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات، من قوله: {إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ}، تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد. أو اللاتي يفتن الرجال بتعرّضهن لهم وعرضهن محاسنهن، كأنهن يسحرنهم بذلك".

قال النحاس:" يقال: أنّهنّ نساء سواحر كنّ في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم أمر بالاستعاذة منهن لأنهنّ يوهمن أنهنّ ينفعن أو يضررن فربّما لحق الإنسان في دينه ما يأثم به. فأما السحر فباطل"[١].

الثاني : أنه قد يؤذى بمرض لعارض ينفصل فيتصل بالمسحور فيؤثر فيه كتأثير العين، وكما ينفصل من فم المتثائب ما يحدث في المقابل له مثله. حكاه الماوردي[٢].

الثالث : أنه قد يكون ذلك بمعونة من خدم الجن يمتحن الله بعض عباده دون بعض. حكاه ابن فورك[٣].

قال ابن فورك:" وفي السورة تعليم ما يستدفع به الشرور بإذن الله على تلاوة ذلك بالإخلاص فيه، والاتباع لأمر الله تعالى"[٤].

فأما المروي من سحر النبي -صلى الله عليه وسلم-فقد أثبته أكثرهم ، وأن قوماً من اليهود سحروه وألقوا عقدة سحره في بئر حتى أظهره الله عليها .

عن عائشة قالت: "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أن يفعل الشيء وما يفعله، قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا، ثم قال: " يا عائشة شعرت أن الله عز وجل قد أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر أروان[٥] " قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، ثم جاء فقال: " يا عائشة لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين " قلت: يا رسول الله، فهلا أحرقته ؟ قال: " لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل، وكرهت أن أثير على الناس منه شرا "، قالت: فأمر بها فدفنت "[٦].

[الكشاف: ٨٢١/٤-٨٢٢]

(١) إعراب القرآن: ١٩٧/٥.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٦/٦.

وذكر الزمخشري ثلاثة وجوه في معنى معنى الاستعاذة من شرهن:

أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهنّ في ذلك. والثاني: أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن. والثالث: أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن.

ثم قال الزمخشري:" ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات، من قوله: {إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ}، تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد. أو اللاتي يفتن الرجال بتعرّضهن لهم وعرضهن محاسنهن، كأنهن يسحرنهم بذلك".

[الكشاف: ٨٢١/٤-٨٢٢]

(٣) انظر: تفسير ابن فورك: ٣٠٧/٣.

وذكر الزمخشري ثلاثة وجوه في معنى معنى الاستعاذة من شرهن:

أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهنّ في ذلك. والثاني: أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن. والثالث: أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن.

ثم قال الزمخشري:" ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات، من قوله: {إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ}، تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد. أو اللاتي يفتن الرجال بتعرّضهن لهم وعرضهن محاسنهن، كأنهن يسحرنهم بذلك".

[الكشاف: ٨٢١/٤-٨٢٢]

(٤) تفسير ابن فورك: ٣٠٧/٣.

(٥)قال الحافظ في "الفتح" ٢٢٩/١٠-٢٣٠: الأصل بئر ذي أروان، ثم لكثرة الاستعمال سهلت الهمزة فصارت ذروان.

(٦) أخرجه أحمد في المسند(٢٤٣٠٠):ص٣٤٣/٤٠-٣٤٤، إسناده صحيح على شرط الشيخين. سبق تخريجه بالتفصيل في سبب نزول المعوذتين.

.

وأنكره آخرون ، ومنعوا منه في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن صح في غيره ، لما في استمراره عليه من خبل العقل ، وأن الله تعالى قد أنكر على من قال في رسوله حيث يقول : {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} [الإسراء : ٤٧][١].

قلت: لم يترتب على ذلك السحر اليهودي شيء مما يضر الناس أو يخل بالرسالة أو بالوحي ، والله جل وعلا عصمه من الناس مما يمنع وصول الرسالة وتبليغها. ، وأما ما يصيب الرسل من أنواع البلاء فإنه لم يُعصم منه عليه الصلاة والسلام ، بل أصابه شيء من ذلك ، فقد جُرح يوم أحد ، وكُسرت البيضة على رأسه ، ودخلت في وجنتيه بعض حلقات المغفر ، وسقط في بعض الحفر التي كانت هناك ، وقد ضيقوا عليه في مكة تضييقا شديدا ، فقد أصابه شيء مما أصاب من قبله من الرسل ، ومما كتبه الله عليه ، ورفع الله به درجاته ، وأعلى به مقامه، وضاعف به حسناته ، ولكن الله عصمه منهم فلم يستطيعوا قتله ولا منعه من تبليغ الرسالة ، ولم يحولوا بينه وبين ما يجب عليه من البلاغ فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة -صلى الله عليه وسلم-.

قال المازري : "أنكر المبتدعة هذا الحديث ، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا : وكل ما أدَّى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثَمَّ هناك, وأنه يوحي إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء، قال المازري : وهذا كله مردود ؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل ، وأما ما يتعلق ببعض الأمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين.

قال : وقد قال بعض الناس : إن المراد بالحديث أنه كان صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قلت – أي : ابن حجر - : وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة عند البخاري ، ولفظه : «حتى كان يرى» أي : يظن «أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»، وفي رواية الحميدي : «أنه يأتي أهله ولا يأتيهم».

قال عياض : "فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده"[٢]

وقال المهلب : "صون النبي صلى الله عليه وسلم من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، ففي الصحيح أن شيطاناً أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه، فكذلك السحر ، ما ناله من ضرره لا يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين "[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: هديه صلى الله عليه وسلم في علاج السحر الذي سحرته اليهود به: قد أنكر هذا طائفة من الناس ، وقالوا : لا يجوز هذا عليه ، وظنُّوه نقصاً وعيباً ، وليس الأمر كما زعموا ، بل هو من جنس ما كان يعتريه من الأسقام والأوجاع ، وهو مرض من الأمراض ، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما ، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «سُحِر رسول الله حتى إن كان ليخيَّل إليه أنه يأتي نساءه ولم يأتهن

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٧٦/٦.
(٢) فتح الباري: ٢٢٧/١٠.
(٣) فتح الباري: ٢٢٦/١٠، ٢٢٧. [باختصار].

، وذلك أشد ما يكون من السحر»، قال القاضي عياض : والسحر مرض من الأمراض ، وعارض من العلل ، يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا يُنكر ، ولا يَقدح في نبوته.

وأما كونه يخيَّل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله : فليس في هذا ما يُدخل عليه داخلة في شيء من صدقه ؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز أن يطرأ عليه في أمر دنياه التي لم يُبعث لسببها ، ولا فُضِّل من أجلها ، وهو فيها عُرضة للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد أنه يخيَّل إليه مِن أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان"[١].

وبعد، فقد تبيَّن صحة الحديث ، وعدم تنقصه من منصب النبوة ، والله سبحانه وتعالى يعصم نبيَّه صلى الله عليه وسلم قبل السحر وأثناءه وبعده ، ولا يعدو سحره عن كونه متعلقاً بظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي أهله وهو لم يفعل ، وهو في أمرٍ دنيوي بحت ، ولا علاقة لسحره بتبليغ الرسالة البتة ، وفيما سبق من كلام أهل العلم كفاية.

القرآن

{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)} [الفلق : ٥]

التفسير:

ومن شر حاسد مبغض للناس إذا حسدهم على ما وهبهم الله من نعم، وأراد زوالها عنهم، وإيقاع الأذى بهم.

قال المراغي:" أي ونستعيذ بك ربنا من شر الحاسد إذا أنفذ حسده، بالسعي والجد في إزالة نعمة من يحسده"[٢].

قال الزمخشري:" {إِذَا حَسَدَ}: إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه: من بغى الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضارّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره.. يجوز أن يراد بشر الحاسد: إثمه وسماجة حاله في وقت حسده، وإظهاره أثره.. وقوله: {مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ} تعميم في كل ما يستعاذ منه، وبعد ذلك خصّ شرّ «الغاسق» و«النفاثات»، و«الحاسد»، لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به. وقالوا: شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر"[٣].

وفي الاستعاذة: {مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}[الفلق : ٥] وجهان[٤]:

أحدهما : أنها عام في كلّ حاسد أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ عينه ونفسه، وهذا قول قتادة[٥]، وعطاء الخراساني[٦]، وبه قال النحاس[٧]، وقال الشاعر[٨] :

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسبُونَكَ سيِّداً ... وإخَالُ أنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

عن قتادة: "{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، قال: من شرّ عينه ونفسه"[٩].

---

(١) زاد المعاد: ١٢٤/٤.

(٢) تفسير المراغي: ٣٦٩/٣٠. ثم قال:" ، فهو يعمل الحيلة، وينصب شباكه، لإيقاع المحسود في الضرر، بأدق الوسائل، ولا يمكن إرضاؤه، ولا في الاستطاعة الوقوف على ما يدبره، فهو لا يرضى إلا بزوال النعمة، وليس في الطوق دفع كيده، ورد عواديه، فلم يبق إلا أن نستعين عليه بالخالق الأكرم، فهو القادر على رد كيده، ودفع أذاه، وإحباط سعيه".

(٣) الكشاف: ٨٢٢/٤.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٦/٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٥/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٥/٢٤.

(٧) انظر: إعراب القرآن: ١٩٨/٥.

(٨)للعباس بن مرداس في ديوانه ص ١٠٨؛ وجمهرة اللغة ص ٩٥٦؛ والحيوان ٢/ ١٤٢؛ وشرح التصريح ٢/ ٣٩٥؛ وشرح شواهد الشافية ص ٣٨٧، ولسان العرب«عين»:ص١٣/ ٣٠١، وتاج العروس«عين»:ص٤٦٣/٣٥ والمقاصد النحوية ٤/ ٥٧٤، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٤٠٤، والخصائص ١/ ٢٦١، وشرح الأشموني ٣/ ٧٦٦، والمقتضب١/ ١٠٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤.

قال ابن عطية:" يريد بـ«النفس»: السعي الخبيث والإذاية كيف قدر، لأنه عدو مجد ممتحن"[١].

وحكي سهل عن ابن عباس: في هذه الآية: "هو نفس ابن آدم"[٢].

عن ابن عباس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: "العين حق، تستنزل الحالق"[٣].

عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا"[٤].

قال النووي-في شرح الحديث-:" فيه إثبات القدر، وهو حق بالنصوص وإجماع أهل السنة، ومعناه أن الأشياء كلها بقدر الله تعالى، ولا تقع إلا على حسب ما قدرها الله تعالى وسبق بها علمه، فلا يقع ضرر العين ولا غيره من الخير والشر إلا بقدر الله تعالى، وفيه صحة أمر العين وأنها قوية الضرر، والله أعلم"[٥].

الثاني : أنها خاصة بالإستعاذة من شرّ اليهود الذين حسدوه. وهذا قول الحسن[٦]، وابن زيد[٧]، وبه قال الفراء[٨].

عن ابن زيد:" {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، قال: يهود، لم يمنعهم أن يؤمنوا به إلا حسدهم"[٩].

عن الحسن:" {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، يعني: اليهود هم حسدة الإسلام"[١٠].

وروي عن الحسن في قوله: {ومن شر حاسد إذا حسد} قال: هو أول ذنب كان في السماء"[١١].

وقال الفراء:" يعنى: الذي سحره لبيدا"[١٢].

قال النحاس:" أولى ما قيل في هذا قول قتادة"[١٣].

قال الطبري:" وأولى القولين بالصواب في ذلك، قول من قال: أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ كلّ حاسد إذا حسد، فعابه أو سحره، أو بغاه سوءًا، لأن الله عزّ وجلّ لم يخصص من قوله: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، حاسدا دون حاسد، بل عمّ أمره إياه بالاستعاذة من شرّ كلّ حاسد، فذلك على عمومه"[١٤].

قال الزمخشري:" عرفت {النفاثات}، لأن كل نفاثة شريرة، ونكر {غاسق}، لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل {حاسد} لا يضرّ. ورب

---

(١) المحرر الوجيز: ٥٣٩/٥.
(٢) نقلا عن: تفسير التستري: ٢١٠.
(٣) أخرجه احمد في "المسند"(٢٤٧٧):ص٢٨١/٤. حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن جابر بن زيد.
الحالق: هو الجبل العالي المنيف المشرف.
(٤)أخرج مسلم (٢١٨٨) ، والطبراني (١٠٩٠٥)، وهو عند الترمذي (٢٠٦١) من هذا الطريق دون قوله "العين حق".
(٥)شرح مسلم: ١٧٤/١٤.
(٦) الدر المنثور: ٦٩٠/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٥/٢٤.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٣٠١/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤.
(١٠) الدر المنثور: ٦٩٠/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(١١) الدر المنثور: ٦٩٠/٨، وعزاه إلى ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان.
(١٢) معاني القرآن: ٣٠١/٣.
(١٣) إعراب القرآن: ١٩٨/٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٧٠٥/٢٤-٧٠٦.

حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلا في اثنتين»[١]، وقال أبو تمام[٢]:

وما حاسد في المكرمات بحاسد

وقال[٣]:

إنّ العلا حسن في مثلها الحسد"[٤].

قال الشوكاني:" ذكر الله سبحانه في هذه السورة إرشاد رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم، ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره ومزيد ضره، وهو الغاسق والنفاثات والحاسد، فكأن هؤلاء لما فيهم من مزيد الشر حقيقون بإفراد كل واحد منهم بالذكر"[٥].

قال السمعاني:" الحسد: هو تمني زوال النعمة عن المنعم عليه"[٦].

قال الماوردي:" أما الحسد: فهو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها ، والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تزل ، فالحسد شر مذموم ، والمنافسة رغبة مباحة ، وقد روي أن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال : «المؤمن يغبط والمنافق يحسد»[٧]... وقيل: إن الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء والأرض فحسد إبليس آدم حتى أخرجه من الجنة ، وأما في الأرض فحسد قابيل بن آدم لأخيه هابيل حتى قتله ، نعوذ بالله من شر ما استعاذنا منه "[٨].

قال السعدي:" والحاسد: هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا وخصوصًا. ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله"[٩].

قال ابن القيم: "ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسدًا إلا إذا قام به الحسد كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك؛ ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاهٍ عنه، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قِبَله إليه، وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه، فيتأذى المحسود بمجرد ذلك، فإن لم يستعذ بالله، ويتحصن به، ويكن له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله، والإقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله وإلا ناله شر الحاسد ولابد، فقوله تعالى: {إِذَا حَسَدَ} بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل.. ومعلوم أن عينه لا تؤثر بمجردها، إذا لو نظر إليه نظر لاه ساه عنه، كما ينظر إلى الأرض والجبل وغيره، لم يؤثر فيه

---

(١) الحديث: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».
أخرجه أحمد (٨/٢، رقم ٤٥٥٠) ، والبخارى (٢٧٣٧/٦، رقم ٧٠٩١) ، ومسلم (٥٥٨/١، رقم ٨١٥) ، والترمذى (٣٣٠/٤، رقم ١٩٣٦) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٤٠٨/٢، رقم ٤٢٠٩) ، وابن حبان (٣٣٢/١، رقم ١٢٥).

(٢) وإنى لمحسود وأعذر حاسدي ... وما حاسدي في المكرمات بحاسد
لأبى تمام. يقول: إنى جامع للخصال الحميدة، فالحسد كناية عن ذلك. وعذر يعذر كضرب يضرب، أى: أن حاسدي معذور لحسن صفاتي وعظمها، وليس الحاسد في الخصال الحميدة بحاسد مذموم، بل مغتبط ممدوح.

(٣) فافخر فما من سماء للعلا ارتفعت ... إلا وأفعالك الحسنى لها عمد
واعذر حسودك فيما قد خصصت به ... إن العلا حسن في مثلها الحسد
لأبى تمام. وشبه القدر المرتفع بالسماء، واستعارها له على طريق التصريح، والارتفاع ترشيح، لأنه خاص بالمحسوسات وشبه الأفعال الجميلة بأعمدة السماء تشبيها بليغا، لأن بها الارتفاع المعنوي.

(٤) الكشاف: ٨٢٢/٤.

(٥) فتح القدير: ٦٤٠/٥.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٠٧/٦.

(٧) لم اجد له أصلا مرفوعا، وإنما هو من قول الفضيل بن عياض، كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

(٨) النكت والعيون: ٣٧٦/٦-٣٧٧.

(٩) تفسير السعدي: ٩٣٧.

شيئا، وإنما إذا نظر إليه نظر من قد تكيّفت نفسه الخبثة وانسمّت، واحتدت فصارت نفسا غضبية خبيثة حاسدة أثرت بها تلك النظرة فأثرت في المحسود تأثيرا بحسب صفة ضعفه، وقوة نفس الحاسد. فربما أعطبه وأهلكه، بمنزلة من فوّق سهما نحو رجل عريان فأصاب منه مقتلا. وربما صرعه وأمرضه. والتجارب عند الخاصة والعامة بهذا أكثر من أن تذكر. وهذه العين إنما تأثيرها بواسطة النفس الخبيثة. وهي في ذلك بمنزلة الحيّة التي إنما يؤثر سمها إذا عضّت واحتدت فإنها تتكيف بكيفية الغضب والخبث، فتحدث فيها تلك الكيفية السمّ، فتؤثر في اللديغ، وربما قويت تلك الكيفية واشتدت في نوع منها حتى تؤثر بمجرد نظرة. فتطمس البصر، وتسقط الحبل. كما ذكره النبي صلّى الله عليه وسلّم في الأبتر، وذي الطّفيتين منها. فقال «اقتلوهما فإنهما يطمسان البصر، ويسقطان الحبل»[1].

فإذا كان هذا في الحيات فما الظن في النفوس الشريرة الغضبية الحاسدة، إذا تكيفت بكيفيتها الغضبية، وانسمت وتوجهت إلى المحسود بكيفيتها؟ فلله كم من قتيل؟ وكم من سليب؟ وكم من معافى عاد مضنى على فراشه، يقول طبيبه: لا أعلم داءه ما هو؟ فصدق. ليس هذا الداء من علم الطبائع. هذا من علم الأرواح وصفاتها. وكيفياتها ومعرفة تأثيراتها في الأجسام والطبائع، وانفعال الأجسام عنها. وهذا علم لا يعرفه إلا خواص الناس، والمحجوبون منكرون له. ولا يعلم تأثير ذلك وارتباطه بالطبيعة وانفعالها عنه إلا من له نصيب من ذوقه. وهل الأجسام إلا كالخشب الملقى؟ وهل الانفعال والتأثير، وحدوث ما يحدث عنها من الأفعال العجيبة، والآثار الغريبة إلا من الأرواح، والأجسام آلتها بمنزلة الصانع؟ فالصنعة في الحقيقة له، والآلات وسائط في وصول أثره إلى الصنع. ومن له أدنى فطنة وتأمل لأحوال العالم وقد لطفت روحه، وشاهدت أحوال الأرواح وتأثيرتها، وتحريكها الأجسام وانفعالها عنها. وكل ذلك بتقدير العزيز العليم، خالق الأسباب والمسببات- رأى عجائب في الكون، وآيات دالة على وحدانية الله، وعظمة ربوبيته، وأن ثم عالما آخر تجرى عليه أحكام أخر، تشهد آثارها. وأسبابها غيب عن الأبصار. فتبارك الله رب العالمين. وأحسن الخالقين الذي أتقن ما صنع، وأحسن كل شيء خلقه.

ولا نسبة لعالم الأجسام إلى عالم الأرواح، بل هو أعظم وأوسع، وعجائبه أبهر وآياته أعجب. وتأمل هذا الهيكل الإنساني إذا فارقته الروح، كيف يصير بمنزلة الخشبة أو القطعة من اللحم؟ فأين ذهبت تلك العلوم والمعارف والعقل، وتلك الصنائع الغريبة، وتلك الأفعال العجيبة، وتلك الأفكار والتدبيرات؟ كيف ذهبت كلها مع الروح، وبقي الهيكل سواء هو والتراب؟ وهل يخاطبك من الإنسان أو يراك أو يحبك أو يواليك، أو يعاديك، ويخفّ عليك أو يثقل، ويؤنسك أو يوحشك إلا ذلك الأمر الذي هو وراء الهيكل المشاهد بالبصر؟ فرب رجل عظيم الهيولى كبير الجثة. خفيف على قلبك، حلو عندك. وآخر لطيف الخلقة، صغير الجثة، أثقل على قلبك من جبل. وما ذاك إلا للطافة روح ذاك وخفتها وحلاوتها، وكثافة هذا وغلظ روحه ومرارتها. وبالجملة: فالعلق والوصل التي بين الأشخاص والمنافرات والبعد: إنما هي للأرواح أصلا والأشباح تبعا"[2].

وفي الحديث: «إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب»[3].

وقال ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء»[4].

فهو مع الكبر الذي حمل إبليس على ترك السجود لآدم والكفر والخروج من ملكوت السموات والأرض وطرده وإبعاده وتخليده في النار، كما قال عز وجل عنه أنه قال: {أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا}[الإسراء: ٦١]، وقال: {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} [الإسراء : ٦٢]، وقال:

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٧) ومسلم (٢٢٣٣).
ونص الحديث:" اقتلوا الحيّات ، واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر ، فإنهما يطمسان البصر ، ويسقطان الحبلى ".
(٢) التفسير القيم: ٦٣٦-٦٣٨.
(٣) سبق تخريجه ص٥٠.
(٤) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٥١٠ – من حديث الزبير بن العوام ﷺ.

{أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}[الأعراف: ١٢٣، ص: ٧٦]، وهو الذي حمل أحد ابني آدم على قتل أخيه لما تقبل الله قربانه دونه، كما قال عز وجل {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[المائدة: ٢٧]، وهو من صفات اليهود؛ فهو الذي حملهم على رد رسالة الحق، رسالة نبينا محمد ﷺ، كما قال الله عز وجل عنهم: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}[البقرة :١٠٩]، وقال عز وجل: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا}[النساء :٥٥]، وهو الذي حمل ثمود على تكذيب نبيهم صالح، ورد دعوته، كما قال الله عز وجل عنهم أنهم قالوا: {أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ}[القمر: ٢٥]، وهو الذي حمل كفار قريش على تكذيب الرسول ﷺ، ورد دعوته، كما قال الله عز وجل عنهم أنهم قالوا: {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}[الزخرف: ٣١].

والحسد داء عضال، ومرض عام ومنتشر، لا يكاد يسلم منه أحد، إلا من عصمه الله، وقد قيل: «ما خلا جسد من حسد لكن الكريم يخفيه واللئيم يبديه».

وقيل للحسن البصري -رحمه الله-: «أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك إخوة يوسف»[١].

قال أبو الدرداء: "ما أكثر عبد ذكر الموت إلّا قلّ فرحه وقلّ حسده"[٢].

قال ابن سيرين -رحمه الله-:" ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حفيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار"[٣].

قال بعض الحكماء: "بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.

وثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت هذه القسمة؟

وثالثها: أنه ضاد فعل الله، أي إن فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله.

ورابعها: أنه خذل أولياء الله، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم.

وخامسها: أنه أعان عدوه إبليس"[٤].

وقيل: "الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال في الخلوة إلا جزعا وغما، ولا ينال في الآخرة إلا حزنا واحتراقا، ولا ينال من الله إلا بعدا ومقتا"[٥].

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم: آكل الحرام، ومكثر الغيبة، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين»[٦].

قال ابن عطية:" وعين الحاسد في الأغلب لاقعة نعوذ بالله من شرها.. وهذه السورة خمس آيات فقال بعض الحذاق: وهي مراد الناس بقولهم للحاسد إذا نظر إليهم: «الخمس على عينيك»، وقد غلطت العامة في هذا، فيشيرون في ذلك بالأصابع لكونها خمسة"[٧].

قال الحسن بن الفضل:" إنّ الله جمع الشرور في هذه الآية وختمها بالحسد ليعلم أنه أخسّ الطبائع"[٨].

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٥٨٣.

(٢) عزاه إليه الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين": ١٨٩/٣.

(٣) عزاه إليه الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين": ١٨٩/٣.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٦٠/٢٠.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٦٠/٢٠.

(٦) ذكره القرطبي في "التفسير": ٢٦٠/٢٠. ولم أجده فيما عندي من المراجع.

(٧) المحرر الوجيز: ٥٣٩/٥.

(٨) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٠/١٠، وابن عطية في "المحرر الوجيز": ٥٣٩/٥. بلفظ:" ذكر الله تعالى الشر في هذه السورة، ثم ختمها بالحسد، ليظهر أنه أخس طبع".

قال ابن الجوزي:" الحسد: أخس الطبائع. وأولُ معصية عُصِيَ الله بها في السماء حَسَدُ إبليس لآدم، وفي الأرض حسد قابيل لهابيل"[١].

وعن عمر بن عبد العزيز: "لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد"[٢].

وللحسد المذموم مرتبتين اثنتين [٣]:

إحداهما : تمني زوال النعمة عن الغير.

الثانية: تمني استصحاب عدم النعمة: فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله، من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلة دينه، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب، فهذا حسد على شيء مقدر، والأول حسد على شيء محقق، وكلاهما حاسد، عدو نعمة الله، وعدو عباده، وممقوت عند الله وعند الناس.

وإبليس أول الحاسدين، حسد أبانا آدم ﷺ على شرفه وفضله، وأبى أن يسجد له حسدًا وكبرًا؛ وعلى هذا فالحسد يكون من شياطين الجن وشياطين الإنس، وهذا النوع من الحسد من كبائر الذنوب، وهو المراد بقوله {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} وفي الحديث: «إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب»[٤].

وإنما حرم الحسد وعد من كبائر الذنوب لما فيه من الاعتراض على قضاء الله وقدره في قسمته الأرزاق بين عباده كما قيل:

سبحان من قسم الحظوظ فهذا يتغنى وذاك يبكي الديارا

و-أيضًا- لما فيه من أذية المحسود بلا ذنب منه ولا جرم[٥]، وغير ذلك[٦].

ويدخل في الحاسد: العائن الذي يؤذي المحسود بنفسه وعينه، وإن لم يؤذه بيده ولسانه، كما قال عز وجل عن المشركين: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ} [القلم: ٥١]، قال ابن كثير: "أي: ليَعينونك بأبصارهم، بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة"[٧].

وعن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- في رقية جبريل للنبي -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) زاد المسير: ٥٠٩/٤.

(٢) عزاه إليه الزمخشري في "الكشاف": ٨٢٢/٤.

(٣) انظر: التفسير القيم: ٦٤٥-٦٤٦.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب ٤٩٠٣ من حديث أبي هريرة ﷺ. وضعفه الألباني.

(٥) قال بكر بن عبد الله: "كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه؛ فإنّ المسيء سيكفيه إساءته، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام، فسعى به إلى الملك فقال: إنّ هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أنّ الملك أبخر، فقال له الملك: وكيف يصحّ ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك، فإنّه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلّا يشمّ ريح البخر، فقال له: انصرف حتّى أنظر، فخرج من عند الملك فدعا الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإنّ المسيء سيكفيه إساءته، فقال له الملك: ادن منّي، فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشمّ الملك منه رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلانا إلّا قد صدق قال: وكان الملك لا يكتب بخطّه إلّا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطّه إلى عامل من عمّاله: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إليّ، فأخذ الكتاب وخرج، فلقيه الرجل الّذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال خطّ الملك لي بصلة، فقال: هبه لي، فقال: هو لك، فأخذه ومضى به إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك، قال: إنّ الكتاب ليس هو لي، فالله الله في أمري حتّى تراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به، ثمّ عاد الرجل إلى الملك كعادته، وقال مثل قوله، فعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال: لقيني فلان فاستوهبه منّي فوهبته له، قال له الملك: إنّه ذكر لي أنّك تزعم أنّي أبخر. قال: ما قلت ذلك قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنّه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمّه، قال: صدقت. ارجع إلى مكانك، فقد كفي المسيء إساءته". [إحياء علوم الدين: ١٨٨/٣]

(٦) سيأتي بسط الكلام في هذا إن شاء الله.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٢٧/٨.

قوله: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك»[١].

فعوّذه جبريل من شر كل نفس وعين حاسد، لما اشتكى. فدل على أن هذا التعويذ مزيل لشاكيته صلّى الله عليه وسلّم، وإلّا فلا يعوذه من شيء وشكايته من غيره[٢].

قال ﷺ: «العين حق، لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»[٣].

فالعائن حاسد، لكنه حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد، ولهذا – والله أعلم – إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن، لأنه أعم، فكل عائن حاسد ولابد، وليس كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العائن[٤].

قال ابن القيم:" فهذه السورة من أكبر أدوية الحسد. فإنها تتضمن التوكل على الله، والالتجاء إليه، والاستعاذة به من شر حاسد النعمة. فهو مستعيذ بولي النعم ومولیها. كأنه يقول: يا من أولاني نعمته وأسداها إليّ أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها مني، ويزيلها عني. وهو حسب من توكل عليه، وكافى من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستعير. وهو نعم المولى ونعم النصير. فمن تولاه واستنصر به، وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه، تولاه وحفظه وحرسه وصانه. ومن خافه واتقاه أمّنه مما يخاف ويحذر. وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ(٣)} [الطلاق : ٢ - ٣]، فلا تستبطئ نصره ورزقه وعافيته. فإن الله بالغ أمره. وقد جعل الله لكل شيء قدرا. لا يتقدم عنه ولا يتأخر. ومن لم يخفه أخافه من كل شيء، وما خاف أحد غير الله إلا لنقص خوفه من الله. قال تعالى: ١٦: ٩٨، ٩٩ {فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٩٩) إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: ٩٨-١٠٠] وقال: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران : ١٧٥]، أي: يخوفكم بأوليائه، ويعظمهم في صدوركم. فلا تخافوهم، وأفردوني بالمخافة أكفكم إياهم"[٥].

فوائد السورة الكريمة:

١- حاجة الرسول ﷺ كغيره من البشر إلى الاعتصام بالله واللجوء إليه، وأنه قد تصيبه العوارض التي أمر في هذه السورة بالاستعاذة من شرها، وأنه ﷺ لا يملك جلب الخير لنفسه، ولا دفع الضر عنها، وكذا غيره من الخلق من باب أولى لا يملكون شيئًا من ذلك، وإنما المالك لذلك كله هو الله عز وجل؛ لقوله: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، وهذا أمر له ﷺ ولأفراد أمته، وفي هذا رد على الذين يغلون بالنبي ﷺ، ويصرفون له شيئًا من أنواع العبادة، مما لا يجوز صرفه إلا لله، ومما لا يقدر عليه إلا الله، كالذين يطلبون منه ﷺ كشف الكروب، ودفع الخطوب، ونحو ذلك، ولهذا لما سأل أُبَيٌّ بن كعب رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} قال: «قيل لي»[٦].

٢- أن الرسول ﷺ إنما هو مبلغ عن الله عز وجل؛ لقوله: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، كما قال عز وجل: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ}[٧]، وقال عز وجل: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ}[٨]. وفي هذا رد على من يقول من المشركين والجهمية والمعتزلة ومن سلك طريقهم: إن هذا القرآن العربي وهذا

---

(١) أخرجه مسلم في السلام ٢١٨٦، وأخرجه أيضًا من حديث عائشة رضي الله عنها ٢١٨٥.

(٢) انظر :التفسير القيم: ٦٣٢.

(٣) أخرجه مسلم في السلام ٢١٨٨ – من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه أيضًا بلفظ «العين حق» ٢١٨٧، وكذا البخاري في الطب ٥٧٤٠ – كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) انظر: التفسير القيم: ٦٤١.

(٥) التفسير القيم: ٦٤٧.

(٦) سبق تخريجه ص٣١.

(٧) سورة الشورى، آية: ٤٨.

(٨) سورة النور، آية: ٥٤، وسورة العنكبوت، آية: ١٨.

النظم كلام الرسول ابتدأ به[1]، كما أن فيه الرد على الغلاة الذين يرفعونه ﷺ إلى مقام الربوبية.
٣- إثبات الربوبية العامة لله عز وجل؛ لقوله: {بِرَبِّ الْفَلَقِ}: فهو الذي فلق وخلق جميع الخلق، وهو مالكهم ومدبرهم.
٤- - وجوب التعوذ بالله والاستعاذة بجنابه تعالى من ك مخوف لا يقدر المرء على دفعه لخفائه أو عدم القدرة عليه.
٥- إثبات كمال قدرته عز وجل؛ لقوله: {بِرَبِّ الْفَلَقِ}؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية [2]: «وفلق الشيء عن الشيء هو دليل على تمام القدرة، وإخراج الشيء من ضده، كما يخرج الحي من الميت، والميت من الحي، وهذا من نوع الفلق؛ فهو سبحانه قادر على دفع الضد المؤذي بالضد النافع».
٦- أن المستعاذ به هو الله وحده {رَبِّ الْفَلَقِ}؛ فهو الذي يعيذ ويعصم من استعاذ به من جميع الشرور؛ بخلاف من سواه؛ فلا قدرة لهم على ذلك؛ بل لا يزيدون من استعاذ بهم إلا خوفًا ورهقًا؛ كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}[3].
٧- أن عامة المخلوقات قد لا تخلو من الشر لقوله تعالى: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} و «ما» ههنا موصولة تفيد العموم لكنه عموم تقييدي لا إطلاقي؛ أي: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} مما فيه شر كشياطين الإنس والجن والنار والهوام وغير ذلك، ولا يدخل في هذا ما هو خير من المخلوقات كالجنة والملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
٨- أن الشر ليس إلى الله؛ لقوله: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}؛ فالشر مسند في الآية إلى المخلوق المفعول، لا إلى الخالق سبحانه؛ فالشر في مخلوقاته، وفي مفعولاته، لا في فعله عز وجل كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك»[4].

قال ابن القيم رحمه الله: «فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته، ولا في أفعاله، كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى؛ فإن ذاته لها الكمال المطلق، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وأوصافه كذلك لها الكمال المطلق، والجلال التام، ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما، وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة، لا شر فيها أصلاً، وما يفعله من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض؛ إذ هو محض العدل والحكمة، وإنما يكون شرًا بالنسبة إليهم؛ فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامه بهم؛ لا في فعله القائم به تعالى، ونحن لا ننكر أن يكون في مفعولاته المنفصلة؛ فإنه خالق الخير والشر؛ ولكن هناك أمران ينبغي أن يكونا منك على بال؛ أحدهما: أن ما هو شر ومتضمن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً لا يكون وصفًا له، ولا فعلاً من أفعاله.

الثاني: أن كونه شرًا هو أمر نسبي إضافي، فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه، فله وجهان هو من أحدهما خير وهو الوجه الذي نسب منه إلى الخالق سبحانه وتعالى، خلقًا وتكوينًا ومشيئة، لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها، وأطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها.

ثم مثل ابن القيم - رحمه الله – بقطع يد السارق فهو شر بالنسبة إليه، وخير محض بالنسبة إلى عموم الناس؛ لما فيه من حفظ أموالهم، ودفع الضرر عنهم، وخير بالنسبة إلى متولي القطع أمرًا وحكمًا، لما في ذلك من الإحسان إلى عبيده عمومًا بإتلاف هذا العضو المؤذي لهم المضر بهم، فهو محمود على حكمه بذلك وأمره به، مشكور عليه، يستحق عليه الحمد من عباده، والثناء عليه، والمحبة له.

ومثل أيضًا بقتل الصائل عليهم في دمائهم وحرماتهم... إلى أن قال: «وتأمل طريقة القرآن

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٥٤١-٥٤٢.
(٢) انظر «دقائق التفسير» ٤٩٨/٦.
(٣) سورة الجن، آية: ٦.
(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ٧٧١، وأبو داود في الصلاة ٧٦٠، والترمذي في الدعوات ٣٤٢١ – من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

في إضافة الشر تارة إلى سببه، ومن قام به، كقوله تعالى: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[1]، وكقوله تعالى: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ}[2]، وتارة بحذف فاعله، كقوله حكاية عن مؤمني الجن: {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}[3]. فحذفوا فاعل الشر ومريده، وصرحوا بمريد الرشد إلى غير ذلك من الأمثلة التي ذكرها رحمه الله[4].

٩- مشروعية الاستعاذة برب الفلق من الليل إذا أقبل بظلامه ودخل في كل شيء؛ لقوله: {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ}، وهذا من عطف الخاص على العام؛ لأنه داخل تحت عموم قوله تعالى: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}، وإنما خص هذا بعد العموم؛ لأن الليل وظلمته محل سلطان الأنفس والأرواح الشريرة والخبيثة ووقت انتشارها للسعي بالفساد، من شياطين الإنس والجن والهوام، وغير ذلك.

١٠- مشروعية الاستعاذة برب الفلق من شر السواحر؛ لقوله: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، وهذا أيضًا كسابقه من عطف الخاص على العام؛ فإنه داخل تحت عموم قوله تعالى: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}، وإنما خص شر السواحر – كما خص قبله شر الغاسق – لعظيم خطر السحر، وشدة شر السواحر.

١١- إثبات حقيقة السحر وتأثيره بإذن الله الكوني، لقوله {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} ولقوله عز وجل: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}[البقرة: ١٠٢-١٠٣]. وقال تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١٥٥].

وعن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ من اليهود فاشتكى لذلك أيامًا. قال: فجاءه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك؛ عقد لك عقدًا في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجيء بها، فبعث رسول الله ﷺ عليًا ﷺ فاستخرجها، فجاء بها، فحللها قال: فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي، ولا رآه في وجهه قط حتى مات»[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن – قال سفيان بن عيينة: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا – فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، رجل من بني زريق حليف ليهود، وكان منافقًا. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاقة. قال: وأين؟ قال: في جَفٍّ طلع ذكر، تحت راعوفة في بئر ذروان، قال: فأتى البئر حتى استخرجه، فقال: هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء[6]، وكأن نخلها رؤوس الشياطين. قال: فاستخرج، فقلت: أفلا – أي: تنشرت؟ قال: «أمَّا الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًا»[7].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٤.
(٢) سورة الزخرف، آية: ٧٦.
(٣) سورة الجن، آية: ١٠.
(٤) انظر: التفسير القيم: ٦١٤ وما بعدها.
(٥) أخرجه أحمد ٣٦٧/٤، والنسائي في التحريم – باب سحرة أهل الكتاب ٣٨٠٢ وصححه الألباني.
(٦) المشاقة: المشاطة، وهي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التشريح بالمشط.
والجف: قشر الطلع. راعوفة البئر: صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها. وبئر ذروان: بئر ببني زريق بالمدينة.
والنقاعة: ما أنقع فيه الشيء، وهو هنا الماء الذي أنقع فيه الحناء، انظر «لسان العرب» مادة «مشق» ومادة «حف» ومادة «رعف» ومادة «نقع»، «التفسير القيم» ص٥٦٤.
(٧) أخرجه البخاري في الطب – باب هل يستخرج السحر ٥٧٦٥.

قال ابن القيم: "وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول بينهم، لا يختلفون في صحته، وليس في هذه الأحاديث الثابتة في أنه ﷺ سحر تصديق لقول المشركين: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا}[1]، وكما قال قوم صالح: {إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ}[2] وكذا قال قوم شعيب له {إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ}[3]؛ لأن الذي أصابه – كما دلت عليه هذه الأحاديث مرض من الأمراض يصيب غيره، ولا يمنع من اتباعه ﷺ؛ وهذا بخلاف ما زعمه المشركون، وكذا ما قاله قوم صالح وقوم شعيب لهما فإنهم يقصدون بأن هؤلاء الرسل سحروا فزالت عقولهم حتى أصبحوا لا يدري الواحد منهم ما يقول كالمجانين.

كما قال الله تعالى عنهم: {أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ}[4]، وهم يقصدون بذلك تحذير سفهائهم من اتباع الرسل [5].

وقد أنكر تأثير السحر وأن له حقيقة طائفة من أهل الكلام من المعتزلة والعقلانيين وغيرهم، وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة، لا في مرض، ولا قتل، ولا حل ولا عقد، وقولهم هذا لا مستند له إلا تحكيم عقولهم القاصرة، وهو باطل بدلالة الكتاب والسنة وخلاف ما عليه عامة علماء الأمة، بل وخلاف ما يدل عليه الواقع.

قال ابن القيم بعد ما ذكر هذا القول: "وهذا خلاف ما تواتر به الآثار عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء، وأهل التفسير والحديث، وما يعرفه عامة العقلاء والسحر الذي يؤثر مرضا وثقلا وعقدا وحبا وبغضا ونزيفا وغير ذلك من الآثار موجود، تعرفه عامة الناس. وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه، وقوله تعالى: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرا، كما يقوله هؤلاء. لم يكن للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه.

وأيضا فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به، مع أن هذا تغيير في إحساسهم، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم؟ وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس والبدن؟ فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركا، والمتصل منفصلا، والميت حيا، فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضا، والبغيض محبوبا، وغير ذلك من التأثيرات، وقد قال تعالى عن سحرة فرعون أنهم {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف : ١١٦] فبين سبحانه أن أعينهم سحرت. وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي، وهو الحبال والعصيّ، مثل أن يكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها، وهي الشياطين. فظنوا أنها تحركت بأنفسها. وهذا كما إذا جرّ من لا تراه حصيرا أو بساطا فترى الحصير والبساط ينجر، ولا ترى الجار له، مع أنه هو الذي يجره، فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين، فقلبتها كتقليب الحية. فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها، والشياطين هم الذين يقلبونها. وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي. حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها. ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها.

وأما ما يقوله المنكرون: من أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيها، مثل الزئبق وغيره، حتى سعت. فهذا باطل من وجوه كثيرة. فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالا، بل حركة حقيقية. ولم يكن ذلك سحرا لأعين الناس، ولا يسمى ذلك سحرا، بل صناعة من الصناعات المشتركة. وقد قال تعالى {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٤٧، وسورة الفرقان، آية: ٨.
(٢) سورة الشعراء، آية: ١٥٣.
(٣) سورة الشعراء، آية: ١٨٥.
(٤) سورة الدخان، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٥) انظر «التفسير القيم» ص٥٧٠.

[طه : ٦٦]، ولو كانت تحركت بنوع حيلة- كما يقوله المنكرون- لم يكن هذا من السحر في شيء. ومثل هذا لا يخفى.

وأيضا: فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفي فيها حذاق الصاع. ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة، وخضوعه لهم، ووعدهم بالتقريب والجزاء.

وأيضا: فإنه لا يقال في ذلك: {إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} [طه : ٧١]، فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها.

وبالجملة: فبطلان هذا أظهر أن يتكلف رده، فلنرجع إلى المقصود"[١].

١٢- أن السحر من أعظم الذنوب، بل هو من أكبر الكبائر، لأن الله أمر بالاستعاذة من السواحر، بعد الأمر بالاستعاذة من جميع شرور الخلق مما يدل على خطره وعظيم جرمه وشدة ضرره وشره، وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» وذكر منهن «السحر»[٢].

ولهذا كانت عقوبة الساحر القتل حدًا كما قال ﷺ: «حد الساحر ضربة بالسيف»[٣].

وعن جندب بن عبد الله ﷺ قال: كتب لنا عمر: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر»[٤]. وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها؛ قال الإمام أحمد: «صح عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ قتل الساحر»؛ يعني: عمر وحفصة وجندب بن عبد الله ﷺ[٥].

١٣- مشروعية الاستعاذة برب الفلق من شر الحاسد إذا حسد؛ لقوله: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، وخصه بالذكر مع أنه داخل تحت قوله {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} كشر الغاسق إذا وقب وشر النفاثات في العقد؛ كل ذلك من باب ذكر الخاص بعد العام [٦] تنبيها وتوكيدًا على عظم خطر وضرر هذه المخصوصات.

١٤- أن الحسد إنما يؤثر إذا أظهره الحاسد وحققه وعمل بمقتضاهن من بغي الغوائل للمحسود بقوله، أو فعله، أو إتباعه لنفسه ما عند المحسود من نعمة، وفي الحديث: «إذا حسدت فلا تبغ»[٧]. وذلك لأن الحسد لا يكاد يخلو منه أحد، ويكثر الحسد بين الأقران الذي يزاولون أعمالاً وحرفًا متشابهة؛ كأصحاب المحلات التجارية والبيع والشراء، وأصحاب الأعمال المهنية، وأرباب الأعمال الوظيفية والمناصب الذين يحصل بينهم التنافس، وكذا كثير من طلاب العلم؛ بل والعلماء، إلا من عصمه الله من ذلك، ولهذا يجب الاحتراس والحذر كل الحذر من ذلك، وتعاهد القلب وإصلاحه والنأي به عن هذا المرض الخطير والداء الوبيل؛ فإن القلوب عليها مدار صلاح الأعمال؛ قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨-٨٩]. وقال ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا

---

(١) التفسير القيم: ٦٣٠-٦٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في الوصايا ٢٧٦٧، ومسلم في الإيمان ٨٩، وأبو داود في الوصايا ٢٨٧٤، والنسائي في الوصايا ٣٦٧١.

(٣) أخرجه الترمذي في الحدود ١٤٦٠، من حديث جندب ﷺ، وقال الصحيح أنه موقوف. ورواه أيضًا الدارقطني والبيهقي والحاكم، وقال: «صحيح غريب» وضعفه البخاري. وقال الذهبي في الكبائر إنه من قول جندب. وقال بعضهم يتقوى بكثرة طرقه، فقد خرجه جمع منهم البغوي الكبير والصغير، والطبراني والبزار، ومن لا يحصى كثرة. واختلفوا في جندب المذكور، فقال بعضهم: هو جندب بن عبد الله البجلي، وقال بعضهم: إنه جندب الخير الأزدي، ورواه بعضهم من حديث بريدة أن النبي ﷺ قال: «يضرب ضربة فيكون أمة وحده». انظر «تيسير العزيز الحميد» ص٣٩٠-٣٩٢.

(٤) ذكره في «تيسير العزيز الحميد» ص٣٩٢، وقال: «إسناده حسن».

(٥) انظر «تسير العزيز الحميد» ص٣٩٢-٣٩٤.

(٦) انظر «دقائق التفسير» ٤٩٧/٦.

(٧) سبق تخريجه ص٥٢، وفي الحديث أيضًا: «إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة». أخرجه ابن ماجه في الطب ٣٥٠٩ – من حديث أبي أمامة ابن سهل بن حنيف ﷺ. وصححه الألباني.

فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[١].

١٥- أنه لا واقي ولا كافي ولا حافظ ولا معيذ من جميع شرور الخلق ومن شر الغاسق والسحر والحسد وغير ذلك إلا الله وحده؛ لأن الله أمر بالاستعاذة به سبحانه من جميع هذه الشرور وقد قال عز وجل: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[٢]، وقال عز وجل: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}[٣]. وقال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «احفظ الله يحفظك» الحديث[٤].

وفي حديث أنس بن مالك ﷺ أن من قال حين يخرج من بيته: «بسم الله آمنت بالله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، أجابه الملك بقوله: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان»[٥].

فائدتان:

الفائدة الأولى: أسباب تحريم الحسد:

وإنما حرم الله الحسد، ونهى عنه، وأمر بالاستعاذة من شر الحاسد لأسباب عدة، منها ما يأتي[٦]:

أولاً: أن الحسد فيه اعتراض على قضاء الله وقدره وحكمته في تقسيمه الأرزاق بين عباده [٧].

ثانيًا: أنه سبب لرد الحق وعدم قبوله كما ذكر الله عز وجل عن أهل الكتاب؛ قال عز وجل: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [البقرة: ١٠٩].

ثالثًا: أنه من نواقض عرى الإيمان الموجبة لمحبة الخير لأخيه المسلم، وقد قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٨].

رابعًا: أن فيه اعتداء على المحسود بغير جرم منه، إلا أن الله أعطاه من فضله، وقد قال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب : ٥٨].

خامسًا: أنه لا يعود على الحاسد إلا بالهم والكمد والأسى. وقد قيل: «لله در الحسد ما أعد له عاد على صاحبه فقتله».

وقال الشاعر:

دع الحسود وما يلقاه من كمده يكفيك منه لهيب النار في كبده

سادسًا: أن الحاسد مبغض ممقوت عند الله وعند الناس؛ لأنه عدو نعمة الله، وعدو عباد الله.

قال ابن القيم: "فالحاسد عدو نعمة الله وعدو عباده، وممقوت عند الله وعند الناس، ولا يسود أبدًا، ولا يواسى؛ فإن الناس لا يُسَوِّدون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يُسَوِّدونه باختيارهم أبدًا، إلا قهرًا؛ يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ٥٢، ومسلم في المساقاة ١٥٩٩، وأبو داود في البيوع ٣٣٢٩، والنسائي في البيوع ٤٤٥٣، والترمذي في البيوع ١٢٠٥.

(٢) سورة يوسف، آية: ٦٤.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٣.

(٤) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٥١٦، وقال «حسن صحيح» وأحمد ٢٨٦/٤، ٢٨٨، من حديث حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال: «هذا إسناد مشهور، ورواته ثقات». وقال ابن رجب: «إسناده حسن لا بأس به» وقد شرحه بطوله ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» وفي رسالته «نور الاقتباس في وصية الرسول ﷺ لابن عباس» وصححه أحمد شاكر في تصحيحه للمسند ٢٦٦٩، ٢٧٦٣.

(٥) أخرجه الترمذي في الدعوات ٣٤٢٦.

(٦) انظر: الحرز الأمين في تدبر سورة الإخلاص والمعوذتين، د. سليمان اللاحم: ٦٣.

(٧) انظر «الجامع لأحكام القرآن» ٢٦٠/٢٠.

(٨) أخرجه مسلم في الإيمان ٤٥، والنسائي في الإيمان ٥٠١٦، والترمذي في صفة القيامة ٢٥١٥، وابن ماجه في المقدمة ٦٦، من حديث أنس ﷺ.

بها؛ فهم يبغضونه وهو يبغضهم"[١].
سابعًا: أن الحاسد بدل أن يسعى ويعمل ينشغل بمتابعة ما عند الآخرين، وما أعطاهم الله من فضله، والواجب عليه أن يبذل السبب في السعي والعمل، ويسأل الله من فضله، قال تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء : ٣٢].
ثامنًا: أن الحسد سبب لإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس؛ لأنه يحمل الحاسد على الاعتداء على المحسود، ومنع حقه، وجحد فضله؛ مما يوغر الصدور، ويشعل نار العداوة بين الناس.
تاسعًا: أنه كبيرة من كبائر الذنوب، ومن صفات إبليس لعنه الله؛ فهو الذي حسد آدم لشرفه، وأبى أن يسجد له حسدًا وكبرًا، وهو من صفات اليهود المغضوب عليهم.
عاشرًا: أنه مرض قلبي من أخطر أمراض القلوب ومحبط للأعمال، قال ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[٢]. وفي الحديث: «إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». أو قال: «العشب»[٣].

الفائدة الثانية: الأسباب التي بها يندفع شر الحاسد بإذن الله عز وجل:

ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب ذكرها ابن القيم رحمه الله في تفسيره، وهي[٤]:
أحدها: التعوذ بالله من شره، والتحصن به واللجأ إليه. وهو المقصود بهذه السورة، والله تعالى سميع لاستعاذته، عليم بما يستعيذ منه، والسمع هنا المراد به: سمع الإجابة، لا السمع العام. فهو مثل قوله: «سمع الله لمن حمده» وقول الخليل صلّى الله عليه وسلّم: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} [إبراهيم : ٣٩]، ومرة يقرنه بالعلم، ومرة بالبصر، لاقتضاء حال المستعيذ ذلك. فإنه يستعيذ به من عدو يعلم أن الله يراه، ويعلم كيده وشره. فأخبر الله تعالى هذا المستعيذ ذلك. فإنه يستعيذ به من عدو يعلم أن الله يراه، ويعلم كيده وشره. فأخبر الله تعالى هذا المستعيذ أنه سميع لاستعاذته، أي مجيب عليم بكيد عدوه، يراه ويبصره، لينبسط أمل المستعيذ، ويقبل بقلبه على الدعاء.
وتأمل حكمة القرآن، كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ «السميع العليم» في الأعراف وحم السجدة. وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالأبصار بلفظ «السميع البصير» في سورة حم المؤمن. فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر : ٥٦].
لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر. وأما نزغ الشيطان فوساوس، وخطرات يلقيها في القلب، يتعلق بها العلم. فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها. وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر، ويدرك بالرؤية.
السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه؛ فمن اتقى الله تولى الله حفظه ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [آل عمران : ١٢٠].
وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك»[٥]؛ فمن حفظ الله حفظه ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف؟! وممن يحذر؟!
السبب الثالث: الصبر على عدوه، وألا يقاتله، ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نُصِرَ على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله، ولا يستطيل تأخيره وبغيه؛ فإنه كلما

---

(١) التفسير القيم: ٦٤٦.
(٢) سبق تخريجه ص٥٤.
(٣) سبق تخريجه ص٥٠.
ولزيادة الكلام على هذه الأسباب، انظر الكلام على قوله تعالى في سورة النساء: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} الآية (٣٢) في كتابنا «تفسير آيات الأحكام في سورة النساء».
(٤) انظر: التفسير القيم: ٦٤٧-٦٥٦ [باختصار].
(٥) سبق تخريجه ص٧١.

بغى عليه كان بغيه جندًا وقوة للمبغي عليه المحسود، يقاتل به الباغي نفسه، وهو لا يشعر؛ فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغي عليه ذلك لسره بغيه عليه؛ ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي، دون آخره ومآله، وقد قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ}[الحج: ٦٠]، فإذا كان الله قد ضمن له النصر، مع أنه قد استوفى حقه أولا، فكيف بمن لم يستوف شيئا من حقه، بل بغى عليه وهو صابر؟ وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم. وقد سبقت سنة الله: أنه لو بغى جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا.

السبب الرابع: التوكل على الله؛ فمن يتوكل على الله فهو حسبه، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم. وهو من أقوى الأسباب في ذلك. فإن الله حسبه، أي كافيه. ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لا بد منه، كالحر والبرد، والجوع والعطش، وإما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدا.

وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له، وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه. قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُه} [الطلاق : ٣]، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه، وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجا من ذلك، وكفاه ونصره.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له. فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه.

وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره. فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه، فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه، بل انعزل عنه لم يقدر عليه. فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه، حصل الشر وهكذا الأرواح سواء. فإذا علق روحه وشبّثها به، وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومناما، لا يفتر عنه، وهو يتمنى أن يتماسك الروحان ويتشبثا. فإذا تعلقت كل روح منهما بالأخرى عدم القرار. ودام الشر، حتى يهلك أحدهما. فإذا جبذ روحه منه، وصانها عن الفكر فيه والتعلق به، وأن لا يخطره بباله. فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر، والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به. بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضا. فإن الحسد كالنار، فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضا.

وهذا باب عظيم النفع لا يلقّاه إلّا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية، وبين الكيس الفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه، وتعلق روحه به، ولا يرى شيئا آلم لروحه من ذلك، ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة، التي رضيت بوكالة الله لها، وعلمت أن نصره لها خير من انتصارها هي لنفسها. فوثقت بالله، وسكنت إليه، واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حق، ووعده صدق، وأنه لا أوفى بعهده من الله، ولا أصدق منه قيلا.

السبب السادس: الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه محل خواطر نفسه وأمانيها؛ تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئا فشيئا، حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية. فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب، والتقرب إليه وتملقه وترضيه، واستعطافه وذكره، كما يذكر المحب التام المحبة محبوبه المحسن إليه الذي قد امتلأت جوانحه من حبه. فلا يستطيع قلبه انصرافا عن ذكره، ولا روحه انصرافا عن محبته. فإذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه معمورا بالفكر في حاسده والباغي عليه، والطريق إلى الانتقام منه، والتدبير عليه؟ هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة الله وإجلاله، وطلب مرضاته. بل إذا مسّه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارج، ناداه حرس قلبه: إياك وحمى الملك. اذهب إلى بيوت الخانات التي كل من جاء حلّ فيها، ونزل بها. مالك ولبيت السلطان الذي أقام عليه اليزك وأدار عليه الحرس، وأحاطه بالسور، قال تعالى حكاية عن

عدوه إبليس: أنه قال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص : ٨٢-٨٣]، فقال تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الحجر : ٤٢]، وقال: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل : ٩٩-١٠٠]، وقال في حق الصديق يوسف صلّى الله عليه وسلّم: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف : ٢٤].

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن، وصار داخل اليزك، لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصّن به. ولا ضيعة على من آوى إليه، ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه. فإن الله تعالى يقول: ٤٢: ٣٠ {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى : ٣٠]، وقال لخير الخلق، وهم أصحاب نبيه دونه صلّى الله عليه وسلّم: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} [آل عمران : ١٦٥] فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها. وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره. وفي الدعاء المشهور «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم. واستغفرك لما لا أعلم» .

فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه. فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب.

ولقي بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل البيت، ثم أخرج إليك. فدخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب، وأناب إلى ربه. ثم خرج إليه فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به عليّ.

وليس في الوجود شر إلّا الذنوب وموجباتها. فإذا عوفي العبد من الذنوب عوفي من موجباتها. فليس للعبد إذا بغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أفع له من التوبة النصوح.

وعلامة سعادته: أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها. فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به، بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه. والله يتولى نصرته وحفظه، والدفع عنه ولا بد. فما أسعده من عبد، وما أبركها من نازلة نزلت به. وما أحسن أثرها عليه، ولكن التوفيق والرشد بيد الله. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. فما كل أحد يوفق لهذا. لا معرفة به، ولا إرادة له، ولا قدرة عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه. فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء، ودفع العين، وشر الحاسد. ولو لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديما وحديثا لكفى به. فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملا فيه باللطف والمعونة والتأييد. وكانت له فيه العاقبة الحميدة. فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جنّة واقية، وحصن حصين.

وبالجملة: فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها.

ومن أقوى الأسباب: حسد الحاسد والعائن. فإنه لا يفتر ولا يني، ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود. فحينئذ يبرد أنينه، وتتطفئ ناره، لا أطفأها الله. فما حرس العبد نعمة الله بمثل شكرها، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله. وهو كفران النعمة. وهو باب إلى كفران المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جندا وعسكرا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه. فمن لم يكن له جند ولا عسكر، وله عدو. فإنه يوشك أن يظفر به عدوه، وإن تأخرت مدة الظفر. والله المستعان.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله- وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه. فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا ازددت إليه إحسانا، وله نصيحة، وعليه شفقة. وما أظنك تصدّق بأن هذا يكون، فضلا عن أن تتعاطاه.

فاسمع الآن قوله عز وجل: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)} [فصلت : ٣٤ - ٣٦]، وقال: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [القصص : ٥٤].

وتأمل حال النبي صلّى الله عليه وسلّم إذ ضربه قومه حتى أدموه. فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[١].

كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه؟.

أحدها: عفوه عنهم. والثاني: استغفاره لهم. والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون. والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه. فقال «اغفر لقومي»، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به. هذا ولدي: هذا غلامي. هذا صاحبي، فهبه لي. واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس، ويطيبه إليها وينعمها به.

اعلم أن لك ذنوبا بينك وبين الله، تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك. ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة، حتى ينعم عليك ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله. فإذا كنت ترجو هذا من ربك، وتحب أن يقابل به إساءتك، فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم؟ ليعاملك الله تلك المعاملة. فإن الجزاء من جنس العمل فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك، جزاء وفاقا. فانتقم بعد ذلك، أو اعف، وأحسن أو اترك. فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يفعل معك.

وفي الحديث: «وليأت للناس الذي يحب أن يؤتى إليه»[٢].

فمن تصور هذا المعنى، وشغل به فكره. هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه.

وهذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة. كما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم للذي شكا إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم، وهم يسيئون إليه. فقال: «لا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[٣].

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه. فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير، وهو مسيء إليه. وجد قلبه وداءه وهمته مع المحسن على المسيء. وذلك أمر فطري، فطر الله عليه عباده. فهو بهذا الإحسان، قد استخدم عسكرا لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعا ولا خبزا.

هذا مع أنه لا بد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين: إما أن يملكه بإحسانه، فيستعبده وينقاد له، ويذل له، ويبقى الناس إليه. وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره، إن أقام على إساءته إليه. فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة. والله هو الموفق والمعين. بيده الخير كله، لا إله غيره، وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه.

وفي الجملة: ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة وآجلة.

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء ٣٤٧٧، ومسلم في الجهاد والسير ١٧٩٢، وأحمد ٣٨٠/١، من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٢) أخرجه من حديث طويل مسلم في الإمارة ١٨٤٤، وأبو داود في الفتن والملاحم ٤٢٤٨، والنسائي في البيعة ٤١٩١، وابن ماجه في الفتن ٣٩٥٦، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ٢٥٥٨، من حديث أبي هريرة ﷺ.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، قال تعالى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ}[الأنعام: ١٠٧]. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»[١].

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره والله يتولى حفظه والدفع عنه؛ فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، وبحسب إيمان العبد يكون دفع الله عنه؛ فإن كمل إيمانه دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له، وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة، كما قال بعض السلف: «من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة»[٢].

فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، قال بعض السلف: «من خاف الله خافه كل شيء. ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء»[٣].

قال ابن القيم: "هذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر، وليس له أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه، وتوكله عليه، وثقته به، وأن لا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده، ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده، فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه. ولا يرجو إلا إياه. ومتى علّق قلبه بغيره ورجاه وخافه: وكل إليه وخذل من جهته، فمن خاف شيئا غير الله سلّط عليه. ومن رجا شيئا سوى الله خذل من جهته وحرم خيره. هذه سنة الله في خلقه. ولن تجد لسنة الله تبديلا"[٤].

«آخر تفسير سورة (الفلق)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) نقلا عن: التفسير القيم: ٦٥٦.
(٣) نقلا عن: التفسير القيم: ٦٥٦.
وفي صفة الصفوة١/٤٩٧:" قال السري السقطي -رحمه الله-: من أطاع مَن فوقه أطاعه مَن دونه، ومن خاف الله، خافه كلّ شيء".
(٤) التفسير القيم: ٦٥٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الناس»

«سورة الناس»: هي السورة الرابعة عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية عشرة من المجموعة الخامسة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الفلق»، وقبل «سورة الإخلاص»، آياتها سبع عند المكيين، والشاميين، وست عند الباقين. المختلف فيها آية: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ} [الناس : ٤]. وكلماتها عشرون. وحروفها تسع وسبعون. وفواصلها على «السين»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الناس»:

اشتهرت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير[٢] بـ«سورة الناس»، ووجه تسميتها لافتتاحها بقوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس : ١]، وقد تكررت كلمة «الناس»، فيها خمس مرات.

٢-سورة«قل أعوذ برب الناس»:

لقد تقدم في الاسم الثاني لسورة «الفلق»، أن النبي-صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام، سموها سورة: «قل أعوذ برب الناس».

روي عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»[٣].

عن عائشة -رضي الله عنها-:" أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، ثم يمسح ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[٤].

وقد عنونها البخاري في «صحيحه»[٥]: سورة« قل أعوذ برب الناس»، بإضافة كلمة «سورة» إلى أول جملة منها.

٣- سورة «المعوذتين» :

قد تقدم في الاسم الثالث لـ«سورة الفلق»، أنها و«سورة الناس»، تسميان: «المعوذتين»، وكذلك جاء في كلام بعض الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-.

روي عن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»[٦]. بكسر الواو المشددة وبصيغة الجمع بتأويل الآيات المعوذات، أي: آيات السورتين. وفي رواية: «بالمعوذتين في دبر كل صلاة»[٦].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٧/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٧٠٧/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦٥٩/١٠، والبحر العلوم للسمرقندي: ٦٣٨/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٧٥/٥، وتفسير ابن فورك: ٣٠٨/٣، والكشف والبيان: ٣٤١/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٥١٣/١٢، والنكت والعيون: ٣٧٨/٦، والوسيط للواحدي: ٥٧٥/٤، وتفسير السمعاني: ٣٠٨/٦، وتفسير البغوي: ٥٩٧/٨، والكشاف: ٨٢٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥٤٠/٥، وزاد المسير: ٥١٠/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٧٦/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢٦٠/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٥٠/٥، وغيرها.

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين – باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير – تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ١٤٤/٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.

(٤)صحيح البخاري برقم (٥٠١٧) وسنن أبي داود برقم (٥٠٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٤٠٢) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٢٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٥).

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٨١/٦.

(٦) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.

وعنون لها –من القدماء-ابن عطية[٢]، والثعالبي[٣] في تفسيريهما: سورة «المعوذة الثانية»[٤]، وعنون لها الترمذي[٥] مع سورة الفلق بـ«المعوذتين»، وكذلك فعل الكلبي في تفسيره[٦].

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

١-سورة «المشقشقتين»:

سبق –أيضا- أنها هي و«الفلق»تسميان:«المشقشقتين»، وقد سماهما بهذا الاسم السخاوي[٧]، والسيوطي[٨]، دون ذكر مستندهما في هذه التسمية.

٢-سورة «المقشقشتين»:

تقدم في مقدمة سورة «الفلق»، أن بعض المفسرين[٩] سموهما : «المقشقشتين»[١٠]- بتقديم القافين على الشينين-، أي: تبرئان من النفاق[١١].

وقد وردت في بعض المصاحف سورة «الملك»[١٢]، وهي تسمية للسورة ببعض ألفاظها، قال تعالى: {مَلِكِ النَّاس} [الناس : ٢]، ولم أقف عليه عند أحد من المفسرين.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس[١٣]، وبه قال قتادة[١٤].

الثاني: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[١٥]، وابن الزبير[١٦].

عن عبد الله بن الزبير، قال: "أنزل بالمدينة: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس}"[١٧].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مكية، ومدنية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مدنية. والصحيح أنهما نزلتا متعاقبتين، فالخلاف في إحداهما كالخلاف في الأخرى"[١٨].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تقدم أنها نزلت مع ما قبلها ، ولقد عرفنا وجه مناسبتها لما سبقها في مقدمة سورة«الفلق»، وهي آخر سورة في القرآن، وقد بدئ بالفاتحة التي هي استعانة باللَّه وحمد له، وختم بالمعوذتين للاستعانة باللَّه أيضا[١].

---

(١) سنن الترمذي(٢٩٠٣):ص١٧١/٥.
(٢)انظر: المحرر الوجيز: ٦١/١٥. طبعة: قطر.
(٣) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٥٣/٤.
(٤) وقد وردت هذه التسمية في التفاسير الحديثة، مثل: التفسير الوسيط للطنطاوي: ٥٤٧/١٥، والتفسير الواضح، للحجازي: ٩٢٣/٣.
(٥) سنن الترمذي: ١٧٠/٥.
(٦) انظر: تفسير الكلبي: ٢٢٥/٤.
(٧) انظر: جمال القراء: ٩٤.
(٨) الإتقان: ١٩٧/١.
(٩) ذكرها الزمخشري في "الكشاف": ٨٢٤/٤، و٣٧٣/٦، الماوردي في "النكت والعيون": ٣٧٣/٦، والقرطبي في "التفسير": ٢٥١/٢٠.
(١٠)فيكون اسم «المقشقشة» مشتركا بين أربع سور : «سورة الفلق»، و«سورة الناس»، و«سورة براءة»، و«سورة الكافرون».
(١١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥١/٢٠.
(١٢) مصحف بجامعة الإمام بالرياض، رقم(٨٠٤٣)، نسخ سنة(١٠٩٨هـ).
(١٣) انظر: زاد المسير: ٥١٠/٤.
(١٤) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥.
(١٥) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥، وزاد المسير: ٥١٠/٤.
(١٦) انظر: الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٧) الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٨) التحرير والتنوير: ٦٣١/٣٠.

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد سورة الناس الإجمالية في الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي، والناس مشتق من الأنس، فإن أصله أناس، وهو أيضاً اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس، فطابق حينئذ الاسم المسمى.

ويعدّ مقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام وفذلكة النظام، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول، والله المسؤول في تيسير السؤل، وتحقيق المأمول، فإنه الجواد ذو الطول، وبه يستعان وعليه التكلان.

جاءت مقاصد سورة الناس التفصيلية على النحو التالي:

١- الإقرار بربوبية الله تعالى وأنه وحده المالك لكل شيء في هذا الكون والمستحق للعبودية، فهو الرب والملك والإله الذي يُستعاذ به ويُلتجأ إليه من كل شر.

٢- تكريم الله لبني آدم، حيث خصّ الله تعالى الناس من بين جميع المخلوقات المربوبة، ومن باب التشريف أنه أخدم لهم الملائكة، وذلك لأن العدو الأزلي إبليس متربص بالناس، وتلقى الشياطين وساوسهم إلى الناس لكي يُضلونهم.

٣- التأكيد على أن الله تعالى هو الملك الحق، الغني عن الخلق، الذي له السلطة العليا في الناس، وله الملك الكامل، والتصرف الشامل، الذي له الأمر النافذ في خلقه، ينفذ فيهم أمره وحكمه، كيف شاء، ومتى شاء.

٤- الإشارة إلى أن «الله» هو المعبود، وهذا الوصف جامع لكافة صفات الكمال والجلال؛ لذلك يتضمن لفظ "الله" كافة الأسماء الحسنى، فهو الاسم الجامع لأنه به دلالة على آلوهيته للناس، وتألُّه القلوب بعظمته.

٥- توسيط صفة الملك بين الربوبية والإلهية؛ لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره، فهو المطاع إذا أمر، وملكه سبحانه لهم تابع لخلقه إياهم، فملكه من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال ملكه.

٦- إرشاد العباد إلى الاستعاذة من أذى الشيطان الموكل بالإنسان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله، لم يقل الشيطان ولكن الوسواس؛ لأن الوسوسة هي أبرز صفة للشيطان وأخطرها وأضرها على الإنسان.

٧- بيان جهات الشر، فالشر بعضه ينشأ عن وسوسة النفس، والبعض الآخر نانج عن وسوسة الشيطان، فإذا كره الإنسان ما تدعو إليه نفسه الأمارة بالسوء، فعليه أن يستعيذ من الشيطان لأنه منبته، وإذا أحب الإنسان ما تدعو إليه نفسه الأمارة بالسوء، فعليه أن يردعها ويجاهدها.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: الاعتصام بحفظ الحق - تعالى - وحياطته، والحذر والاحتراز من وسواس الشيطان، ومن تعدى الجن والإنسان، في قوله: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} [الناس : ٦]"[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

جميعها محكم وليس فيها ناسخ ولا منسوخ [٣].

---

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي: ٤٦٩/٣٠-٤٧٠.

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٧/١.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، لهبة الله: ٢٠٩.

- **فضائل السورة:**

- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}»[١].
- وعن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»[٢].
- عن ابن عابس الجهني أن النبي ﷺ قال له: يا ابن عابس «ألا أدلك - أو قال: ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} هاتين السورتين»[٣].
- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، وما بلغت يداه من جسده»[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود: الكلام على هاتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيرًا خاصًا في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس"[٥].

وقال ابن القيم: "فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيون التي أصلها كلها الوسوسة"[٦].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين – باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير – تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ١٤٤/٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال: «غريب». وأحمد ١٥٥/٤، وصححه الألباني. وانظر «تفسير ابن كثير» ٥٥١/٨-٥٥٣.

(٣) أخرجه النسائي في الاستعاذة(٥٤٣٢):ص٢٥١/٨، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٨، ومسلم في السلام ٢١٩٢، وأبو داود في الطب، ٣٩٠٢، وابن ماجه في الطب ٣٥٢٩.

(٥) انظر «التفسير القيم» ص٥٣٧.

(٦) التفسير القيم :٦٠٠.

القرآن
{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)} [الناس : ١]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: أعوذ وأعتصم برب الناس، القادر وحده على ردِّ شر الوسواس.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: قل يا محمد أستجير {بِرَبِّ النَّاسِ}"[١].

قال مقاتل:" أمر الله- عز وجل- النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يتعوذ برب الناس"[٢].

قال الطنطاوي:" المعنى: قل- أيها الرسول الكريم- أعوذ وأعتصم وأستجير، برب الناس"[٣].

قال القاسمي:" أي: ألجأ إليه وأستعين به، وبرب الناس الذي يربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره. وهو رب العالمين كلهم والخالق للجميع"[٤].

قال القشيري: أي: " أعتصم بربّ الناس خالقهم وسيّدهم"[٥].

قال أبو الليث السمرقندي:" يقول: أستعيذ بالله وخالق الناس"[٦].

قال الشوكاني:" معنى {رَبِّ النَّاسِ}: مالك أمرهم ومصلح أحوالهم"[٧].

وإنما ذكر أنه «رب الناس»، وإن كان ربّاً لجميع الخلق لأمرين[٨]:

أحدهما : لأنه لما أمر بالاستعاذة من شَرِّهم أعلم أنه ربهم، ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم.

قال الشوكاني:" وإنما قال: {رَبِّ النَّاسِ}، مع أنه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم، ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم"[٩].

الثاني : لأن الناس معظَّمون متميزون على غيرهم، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا .

قرأ الجمهور: {قل أعوذ}، بالهمزة. وقرئ بحذفها ونقل حركتها إلى اللام، وقرأ الجمهور بترك الإمالة في {الناس}، وقرأ الكسائي بالإمالة[١٠].

القرآن
{مَلِكِ النَّاسِ (٢)} [الناس : ٢]

التفسير:

ملك الناس المتصرف في كل شؤونهم، الغنيِّ عنهم.

قال القشيري:" أي: مالكهم جميعهم"[١١].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: خالق الناس ومالكهم وله نفاذ الأمر والملك فيهم"[١٢].

قال القاسمي:" أي: الذي ينفذ فيهم أمره وحكمه وقضاؤه ومشيئته دون غيره"[١٣].

قال الطبري:" وهو ملك جميع الخلق: إنسهم وجنهم، وغير ذلك، إعلاما منه بذلك من كان يعظم الناس تعظيم المؤمنين ربهم أنه ملك من يعظمه، وأن ذلك في مُلكه وسلطانه، تجري

---

(١) تفسير الطبري: ٧٠٩/٢٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٤٣/٤.
(٣) التفسير الوسيط: ٥٥٠/١٥.
(٤) محاسن التأويل: ٥٧٩/٩.
(٥) لطائف الإشارات: ٧٨٧/٣.
(٦) بحر العلوم: ٦٣٨/٣.
(٧) فتح القدير: ٦٤٢/٥.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٦، وزاد المسير: ٥١٠/٤.
(٩) فتح القدير: ٦٤٢/٥.
(١٠) انظر: فتح القدير: ٦٤٢/٥.
(١١) لطائف الإشارات: ٧٨٧/٣.
(١٢) بحر العلوم: ٦٣٨/٣.
(١٣) محاسن التأويل: ٥٧٩/٩.

عليه قُدرته، وأنه أولى بالتعظيم، وأحقّ بالتعبد له ممن يعظمه، ويُتعبد له، من غيره من الناس"[١].

قال ابن فورك:" وهو جل وعز ملك جميع الخلق لبيان أن مدبر جميع الناس قادر أن يعيذهم من شر ما استعاذوا منه مع أنه أحق بالتعظيم من ملوك الناس"[٢].

قال الشوكاني:" قوله: {ملك الناس} عطف بيان، جيء به لبيان أن ربيته سبحانه ليست كربية سائر الملاك لما تحت أيديهم ممن مماليكهم، بل بطريق الملك الكامل، والسلطان القاهر"[٣].

القرآن
{إِلَهِ النَّاسِ (٣)} [الناس : ٣]

التفسير:

إله الناس الذي لا معبود بحق سواه.

قال الطبري:" يقول: معبود الناس، الذي له العبادة دون كل شيء سواه"[٤].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: خالق الناس ومعطيهم ومانعهم"[٥].

قال القاسمي:" أي: معبودهم الحق وملاذهم إذا ضاق بهم الأمر. دون كل شيء سواه. و«الإله»: المعبود الذي هو المقصود بالإرادات والأعمال كلها"[٦].

قال الشوكاني:" {إِلَهِ النَّاسِ}، هو –أيضا- عطف بيان كالذي قبله، لبيان أن ربوبيته وملكه قد انضم إليهما المعبودية المؤسسة على الألوهية، المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالاتحاد والإعدام، وأيضا الرب قد يكون ملكا، وقد لا يكون ملكا، كما يقال رب الدار ورب المتاع، ومنه قوله: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله} [التوبة : ٣١]، فبين أنه ملك الناس. ثم الملك قد يكون إلها، وقد لا يكون، فبين أنه إله لأن اسم الإله خاص به لا يشاركه فيه أحد، وأيضا بدأ باسم الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره وإصلاحه من أوائل عمره إلى أن صار عاقلا كاملا، فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مملوك فذكر أنه ملك الناس. ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه، وأنه عبد مخلوق وأن خالقه إله معبود بين سبحانه أنه إله الناس، وكرر لفظ الناس في الثلاثة المواضع لأن عطف البيان يحتاج إلى مزية الإظهار، ولأن التكرير يقتضي مزيد شرف الناس"[٧].

قال ابن كثير:" هذه ثلاث صفات من صفات الرب ، عز وجل: «الربوبية»، و«الملك»، و«الإلهية» : فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة له ، مملوكة عبيد له"[٨].

قال أبو حيان:" ولما كانت مضرة الدين، وهي آفة الوسوسة، أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت، جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث: «الرب»، و«الملك»، و«الإله»، وإن اتحد المطلوب، وفي الاستعاذة من ثلاث: «الغاسق» و«النفاثات» و«الحاسد» بصفة واحدة وهي «الرب»، وإن تكثر الذي يستعاذ منه"[٩].

---

(١) تفسير الطبري: ٧٠٩/٢٤.
(٢) تفسير ابن فورك: ٣٠٩/٣.
(٣) فتح القدير: ٦٤٢/٥.
(٤) تفسير الطبري: ٧٠٩/٢٤.
(٥) بحر العلوم: ٦٣٨/٣.
(٦) محاسن التأويل: ٥٧٩/٩.
(٧) فتح القدير: ٦٤٢/٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٣٩/٨.
(٩) البحر المحيط في التفسير: ٥٧٩/١٠.

قال تقي الدين المقريزي:" «الملك»: هو الآمر الناهي الذي لا يخلق خلقًا بمقتضى ربوبيّته ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فإن الملك هو الآمر الناهي، المعطي المانع، الضار النافع، المثيب المعاقب، ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء الحسنى الثلاثة: الربّ والملك والإله، فإنه لما قال: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم، فبقي أن يقال: لمّا خلقهم هل كلّفهم وأمرهم ونهاهم؟، قيل: نعم، فجاء: {مَلِكِ النَّاسِ} ، فأثبت الخلق والأمر {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف : ٥٤]، فلما قيل ذلك، قيل: فإذا كان ربا موجدًا، وملكا مكلفا، فهل يحب ويرغب إليه، ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر، قيل: {إِلَهِ النَّاسِ} أي: مألوههم ومحبوبهم، الذي لا يتوجّه العبد المخلوق المكلّف العابد إلا له، فجاءت الإلهيّة خاتمة وغاية، وما قبلها كالتوطئة لها. وهاتان السورتان أعظم عوذة في القرآن، وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك، وهو حين سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وخيّل إليه أنه يفعل الشيء صلى الله عليه وسلم وما فعله، وأقام على ذلك أربعين يوما، كما في الصحيح[١]، وكانت عقد السّحر إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعوّذتين إحدى عشرة آية، فانحلّت بكلّ آيةٍ عقدةٍ. وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسمه الإله، وهو المعبود وحده، لاجتماع صفات الكمال فيه. ومناجاة العبد لهذا الإله الكامل، ذي الأسماء الحسنى والصفات العليا، المرغوب إليه؛ في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربّه. ثم استحب التعليق باسم الإله في جميع المواطن الذي يقال فيها: «أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم»، لأن اسم الله - تعالى - هو الغاية للأسماء، ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرف إلاّ به، فتقول: الله هو السّلام، المؤمن، المهيمن، فالجلالة تعرّف غيرها، وغيرها لا يعرفها"[٢].

القرآن
{مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)} [الناس : ٤]

التفسير:

من أذى الشيطان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله.

قال الطنطاوي:" من شر الشيطان الموسوس بالشر، والذي يخنس ويتأخر ويندحر، إذا ما تيقظ له الإنسان، واستعان عليه بذكر الله- تعالى-"[٣].

قال القاسمي:" أي: من شر الشيطان ذي الوسوسة، الذي عادته أن يخنس- أي: يتأخر- إذا ذكر الإنسان ربه، لأنه لا يوسوس إلا مع الغفلة وكلما تنبه العبد فذكر الله، خنس"[٤].

قال الطبري:" يعني: من شرّ الشيطان الذي يخنِس مرّة ويوسوس أخرى، وإنما يخنِس فيما ذُكر عند ذكر العبد ربه[٥]"[٦].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: من شر الشيطان، لأني لا أستطيع أن أحفظ نفسي من شره لأنه يجري في نفس الإنسان مجرى الدم ولا يراه بشر والله تعالى قادر على حفظي من شره ومن وسوسته"[٧].

قال ابن عطية:" {الْوَسْوَاسِ}: اسم من أسماء الشيطان، وهو أيضا ما توسوس به شهوات النفس وتسوله، وذلك هو الهواء الذي نهي المرء عن اتباعه وأمر بمعصيته والغضب

---

(١) سبق تخريجه في سبب نزول المعوذتين.

(٢) تجريد التوحيد المفيد: ٩-١٣.

(٣) التفسير الوسيط: ٥٥٠/١٥.

(٤) محاسن التأويل: ٥٧٩/٩.

(٥) قال الشوكاني في «فتح القدير»: ٦٤٤/٥" ظاهره أن مطلق ذكر الله يطرد الشيطان، وإن لم يكن على طريق الاستعاذة، ولذكر الله سبحانه فوائد جليلة حاصلها: الفوز بخيري الدنيا والآخرة".

(٦) تفسير الطبري: ٧٠٩/٢٤.

(٧) بحر العلوم: ٦٣٨/٣.

الذي وصى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بطرحه وتركه، حين قال له رجل أوصني، فقال: لا تغضب، قال زدني: قال: لا تغضب[1]"[2].

ويجدر القول بأن الوسواس الذي يصيب الإنسان ليس كله على درجة واحدة، من حيث المرضية، ومن حيث المصدر والأثر، فالوسواس الذي يدعو الإنسان لسماع المحرمات أو رؤيتها أو اقتراف الفواحش وتزيينها له : له ثلاثة مصادر : النفس – وهي الأمَّارة بالسوء -[3]، وشياطين الجن[4]، وشياطين الإنس[1][2].

---

(١) روي عن حميد بن عبد الرحمن، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل: يا رسول الله، أوصني؟ قال: " لا تغضب "، قال: قال الرجل: ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله". [صحيح. أخرجه أحمد(٢٣١٧١):٣٨/٢٣٦-٢٣٧، وانظر: مصنف" عبد الرزاق (٢٠٢٨٦)]

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٥٤٠.

(٣)قال تعالى – في بيان المصدر الأول وهي النفس:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق : ١٦].

(٤) قال تعالى – في بيان المصدر الثاني وهم شياطين الجن: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} [طه : ١٢٠].

وما يعرض للمسلم في وضوئه وصلاته فلا يدري كم توضأ ولا كم صلى : فمصدره من الشيطان ، فإن استعاذ بالله من الشيطان كفاه الله إياه ، وإن استسلم له واستجاب لأوامره تحكَّم فيه الشيطان ، وتحول من وسوسة عارضة إلى مرضٍ مهلك ، وهو ما يسمى " الوسواس القهري " وهذه الوساوس القهرية – كما يقول أحد المختصين - " علة مرضية تصيب بعض الناس كما تصيبهم أية أمراض أخرى ، وهي أفكار أو حركات أو خواطر أو نزعات متكررة ذات طابع بغيض يرفضها الفرد عادة ويسعى في مقاومتها ، كما يدرك أيضاً بأنها خاطئة ولا معنى لها ، لكن هناك ما يدفعه إليها دفعاً ، ويفشل في أغلب الأحيان في مقاومتها ، وتختلف شدة هذه الوساوس حتى إنها لتبدو – لغير المتخصصين – عند زيادة شدتها وكأن المريض مقتنع بها تماماً ، ويعتري هذا النوع من الوساوس الإنسان أيضاً في عباداته وكذلك في شؤون حياته الدنيوية ".

فوسوسة الشيطان تزول بالاستعاذة.

ووسوسة النفس تزل أيضاً بالاستعاذة ، وبتقوية الصلة بين العبد وربه بفعل الطاعات وترك المنكرات.

وأما الوسواس القهري فهو حالة مرضية كما سبق.

والمسلم لا يؤاخذ على وساوس النفس والشيطان ، ما لم يتكلم بها أو يعمل بها.

وهو مأمور بمدافعتها ، فإذا ما تهاون في مدافعتها واسترسل معها فإنه قد يؤاخذ على هذا التهاون.

فقد أُمر بعدم الالتفات لوساوس الشياطين ، وأن يبني على الأقل في الصلاة عند الشك فيها ، وأُمر بالاستعاذة من الشيطان والنفث عن يساره ثلاثاً إذا عرضت له وساوس الشيطان في الصلاة ، وأُمر بمصاحبة الأخيار والابتعاد عن الأشرار من الناس ، فمن فرَّط في شيء من هذا فوقع في حبائل نفسه الأمارة بالسوء أو الاستجابة لشياطين الجن والإنس فهو مؤاخذ.

وأما الوسواس القهري : فهو مرض – كما سبق- فلا يضير المسلم ، ولا يؤاخذه الله عليه ؛ لأنه خارج عن إرادته ، قال الله تعالى : {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} [الطلاق:٧] . وقال تعالى : {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن:١٦]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ ». [رواه البخاري (٤٩٦٨) ومسلم (١٢٧)]

وعلى من ابتلي بمثل هذا الوسواس أن يداوم على قراءة القرآن والأذكار الشرعية صباحا ومساء ، وعليه أن يقوي إيمانه بالطاعات والبعد عن المنكرات ، كما عليه أن يشتغل بطلب العلم ، فإن الشيطان إن تمكن من العابد فلن يتمكن من العالم.

وقد يأتي الشيطان ويوسوس للمسلم أشياء منكرة في حق الله تعالى ، أو رسوله ، أو شريعته ، يكرهها المسلم ولا يرضاها ، فمدافعة هذه الوساوس وكراهيتها دليل على صحة الإيمان ، فينبغي أن يجاهد نفسه ، وأن لا يستجيب لداعي الشر.

قال ابن كثير رحمه الله: في قوله {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ }، "أي : هو وإن حاسب وسأل لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخصُ دفعَه ، فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها : فهذا لا يكلَّف به الإنسان ، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان" . [" تفسير ابن كثير ":١/٥٧٢. ط. العلمية].

وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله: - يخطر ببال الإنسان وساوس وخواطر وخصوصا في مجال التوحيد والإيمان ، فهل المسلم يؤاخذ بهذا الأمر؟.

فأجاب:

قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وغيرهما أنه قال : " إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم " – متفق عليه - وثبت أن الصحابة رضي الله عنهم سألوه صلى الله عليه وسلم عما يخطر لهم من هذه الوساوس والمشار إليها في السؤال ، فأجابهم صلى الله عليه وسلم بقوله : " ذاك صريح الإيمان " – رواه مسلم - وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله ورسله " – متفق عليه - ، وفي رواية أخرى " فليستعذ بالله ولينته " رواه مسلم في صحيحه.

[تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام: " السؤال العاشر"].

(١) قال تعالى – في بيان المصدر الثالث وهم شياطين الإنس - : {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} [الناس : ١ - ٦].

(٢) فإن وسوسة الشيطان للإنسان على أنواع ودرجات:

-فمن وسوسته تزيين الكفر والشرك: قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}[مرين ٨٣]. وقال تعالى: {وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} [العنكبوت: ٣٨]. وقال تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الأنفال : ٤٨].

-ومن وسوسته تزيين المعاصي: قال تعالى عن الأبوين عليهما السلام: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}[الأعراف: ٢٠-٢٢]. وقال تعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى}[طه: ١٢٠].

-ومن طرق وسوسته للإنسان- تزيين الشيطان التبرّج بأنّه ثقافة وفن، كما يزين الخمر بأنّها مشروبات روحيّة منعشة، ويزين الصحبة والرفقة السيّئة بالحداثة والتطوّر، والاجتماع.

ومنها-أيضا: تبرير المعصية يبرر للشاب النظر إلى الفتيات وصولاً به إلى الوقوع في الزنا بأنّه أعزب، ويزين للإنسان التعامل بالربا؛ كالقروض البنكيّة بأنّه فقير أو محتاج، كما برر لأبينا آدم وأمّنا حواء أكلهما الشجرة بأنّ الله ما نهاهما عنها إلا لكي لا يكونا ملكين، ويزيّن للشباب الاسترسال في العلاقات المفتوحة بين الجنسين عبر وسائل التواصل بأنّها ثقافة وحداثة وتطوّر.

وقد جعل الله للشيطان سلطانًا على قلوب أهل الكفر والنفاق، كما جعل له نفوذًا على أهل الغفلة والمعاصي، قال تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}[الحجر: ٤٢].

وقال-صلى الله عليه وسلم-: « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»[سبق تخريجه في المتن].

ومن طرق وسوسته –أيضا-: تعظيم الصغائر وتحقير وتبسيط الكبائر يأتي الشيطان إلى العبّاد والزهاد، فيعظم عندهم بعض الأمور؛ كالتقصير في بعض السنن ، أو يُبسّط من شأن بعض الأمور، كالغيبة والنميمة، بحجّة أنّ الله غفور رحيم.

ومن طرق وسوسته –أيضا-: تعظيم العادات والتقاليد دون تمييز فيزين الشيطان للإنسان العادات السيئة والتقاليد المنحرفة، مثل عدم الاكتراث والاهتمام بالدين والخلق، إفساد مقاييس الحكم على الأشياء يجعل الشيطان المادة والثروة والجاه والحسب والنسب، هي المعايير التي يوزن بها الأشخاص، وتقييمها على معايير الدين والخلق الحسن.

-ومن وسوسته: تشويه العقيدة، فإن الشيطان يشوه عقيدة الإنسان؛ وذلك بإفسادها وتمييعها، ومتى ضُرب الإنسان في عقيدته فسد كلّ سلوكه.

روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته»[أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢٧٦، ومسلم في الإيمان ١٣٤].

وفي رواية أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله: إن أحدنا ليجد في نفسه ما أن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به. قال: «الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»[أخرجه أحمد ٣٤٠/١].

-ومن وسوسته –أيضًا-: تقليل شأن السنن والاستهانة بها يوسوس الشيطان للعبد بأنه ليس من الضروري أداء السنن لأنه غير ملزم بها .

ومن وسوسته-أيضا-: أن يشغل القلب بحديثه ووساوسه فيوقعه في نسيان ما أراد فعله أو قوله من أمر ديني أو دنيوي كما قال تعالى حكاية عن صاحب موسى عليه السلام أنه قال: {فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}[الكهف: ٦٣]، وتقدم في الحديث: «أنه يخطر بين المصلى وبين قلبه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى لا يدري أثلاثا صلى أم أربعًا»[أخرجه البخاري في الأذان ٦٠٨، ومسلم في الصلاة ٣٨٩،

وأبو داود في الصلاة ٥١٦، والنسائي في الأذان ٦٧٠، والترمذي في الصلاة ٣٩٧، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١٢١٦، من حديث أبي هريرة].

-ومن وسوسته: أنه يوهم الإنسان ويخوفه من الأمور المستقبلة ويحمله على التشاؤم دائمًا، ويجعل الحياة مظلمة في عينيه فتنتابه المخاوف على المستقبل، والمخاوف من الأعداء، ومن العين، ومن المرض، ومن الموت، ونحو ذلك وكل ذلك من الشيطان أخزاه الله.

وعلاج ذلك: قوة الإيمان بالله والتوكل عليه واطراح هذه الوساوس، قال تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[آل عمران: ١٧٥]. وقال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[التوبة: ٥١].

-ومن وسوسته: أن يوحي إلى أعوانه من شياطين الإنس بأن يقول أحدهم أو يفعل ما فيه ضرر على العبد المسلم؛ فكم دبر الشيطان من مكيدة للمؤمنين على أيدي أعوانه من شياطين الإنس بسفك دم، أو انتهاك عرض، أو شتم وسب، أو مقالة سوء، أو نجوى، يريد بها الشيطان إلحاق الضرر والأذى والحزن بالمؤمنين ونحو ذلك، كما قال عز وجل {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}[المجادلة : ١٠].

ومما يقال: أن ثلاثة من التجار شاهدوا تاجرًا بجوارهم أوفر منهم نصيبًا في البيع فحسدوه، وفكروا في مكيدة له، فأوقع الشيطان في قلوبهم أن يجلس كل واحد منهم في طريقه من بيته إذا كان متوجهًا إلى دكانه فإذا مر بالأول سلم عليه وقال له: مالك يا فلان متغيرًا، وجهك مصفرًا، وإذا مر الثاني سلم عليه وقال له مثل ذلك، وهكذا بالنسبة للثالث، ففعلوا ذلك معه، فعاد ذلك المسكين إلى بيته مريضًا نفسيًا وما به من مرض، وذلك لأن الكلام السيئ يحزن القلب ويؤلمه، كما أن الكلام الطيب يدخل على القلب الفرح والسرور، ولهذا كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، وهو الكلمة الطيبة". [أخرجه البخاري في الطب ٥٧٥٤، ومسلم في السلام ٢٢٢٣، وابن ماجه في الطب ٣٥٣٦، من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجوه كلهم أيضًا من حديث أنس بن مالك عند البخاري حديث ٥٧٥٥، وعند مسلم حديث ٢٢٢٤، وعند ابن ماجه حديث ٣٥٣٧].

وخلاصة القول:

أن وسوسة الشيطان على أنواع لا تكاد تحصى كثرة، وهي سبب لكل بلية وكل معصية تقع في الأرض من ترك للواجبات أو انتهاك للمحرمات، وهي على مراتب:

فهو يأتي الإنسان فيدعوه إلى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله ليكون من جنده ومن أعوانه على الشر.

فإن أيس منه، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه دعاه إلى المرتبة الثانية من الشر، وهي البدعة، وحببها إليه لعظم ضررها في الدين، وكون ضررها متعدٍ، وشدة تمسك صاحبها بها لا يكاد يتوب عنها، كما دلت على ذلك الآثار.

فإن عجز عن إيقاعه في هذه المرتبة، وكان ممن وفق إلى السنة ومعاداة أهل البدع والضلال دعاه إلى المرتبة الثالثة من الشر وهي الوقوع في الكبائر على اختلاف أنواعها.

فإن عجز عنه دعاه إلى المرتبة الرابعة، وهي الوقوع في الصغائر والاستهانة بها، وهي إذا اجتمعت أهلكت صاحبها، وفي الحديث: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»[أخرجه أحمد ٤٠٢/١، من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-].

وقال-صلى الله عليه وسلم-: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبًا»[أخرجه ابن ماجه في الزهد ٤٢٤٣، من حديث عائشة رضي الله عنها. وقال في الزوائد: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات». وصححه الألباني].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار»[أخرجه الطبراني في «جامع البيان» ٢٤٥/٨، الأثر ٩٢٠٧، طبعة دار المعارف، تحقيق أحمد شاكر. وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٩٣٤/٣، الأثر ٥٢١٦].

فإن عجز عن إيقاعه في هذه المرتبة دعاه إلى المرتبة الخامسة وهي الانشغال بالمباحات من المآكل والمشارب وتزجية الأوقات بالنزه في المصايف والاستراحات والسياحة هنا وهناك لا لقصد ديني، ولا لقصد ديني دنيوي، وإنما لقصد دنيوي محض واتباعًا للشهوات ورغبات النفس، وبهذا ضاعت كثير من أعمار الخلق والله المستعان.

بل أدى ذلك بالكثير إلى التقصير في الواجبات، والتفريط في حق الله وحقوق الخلق، كالوالدين والزوجة والأولاد والأقارب والجيران والتفريط في حق النفس، وعدم أخذها بالحزم في أداء الواجبات عمومًا، والانتهاء عن المنهيات، والنظر في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ الذي هو الغذاء الروحي للنفس، والذي لا تحيا القلوب بغيره.

ولعمر الله لقد خرج الناس بهذه المباحات عن الحد حتى ضاعت أعمار وأعمال وأموال.

وقل لي بربك ما حال من يقضي جل نهاره وأكثر ليله في هذه الاستراحات والتجمعات هل سيؤدي الصلاة كما يؤديها في مسجد الحي ومع جماعة المصلين، كلا بل سيؤديها في الغالب وحده أو مع واحد أو اثنين وربما نقرها نقر الغراب، مع ترك الأذكار بعدها والسنن الرواتب قبلها وبعدها، وماذا بقي للعبد إذا اختل أمر صلاته والله المستعان. فلينتبه لهذا من بلي بمثل هذه المجالس؛ فالصلاة أعظم حقوق الله تعالى بعد الشهادتين وما دونها من حقوقه عز وجل سيختل من باب أولى والله المستعان.

فإذا فرط فيها كان التفريط بما دونها من الواجبات من باب أولى، والله المستعان.

وقل لي بربك هل من كانت هذه حاله سيؤدي حقوق العباد من الوالدين والزوجة والأولاد والأقارب والجيران، وما يتعلق به من مصالح الأمة في عمله الوظيفي على الوجه المطلوب؟ كلا والله إلا من رحم ربك، وقليل ما هم، فكم من والد مقعد على أحر من الجمر يتمنى أن يرى أولاده معه على مائدة طعام؛ غداء أو عشاء أو إفطار، أو أن يكون بجانبه أحد أولاده لتهيئة القهوة له أو لضيوفه ولكن هيهات، الأولاد كلهم مشغولون بلا شغل في الفلوات والخلوات والاستراحات والذهاب يمينًا وشمالاً وهنا وهناك والمحصلة صفر – والله المستعان.

وكم من زوجة تنتظر زوجها بفارغ الصبر إلى ساعة متأخرة من الليل ولو حرك الهواء أحد الأبواب أو مر بها قط وهي غافلة طار عقلها خوفًا وفزعًا وزوجها مشغول خارج البيت بلا شغل، ولو جاء وهي نائمة لقال لها: لماذا تنامين يا بنت الذين... إلخ، إن لم يضربها أو يهددها بالضرب والطلاق.

وكم من أولاد هم فلذات الأكباد ليس لهم نصيب من جلوس والدهم بينهم وتربيته لهم وحنانه عليهم، بل ربما ليس لهم نصيب من رؤيته إلا النزر القليل يأتي إلى البيت وهم نائمون ويخرج في الصباح إلى العمل، وإذا جاء من العمل تناول غداءه على وجه السرعة ثم انطلق خارج البيت إلى هوى من الليل وهكذا.

وكم من أقارب وجيران وأخوات وإخوان أضحت حقوقهم في خضم النسيان بسبب ما ذكر.

وكم من مسؤوليات عامة أو خاصة ضُيعت وفرط فيها بسبب هذه الأحوال.

وكم من شخص صار قلبه خواء مظلمًا خربًا لخلوه من الغذاء الروحي؛ من الذكر وقراءة القرآن والسنة وتدبر ما فيهما من المعاني والأحكام بسبب انغماسه في هذه الأوحال وانشغاله بها. وصدق الله العظيم: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأنعام: ١٢٢]. وقال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[الحج: ٤٦].

فإن عجز الشيطان عن شغل العبد بالمباحات دعاه إلى المرتبة السادسة، وهي الاشتغال بالمفضول عما هو أفضل منه، ليفوت عليه ثواب العمل الفاضل، ويزيح عنه الفضيلة ويقلل من فضله وثوابه، فيظن أن هذا الداعي من الله لاعتقاده أن هذا خير، وأن الشيطان لا يأمر بخير، فيقول: هذا الداعي من الله.

قال ابن القيم: "ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير؛ إما ليتوصل إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأجل وأفضل...". [التفسير القيم: -٦٧٧]

ومن أمثلة الاشتغال بالمفضول عن الفاضل أن يترك متابعة المؤذن بحجة أنه يقرأ القرآن ونحو ذلك، وأدهى من ذلك وأشد منه أن يترك الشخص العمل الذي يتقاضى عليه أجرًا كالأذان والإمامة أو العمل الوظيفي في مصالح المسلمين بحجة أنه ذاهب لعمل طاعة كالعمرة، أو حضور درس أو محاضرة، أو الخروج للدعوة ونحو ذلك؛ لأن هذا لا يعد من الاشتغال بالمفضول فحسب؛ بل إن هذا من الاشتغال بالسنة عن الواجب، ويا ليت كثيرًا ممن يتساهلون في مثل هذا يدركون ذلك وبخاصة الأئمة والمؤذنون الذين هم من أئمة المتقين؛ يالها من مكانة عظيمة ومنزلة عالية رفيعة لو عرفوا قدرها، والتي هي مطلب عباد الرحمن حقًا، كما قال عز وجل في صفاتهم: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[القرقان: ٧٤].

وقال ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة»[أخرجه مسلم في الصلاة ٣٨٧ – وابن ماجه في الأذان ٧٢٥، من حديث معاوية-رضي الله عنه-].

وقال ﷺ في تعظيم مسؤوليتهما وعظم الأمانة الملقاة على عواتقهما: «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين»[أخرجه أبو داود في الصلاة ٥١٧، والترمذي في الصلاة ٢٠٧، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وصححه الألباني].

وإنني أعترف أنني أطلت في الكلام عن هاتين المرتبتين الأخيرتين وهما: الانشغال بالمباحات، أو بالمفضول عن الفاضل، وربما خرجت في ذلك من شيء إلى شيء؛ وذلك لمساس الحاجة في الوقت الحاضر إلى التأمل في خطر هذا الأمر؛ لتساهل كثير من الناس في ذلك واعتقادهم أن هذا إنما هو الأمور المباحة، أو المشروعة؛ غافلين عما يترتب عليه من تقصير في الواجبات أو ارتكاب للمنهيات، أو من تقديم للسنة على الواجب، أو المفضول على الفاضل ونحو ذلك، وكيف يعتقد من كان يتولى أمرًا من أمور المسلمين، من أذان، أو إمامة أو أي مسؤولية من مسؤوليات الأمة أنه يسوغ له ترك مسؤوليته بحجة الذهاب لأداء العمرة ونحو ذلك، وهل سيحصل له من الأجر على ذلك مثل أجر من احتسب وتحمل مسئوليته؛ كلا؛ بل إنه إلى التأثم أقرب، ولم يرد في كتاب ولا سنة جواز ذلك فضلاً عن أن يؤجر فاعله، ولم يقل بهذا أحد من علماء الأمة سلفًا وخلفًا،

وإنما هذا من مداخل الشيطان وتقديم هوى النفس على حكم الله، وإني لأدعو المسلمين عمومًا وأرباب مسؤوليات الأمة خصوصًا من الأئمة والمؤذنين وعامة الموظفين والآباء والمربين وغيرهم إلى التنبه إلى هذا؛ فنحن أمة إسلامية ديننا الإسلامي دين الجد والعمل لا محل للفراغ في حياتنا، وقت المسلم بين المسجد والبيت والعمل، وساعة للترفيه والراحة عند الملل؛ فكل فرد منا على مسؤولية من مسؤوليات الأمة.

فهذا مؤذن، وهذا إمام، وهذا والد، وهذا مدرس، وهذا موظف، وكل منا على ثغر من ثغور الإسلام؛ فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله.

وإن من أكبر مصائب الأمة أن لا تدري أين مكمن الداء فيها؛ فتضل في حيرة من أمرها، أو ربما تظن الداء دواء لجراحاتها.

فما أكثر الذين يتباكون ويتلاومون على واقع الأمة؛ وكأنهم يدعون لأنفسهم الكمال، فإذا تأملت في واقعهم، وسبرت أحوالهم وجدت أن كثيرًا منهم من أكبر أسباب ضعف الأمة؛ بل العبء الأثقل على كاهل الأمة، شأنهم التلاوم والقيل والقال، والتنصل من مسؤوليات الأمة، وانتقاد الولاة والعلماء والدعاة والمصلحين والعاملين؛ مع التفريط والإضاعة؛ بل والخيانة فيما عليهم من مسؤوليات وواجبات في حق الله وحقوق الأمة، تفريط في حقوق الله، وفي حقوق الوالدين والأولاد، والأزواج والأقارب والجيران، وفي حقوق عامة المسلمين ومسؤوليات الأمة، وقد قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[الأنفال: ٢٧].

فالأمة ليست بحاجة إلى الدعاوي الفارغة والحماس الأجوف؛ بل هي أحوج ما تكون إلى رجال لهم رصيد من الصدق مع الله وتقواه بأداء حقوقه وحقوق الخلق؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن لم يجاهد النفس والشيطان فلن يستطيع مجاهدة الأعداء، ومن خان حي على الصلاة خان حي الكفاح، ومن لم يقم أركان الإسلام وأهم واجباته فلن يقيم ما دون ذلك، ومن ترك الواجب لم ينتفع بالقيام بما دونه إن قام به.

ومجمل القول أن الأمة تحتاج إلى الرجل الراحلة الذي يتحمل مسؤولياته، ويملأ ويسد مكانه في الأمة؛ بأداء حقوق الله، وحقوق العباد، في البيت والمسجد والعمل الوظيفي والشارع، فهذا هو الجندي المجاهد، وما أقل هذا في الأمة، وصدق المصطفى ﷺ حيث قال: «الناس كإبل مائة لا يوجد فيها راحلة».[أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٩٨، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٥٤٧، والترمذي في الأمثال ٢٨٧٢، وابن ماجه في الفتن ٣٩٩٠، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما]

فالحاكم والأمير والقاضي والإمام والمؤذن والمدرس والموظف والتاجر والعامل وغيرهم ممن ائتمنوا على مسؤوليات الأمة كل منهم مثاب مأجور إذا قام بالعمل على الوجه الأكمل، مع حسن النية في أداء الواجب وخدمة الأمة.

ومما يؤسف له أن كثيرًا من الناس يتشبثون بفعل بعض النوافل والأعمال التطوعية مع تفريطهم في أهم الواجبات في حقوق الله وحقوق الأمة، ولا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضة، وجاء رجل إلى النبي ﷺ يسأل عن الإسلام فقال له النبي ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: يا رسول الله هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطَّوَّع». فقال الأعرابي: والذي بعثك بالحق لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فلما ولى قال ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا». وفي رواية: «أفلح إن صدق». [أخرجه البخاري في الإيمان ٤٦، ومسلم في الإيمان ١١، وأبو داود في الصلاة ٣٩١، والنسائي في الصلاة ٤٥٨، من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ].

وعودًا على ما سبق أقول مؤكدًا: إن الأمة أحوج ما تكون اليوم إلى الرجل الراحلة، الذي يسد مكانه في الأمة؛ أداءً الحقوق لله، وحقوق الأمة؛ مع محاسبة النفس محاسبة دقيقة في ذلك؛ إخلاصًا لله عز وجل ومتابعة للرسول -صلى الله عليه وسلم-، وحفاظًا على أوقات هذه الحقوق والواجبات، واجتهادًا في أدائها على الوجه الأكمل، براءة للذمة، ونصحًا لله ولرسوله ولكتابه.

وإنني أنادي الغيورين من أبناء الأمة رجالاً ونساءً من الآباء والأمهات والمربين والموجهين والمدرسين والخطباء والدعاة والواعظين إلى العودة بالأمة إلى هذا المنهج الصحيح؛ فإن به الضمان بإذن الله عز وجل لسعادة الأمة في دنياها وأخراها – والله المستعان.

وأخيرًا فإن الشيطان لا يقف بأذيته للعبد وتسلطه عليه عند هذا الحد، بل إنه إذا عجز عن إيقاعه في المراتب السابقة أو بعضها، وكان ممن هداه الله ووفقه وحفظه وعصمه من الوقوع في حبائل الشيطان سلط عليه حزبه من شياطين الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع والتحذير منه، وقصْد إخماله وإطفائه؛ ليشوش عليه، ويشغل بحربه فكره، وليمنع الناس من الانتفاع به، فلا يزال المؤمن في حرب معه حتى يلقى الله.[التفسير القيم: ٦٧٧ ، والحرز الأمين في تدبر سورة الإخلاص والمعوذتين: ٨٠-وما بعدها، بتصرف].

قال ابن فورك:" الوسواس: حديث النفس بما هو كالصوت الخفي، وأصله الصوت الخفي والوسوسة كالهمهمة ومنه: فلان موسوس إذا غلبت عليه الوسوسة لما يعتريه من المرة"[١].

قال الشوكاني:" الوسوسة: هي حديث النفس، يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة، أي: حدثته حديثا، وأصلها: الصوت الخفي، ومنه قيل: لأصوات الحلي وسواس، ومنه قول الأعشى[٢]:

تسمعُ للحَلي وَسواسًا إذا انصرفت ... [كَما استعان بريحٍ عِشرقٌ زَجِلُ]

ومعنى «الخناس»: كثير الخنس، وهو التأخر، يقال: خنس يخنس إذا تأخر، ومنه قول أبي العلاء الحضرمي، يمدح رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[٣]:

فإن دحسوا بالشر فاعف تكرما ... وإن خنسوا عند الحديث فلا تسل"[٤].

قال ابن كثير:" «الوسواس الخناس»: هو الشيطان الموكل بالإنسان ، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزَين له الفواحش، ولا يألوه جهدًا في الخبال. والمعصوم من عَصَم الله"[٥].

قال الزجاج:" قيل في التفسير: إن له رأس كرأس الحية، يجثم على القلب، فإذا ذكر اللَّهَ العبدُ تنحَّى وخنس، وإذا ترك ذكرَ اللَّهِ رجع إلى القلب يوسوس"[٦].

عن ابن عباس، قال: ما من مولود إلا على قلبه الوَسواس، فإذا عقل فذكر الله خَنَس، وإذا غَفَل وسوس، قال: فذلك قوله: {الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}"[٧].

عن مجاهد: "{الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}، قال: الشيطان يكون على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خَنَس"[٨].

قال مجاهد:" ينبسط فإذا ذكر الله خَنَس وانقبض، فإذا غفل انبسط"[٩].

قال قتادة:" يعني: الشيطان، يوسوس في صدر ابن آدم، ويخنس إذا ذُكر الله"[١٠].

قال قتادة:" هو الشيطان، وهو الخَنَّاس أيضا، إذا ذكر العبد ربه خنس، وهو يوسوس وَيخْنِس"[١١].

قال قتادة:" يقال: الخناس له خرطوم، كخرطوم الكلب يوسوس في صدور الناس، فإذا ذكر العبد ربه خنس"[١٢].

قال ابن زيد:" الخناس الذي يوسوس مرّة، ويخنس مرّة من الجنّ والإنس، وكان يقال: شيطان الإنس أشدّ على الناس من شيطان الجنّ، شيطان الجنّ يوسوس ولا تراه، وهذا يُعاينك معاينة"[١٣].

---

(١) تفسير ابن فورك: ٣٠٨/٣.
(٢)ديوانه ص ١٠٥؛ ولسان العرب ٦/ ٢٥٥ (وسس)، ١٠/ ٢٥٢ (عشرق)، ١١/ ٣٠٢ (زجل)؛ وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٧؛ وتاج العروس ١٧/ ١٢ (وسس)، (عشرق)، (زجل).
(٣) انظر: عمدة الحفاظ: ٥٣٨/١.
(٤) فتح القدير: ٦٤٣/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٥٣٩/٨.
(٦) معاني القرآن وإعرابه: ٣٨١/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٧٠٩/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.
(١٢) تفسير عبدالرزاق(٣٧٥١):ص٤٧٨/٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.

عن ابن مسعود، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- : "ما منكم من أحد إلا قد وُكِل به قرينة". قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : "نعم ، إلا أن الله أعانني عليه ، فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير"[١].

عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: "أن صفية - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مر رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: «على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»"[٢].

وفي سبب تسمية الشيطان بـ«الخناس»، وجهان:

أحدهما : لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالى : {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ} [التكوير : ١٥]، يعني: النجوم لاختفائها بعد الظهور. أفاده ابن فورك[٣].

قال ابن فورك:" الخناس: الكثير الاختفاء بعد الظهور، يقال: خنس يخنس خنوسا، ومنه {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ} [التكوير : ١٥]، أي: بالنجوم التي تخفى بعدما تظهر بتصريف الحكيم الذي أجرها على حق حسن التدبير"[٤].

الثاني : سمي «خناسا»، لأنه يرجع إذا غفل العبد عن ذكر الله، حكاه الماوردي[٥]، و«الخنس»: الرجوع ، قال الراجز [٦]:

وصاحب يَمْتَعِسُ امْتِعاسا ... يزدادُ من خَنسِه خناسا

قال أبو عبيدة:" {يُوَسْوِسُ} ثم يخنس"[٧].

قال مقاتل:" الخناس: الذي إذا ذكر الله ابن آدم خنس عن قلبه، فذهب عنه، ويخرج من جسده"[٨].

وأما «الوسواس» -ها هنا-، ففيه وجهان [٩]:

أحدهما : أنه الشيطان لأنه يوسوس للإنسان.

قال مقاتل:" هو الشيطان في صورة خنزير معلق بالقلب في جسد ابن آدم، وهو يجري مجرى الدم، سلطه الله على ذلك من الإنسان"[١٠].

وقال-صلى الله عليه وسلم-: « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»[١١].

---

(١)مسلم في صحيحه برقم (٢٨١٤) من حديث عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه.

(٢)صحيح البخاري برقم (٢٠٣٥ ، ٦٢١٩ ، ٧١٧١)، وصحيح مسلم برقم (٢١٧٤)، من حديث صفية ، رضي الله عنها.

(٣) انظر: تفسير ابن فروك: ٣٠٨/٣.

(٤) تفسير ابن فورك: ٣٠٨/٣.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٦، وتفسير القرطبي: ٢٦٢/٢٠

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٧٨/٦.

(٧) مجاز القرآن: ٣١٧/٢.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٤٣/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٤٣/٤.

(١١)حديث أنس: أخرجه أحمد (١٥٦/٣، رقم ١٢٦١٤) ، والبخاري فس الأدب المفرد (ص ٤٣٨، رقم ١٢٨٨) ، ومسلم (١٧١٢/٤، رقم ٢١٧٤) ، وأبو داود (٢٣٠/٤، رقم ٤٧١٩) . وأخرجه أيضا: أبو يعلى (١٨٦/٦، رقم ٣٤٧٠) ، والقضاعي (١١٣/٢، رقم ٩٩٥) .

حديث صفية: أخرجه أحمد (٣٣٧/٦، رقم ٢٦٩٠٥) ، والبخاري (١١٩٥/٣، رقم ٣١٠٧) ، ومسلم (١٧١٢/٤، رقم ٢١٧٥) ، وأبو داود (٣٣٣/٢، رقم ٢٤٧٠) ، وابن ماجه (٥٦٦/١، رقم ١٧٧٩) . وأخرجه أيضا: إسحاق بن راهويه (٢٥٨/١، رقم ٨) ، وعبد بن حميد (ص ٤٤٩، رقم ١٥٥٦) ، وأبو يعلى (٣٨/١٣، رقم ٧١٢١) ، والطبراني (٧١/٢٤، رقم ١٨٩).

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر خَنَس ، وإن نسي التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس"[١].

أخرج ابن أبي داود في كتاب "ذم الوسوسة"، عن معاوية، في قوله: {الوسواس الخناس}، قال: "مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب فيوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس وإن سكت عاد إليه فهو {الوسواس الخناس}"[٢].

عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن للوسواس خطما كخطم الطائر فإذا غفل ابن آدم وضع ذلك المنقار في أذن القلب يوسوس فإن ابن آم ذكر الله نكص وخنس فلذلك سمي {الوسواس الخناس}"[٣].

عن عاصم ، سمعت أبا تميمة، يُحَدث عن رَديف رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: "عَثَر بالنبي صلى الله عليه وسلم حمارهُ ، فقلت : تَعِس الشيطان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «لا تقل : تعس الشيطان ؛ فإنك إذا قلت : تعس الشيطان ، تعاظم ، وقال : بقوتي صرعته ، وإذا قلت : بسم الله ، تصاغر حتى يصير مثل الذباب»"[٤].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أحدكم إذا كان في المسجد ، جاءه الشيطان فأبس به كما يُبَس الرجل بدابته ، فإذا سكن له زنقه - أو : ألجمه". قال أبو هُرَيرة : وأنتم ترون ذلك ، أما المزنوق فتراه مائلا - كذا - لا يذكر الله ، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله"[٥].

عن إبراهيم التيمي، قال: "أول ما يبدأ الوسواس من الوضوء"[٦].

عن عبد الله بن مغفل، قال: "البول في المغتسل يأخذ منه الوسواس"[٧].

وأخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب "ذم الوسوسة"، عن معاوية بن أبي طلحة، قال: "كان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اللهم اعمر قلبي من وسواس ذكرك، واطرد عني وسواس الشيطان"[٨].

عن ابن عباس: "{الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاس}، قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس"[٩].

فعلى قول ابن عباس، يكون في تفسير «الخناس»، وجهان [١٠]:

أحدهما : الراجع بالوسوسة على الهوى .

الثاني : أنه الخارج بالوسوسة في اليقين.

وقي رواية أخرى عن ابن عباس، في قوله: "{الْوَسْوَاس}، قال: هو الشيطان يأمره، فإذا أطيع خنس"[١١].

---

(١)يعلى (٢٧٨/٧ ، ٢٧٩) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧٤٢/٨) : "إسناده ضعيف" ؛ وذلك لضعف زياد النميري والكلام في عدي بن أبي عمارة.
وقال ابن كثير(٥٣٩/٨):"غريب".
(٢) الدر المنثور: ٦٩٤/٨.
(٣) الدر المنثور: ٦٩٤/٨، وعزاه إلى ابن شاهين.
(٤)المسند (٥٩/٥). قال ابن كثير: (٥٣٩/٨) :" إسناده جيد قوي، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب ، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب".
(٥)المسند (٢٣٠/٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٤٢/١) : "رجاله رجال الصحيح".
(٦) الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.
(٧) الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.
(٨) الدر المنثور: ٦٩٣/٨.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٠٩/٢٤-٧١٠.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٧٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٦٣/٢٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.

قال النحاس:" عن ابن عباس روايتان: إحداهما: أنه يوسوس ويجثم على صدر الإنسان فإذا ذكر الله جلّ وعزّ يخنس، والرواية الأخرى: أنه يوسوس فإذا أطيع انخنس، القولان متفقان"[١].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ به من شرّ شيطان يوسوس مرّة ويخنس أخرى، ولم يخصَّ وسوسته على نوع من أنواعها، ولا خنوسه على وجه دون وجه، وقد يوسوس بالدعاء إلى معصية الله، فإذا أطيع فيها خَنَس، وقد يوسوس بالنَّهْي عن طاعة الله فإذا ذكر العبدُ أمر ربه فأطاعه فيه، وعصى الشيطان خنس، فهو في كلّ حالتيه وَسْواس خَناس، وهذه الصفة صفته"[٢].

الوجه الثاني : أنه وسواس الإنسان من نفسه ، وهي الوسوسة التي يحدث بها نفسه.

قال ابن عطية:" «الْخَنَّاسِ»، معناه: على عقبه المستتر أحيانا وذلك في الشيطان متمكن إذا ذكر العبد وتعوذ وتذكر فأبصر كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١] ، وإذا فرضنا ذلك في الشهوات والغضب ونحوه فهو يخنس بتذكير النفس اللوامة بلمة الملك وبأن الحياء يردع والإيمان يردع بقوة فتخنس تلك العوارض المتحركة وتنقمع عند من أعين بتوفيق "[٣].

وقد روي عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال :«إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تكلم به أو تعمل به»[٤].

وفي الفرق بين وسوسة الشيطان[٥]، ووسوسة النفس[٦] معنى لطيف، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن بعض العلماء ، قال: "وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان ، فقال : «ما كرهته نفسُك لنفسِك فهو من الشيطان فاستعذ بالله منه، وما أحبَّته نفسُك لنفسِك فهو من نفسك فانْهَها عنه"[٧].

أي أن النفس غالباً توسوس فيما يتعلق بالشهوات التي يرغب فيها الناس عادةً.

---

(١) إعراب القرآن: ١٩٩/٥.

(٢) تفسير الطبري: ٧١٠/٢٤-٧١١.

(٣) المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥.

(٤) أخرجه احمد في "المسند"(٩١٠٨):ص٥٣/١٥، إسناده صحيح على شرط الشيخين.
وأخرجه البخاري (٥٢٦٩) ، وأبو داود (٢٢٠٩) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٦٣٢) ، وابن منده في "الإيمان" (٣٤٩) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٢٨٢/٦ من طرق عن هشام الدستوائي، بهذا الإسناد.

(٥) بلا شك أنّ وساوس الشّيطان لها سماتٌ تميّزها، بعضها ذُكرت في القرآن الكريم وبعضها ذكرت في السّنّة النّبوية المطهّرة، فمن سمات وساوس الشيطان التي يعرف بها : غالبًا ما تتعلّق وساوس الشّيطان بمسائل الإفساد والغواية والضّلال، وعلى ذلك فالوسوسة التي تأتي لتُشكّك الإنسان في عقيدته ودينه هي بلا شك من وساوس الشّيطان؛ فالشّيطان يلبّس على كثيرٍ من المسلمين دينهم ويزيّن لهم الباطل على أنّه حقّ حتّى يبتعدوا عن الصّراط المستقيم والمنهج القويم، كما انه هناك العديد من الحركات والمذاهب عبر التّاريخ الإسلامي انحرفت عن الصّواب بابتداع سلوكيّات واعتقادات ما أنزل الله بها من سلطان، فتغيير العقيدة الصّحيحة وإفسادها هي من أبرز السّمات التي تميّز وسوسة الشّيطان .
كما أن وساوس الشّيطان تعمل على إفساد العلاقات بين المسلمين بتشجيع الحسد والسّحر والغيبة والنّميمة وكلّ ما من شأنه أن يفرّق المسلمين ويوجد بينهم الشّحناء والبغضاء؛ بل إنّ من أعظم ما يُفرح الشّيطان أن يفسد العلاقة بين الأزواج حينما يوسوس لأحد الأطراف ما يُحقّق له إنهاء العلاقة أو إفسادها . وساوس الشّيطان في العبادات كثيره ومن أكبرها وسوسة الشيطان في الصلاة والوضوء. .

(٦) وسوسة النفس: هي حديث النفس، وغالبًا ما تتعلّق بالتّربية والتّنشئة للإنسان في صغره، ومدى اقترابه من التّعاليم الدّينيّة أو بعده منها؛ فالنّفس قد تأمر الإنسان بالسّوء في لحظاتٍ معيّنة عندما يغيب الوازع الدّيني أو الرّقابة الذّاتيّة، وقد تكون هذه النّفس نفسًا محاسبة للإنسان مثل النّفس اللوّامة التي تلوم صاحبها على اقتراف الآثام والمعاصي في حقّ الله؛ فوسوسة النّفس تأتي من تركيبة النّفس البشريّة التي جبلت على حبّ الشّهوات والمتع وما يهذّبها هو الدّين والرّقابة الذّاتيّة، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} [الشمس : ٧ - ١٠] صدق الله العظيم .

(٧)مجموع الفتاوى : ١٧ / ٥٢٩ ، ٥٣٠.

وذكر بعض العلماء فرقاً آخر مهمّاً، وهو أن وسوسة الشيطان هي بتزيين المعصية حتى يقع فيها المسلم فإن عجز الشيطان انتقل إلى معصية أخرى ، فإن عجز فإلى ثالثة وهكذا ، فهو لا يهمه الوقوع في معصية معينة بقدر ما يهمه أن يعصي هذا المسلم ربَّه ، يستوي في هذا فعل المنهي عنه وترك الواجب ، فكلها معاصٍ، وأما وسوسة النفس فهي التي تحث صاحبها على معصية بعينها ، تحثه عليها وتكرر الطلب فيها.

قيل لسهل: "ما «الوسوسة»؟ فقال: كل شيء دون الله تعالى فهو وسوسة، وإن القلب إذا كان مع الله تعالى فهو قائل عن الله تعالى، وإذا كان مع غيره فهو قائل مع غيره. ثم قال: من أراد الدنيا لم ينج من الوسوسة، ومقام الوسوسة من العبد مقام النفس الأمارة بالسوء، وهو ذكر الطبع، فوسوسة العدو في الصدور، كما قال: {يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} [٥- ٦]، يعني في صدور الجن والإنس جميعاً، ووسوسة النفس في القلب. قال الله تعالى: {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦]، وإن معرفة النفس أخفى من معرفة العدو، ومعرفة العدو أجلى من معرفة الدنيا، وأسر العدو معرفته، فإذا عرفته فقد أسرته، وإن لم تعرف أنه العدو وأسرك فإنما مثل العبد والعدو والدنيا كمثل الصياد والطير والحبوب، فالصياد إبليس، والطير العبد، والحبوب الدنيا، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع، فإن كنت صائماً فأردت أن تفطر قال لك: ما يقول الناس، أنت قد عُرفت بالصوم تركت الصيام. فإن قلت: مالي وللناس. قال لك: صدقت أفطر، فإنهم سيضعون أمرك على الحسبة والإخلاص في فطرك، وإن كنت عرفت بالعزلة فخرجت. قال: ما يقول الناس، تركت العزلة. فإن قلت: مالي وللناس. قال: صدقت اخرج فإنهم سيضعون أمرك على الإخلاص والحسبة. وكذلك في كل شيء من أمرك، يردك إلى الناس حتى كأنه ليأمرك بالتواضع للشهرة عند الناس.

ولقد حكي أن رجلاً من العباد كان لا يغضب، فأتاه الشيطان وقال: إنك إن تغضب وتصبر كان أعظم لأجرك. ففطن به العابد فقال: وكيف يجيء الغضب؟ قال: آتيك بشيء فأقول: لمن هو؟ فقل: هو لي، فأقول: بل هو لي. فأتاه بشيء وقال العابد: هو لي، فقال الشيطان: لا بل هو لي. فقال العابد: إن كان لك فاذهب به، ولم يغضب، فرجع الشيطان خائباً حزيناً، أراد أن يشغل قلبه حتى يصيب منه حاجته، فعرفه واتقى غرورة.

ثم قال سهل: عليك بالإخلاص تسلم من الوسوسة، وإياك والتدبير فإنه داء النفس، وعليك بالاقتداء فإنه أساس العمل، وإياك والعجب فإن أدنى باب منه لم تستتمه حتى تدخل النار، وعليك بالقنوع والرضا، فإن العيش فيهما، وإياك والائتمار على غيرك، فإنه لينسيك نفسك، وعليك بالصمت، فأنت تعرف الأحوال فيه، وعليك بترك الشهوات تنقطع به عن الدنيا، وعليك بسهر الليل تموت نفسك من ميلة طبعك وتحيي قلبك، وإذا صليت فاجعلها وداعاً، وخف الله يؤمنك، وارجهُ يؤملك، واتكل عليه يَكفِك، وعليك بالخلوة تنقطع الآفات عنك. ولقد قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «لولا مخافة الوسواس، لرحلت إلى بلاد لا أنيس بها، وهل يفسد الناس إلا الناس»"[١]"[٢].

القرآن
{الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)} [الناس : ٥]

التفسير:

الذي يبثُّ الشر والشكوك في صدور الناس.

قال المراغي:" أي: هذا الوسواس الخناس الذي يوسوس فى صدور البشر"[٣].

---

(١) ذكره أبو طالب المكي في "قوت القلوب": ٢٣٩/٢، والغزالي في"إحياء علوم الدين": ٢٣٩/٢، وابن الجوزي في "التبصرة": ٢٨٩/٢.

(٢) تفسير التستري: ٢١١-٢١٢.

(٣) تفسير المراغي: ٢٧١/٣٠.

قال الطنطاوي:" صفة لهذا «الوسواس الخناس»، وزيادة توضيح له، أي: والذي من صفاته- أيضا- أنه يوسوس في صدور الناس بالسوء والفحشاء، حيث يلقى فيها خفية، ما يضلها عن طريق الهدى والرشاد"[١].

قال الطبري:" يعني بذلك: الشيطان الوسواس، الذي يوسوس في صدور الناس: جِنّهم وإنسهم"[٢].

قال البغوي: "يوسوس بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع"[٣].

قال القاسمي:" أي: بالإلقاء الخفي في النفس. إما بصورة خفي لا يسمعه إلا من ألقي إليه، وإما بغير صوت"[٤].

قال الشيخ محمد عبده: "وإنما جعل الوسوسة في الصدور على ما عهد في كلام العرب من أن الخواطر في القلب والقلب مما حواه الصدر عندهم، وكثيرا ما يقال: «إن الشك يحوك في صدري»، وما الشك إلا في نفسه وعقله، وأفاعيل العقل في المخ، وإن كان يظهر لها أثر في حركات الدم وضربان القلب وضيق الصدر وانبساطه"[٥].

قال الخازن:" كما أن للشيطان قوة في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر، فكذلك للملك قوة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير. ويسمى ما يلقي الشيطان: وسوسة، وما يلقي الملك لمة وإلهاما"[٦].

فتحصل أن في كيفية الوسوسة قولان، ذهب لكل منهما بعض أهل التحقيق الموثوق بديانتهم، واتفقوا على وجود الشيطان بلا تأويل؛ لأن ذلك مصادمة للكتاب والسنة والإجماع، وأما المخالفون فداء الضلال فيهم عياء.

عن يحيى بن أبي كثير، قال: "إن الوسواس له باب في صدر ابن آدم يوسوس منه"[٧].

عن ابن ثور، عن أبيه، قال: "ذُكر لي أن الشيطان، أو قال: الوسواس، ينفث في قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح، وإذا ذُكر الله خنس"[٨].

عن عكرمة، قال: "الوسواس محله على فؤاد الإنسان وفي عينه وفي ذكره، ومحله من المرأة في عينها وفي فرجها إذا أقبلت وفي دبرها إذا أدبرت هذه مجالسه"[٩].

عن عروة بن رويم اللخمي: "أن عيسى عليه السلام، دعا ربه تبارك وتعالى أن يريه موضع إبليس من بني آدم فتجلى له إبليس فإذا رأسه مثل رأس الحية، واضعا رأسه على ثمرة القلب، فإذا ذكر العبد ربه عز وجل خنس إبليس برأسه، وإذا ترك الذكر مناه وحدثه، يقول الله عز وجل: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} [الناس: ٥]"[١٠].

القرآن
{مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} [الناس : ٦]

التفسير:

من شياطين الجن والإنس.

وفي تفسير الآية، ثلاثة وجوه[١١]:

---

(١) التفسير الوسيط: ٥٤٩/١٥، ٥٥٠.
(٢) تفسير الطبري: ٧١١/٢٤.
(٣) تفسير البغوي: ٥٩٧/٨.
(٤) محاسن التأويل: ٥٧٩/٩.
(٥) نقلا عن: الأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية، محمد بن يوسف بن محمد بن سعد الحيدري: .
(٦) تفسير الخازن: ٢٩٨/٢.
(٧) الدر المنثور: ٦٩٤/٨، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.
(٨) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.
(٩) الدر المنثور: ٦٩٤/٨-٦٩٥، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٠) تفسير مجاهد: ٧٦٢.
(١١) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٤٧٣/٢٤، وزاد المسير: ٥١٠/٤.

أحدها: أخبر الله عز وجل أن الذي يوسوس من الجن، والإنس. قاله ابن عباس[١]، وسفيان[٢]، ومقاتل[٣].

قال القرطبي:" أخبر أن الموسوس قد يكون من الناس"[٤].

قال الطنطاوي:" قوله: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس}، زيادة بيان للذي يوسوس في صدور الناس، وأن الوسوسة بالسوء تأتى من نوعين من المخلوقات: تأتى من الشياطين المعبر عنهم بالجنة ... وتأتى من الناس، وقدم- سبحانه- الجنة على الناس، لأنهم هم أصل الوسواس، إذ أنهم مختفون عنا، ولا نراهم، كما قال- تعالى-: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ } [الأعراف : ٢٧].. فعليك- أيها الرسول الكريم- أن تستعيذ بالله- تعالى- من شر النوعين جميعا"[٥].

قال السمعاني:" المعنى: أنه أمره بالاستعاذة من شياطين الجن والإنس، والشيطان كل متمرد سواء كان جنيا أو إنسيا"[٦].

قال الفخر:" وكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فشيطان الإنس يكون كذلك، وذلك لأنه يرى نفسه كالناصح المشفق، فإن زجره السامع يخنس، ويترك الوسوسة، وإن قبل السامع كلامه بالغ فيه"[٧].

قال قتادة :" إن من الناس شياطين, ومن الجن شياطين, فتعوذ بالله من شياطين الإنس، والجن"[٨].

وقال الحسن: "هما شيطانان: أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية"[٩].

وروي عن أبي ذر:" أنه قال لرجل: هل تعوذت بالله من شياطين الإنس؟ فقال: أو من الإنس شياطين؟ قال: نعم، لقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام : ١١٢] ... الآية"[١٠].

الثاني : أن «الناس» -هنا-: يراد به «الجن»، والمعنى: يوسوس في صدور الناس جنّهم وناسهم، فسمى الجن –هاهنا- ناساً، كما سمّاهم رجالا في قوله عزّ وجلّ: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦]، وسمّاهم نفرا بقوله عزّ وجلّ: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} [الجن : ١]، وعليه يكون الوسواس موسوساً للجن، كما يوسوس للإنس. وهذا قول الكلبي[١١]، والفراء[١٢]. وضعّفه الزمخشري[١٣]، والفخر الرازي[١٤].

---

(١) عزاه إليه الواحدي في "التفسير البسيط": ٤٧١/٢٤ ولم أقف عليه.
(٢) عزاه إليه الواحدي في "التفسير البسيط": ٤٧١/٢٤ ولم أقف عليه.
(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٤٣/٤.
(٤) تفسير القرطبي: ٢٦٣/٢٠.
(٥) التفسير الوسيط: ٥٤٩/١٥-٥٥٠.
(٦) تفسير السمعاني:٣٠٨/٦.
(٧) مفاتيح الغيب: ٣٧٧/٣٢.
(٨) تفسير عبدالرزاق(٣٧٤٩):ص٤٧٨/٣، والدر المنثور: ٦٩٥/٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.
(٩)"بحر العلوم" ٣/ ٥٢٨ - ٥٢٩، والتفسير البسيط للواحدي: ٤٧٢/٢٤، و"تفسير القرطبي" ٢٠/ ٢٦٣، و"فتح القدير" ٥/ ٥٢٣، و"تفسير الحسن البصري" ٢/ ٤٤٧.
(١٠) ذكره مختصرا من قول أبي ذر الزمخشري في الكشاف: ٨٢٤/٤، وذكره القرطبي مطولا في "التفسير" ٢٦٣/٢٠.
(١١) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٤٧٢/٢٤، وتفسير البغوي: ٥٩٧/٨.
(١٢) انظر: معاني القرآن: ٣٠٢/٣.
(١٣) الكشاف: ٨٢٤/٤.
(١٤) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٧٨/٣٢.

قال الكلبي:" {مِنَ الجِنَّةِ والنّاس}، يعني: يدخل في الجنيّ كما يدخل في الإنسيّ، ويوسوس للجنيّ كما يوسوس للإنسيّ"[١].

قال الفراء:" فـ«الناس» -هاهنا- قد وقعت على «الجنة» وعلى «النَّاس»، كقولك: يوسوس فِي صدور النَّاس: جنتهم وناسهم، وقد قال بعض العرب وهو يحدّث: جاء قوم من الجن فوقفوا، فقيل: من أنتم؟ فقالوا: أناس من الجن"[٢].

قال الرازي:" وهذا القول ضعيف، لأن جعل الإنسان اسما للجنس الذي يندرج فيه الجن والإنس بعيد من اللغة لأن الجن سموا جنا لاجتنابهم والإنسان إنسانا لظهوره من الإيناس وهو الإبصار"[٣].

قال الزمخشري:" قيل: {من الجنة والناس} بيان للناس، وأن اسم {الناس} ينطلق على الجنة، واستدلوا بـ«نفر» و«رجال»: في سورة الجن. وما أحقه[٤]، لأن الجن سموا «جنا» لاجتنانهم، والناس «ناسا» لظهورهم، من الإيناس وهو الإبصار، كما سموا بشرا، ولو كان يقع الناس على القبيلين، وصح ذلك وثبت: لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع. وأجود منه أن يراد بالناس: الناسي، كقوله يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ كما قرئ مِنْ حَيْثُ أفاضَ النَّاسُ ثم يبين بالجنة والناس، لأنّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل"[٥].

روي عن أبي ذر، قال : "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ، فجلست ، فقال : "يا أبا ذر ، هل صليت ؟ ". قلت : لا. قال : "قم فصل". قال : فقمت فصليت ، ثم جلست فقال : "يا أبا ذر ، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن، قال : قلت : يا رسول الله ، وللإنس شياطين ؟ قال : "نعم". قال : قلت : يا رسول الله ، الصلاة ؟ قال : "خير موضوع ، من شاء أقل ، ومن شاء أكثر". قلت : يا رسول الله فما الصوم ؟ قال : "فرض يجزئ ، وعند الله مزيد". قلت : يا رسول الله ، فالصدقة ؟ قال : "أضعاف مضاعفة". قلت : يا رسول الله ، أيها أفضل ؟ قال : "جُهد من مُقل ، أو سر إلى فقير". قلت : يا رسول الله ، أي الأنبياء كان أول ؟ قال : "آدم". قلت : يا رسول الله ، ونبي كان ؟ قال : "نعم ، نبي مُكَلَّم". قلت : يا رسول الله ، كم المرسلون ؟ قال : "ثلثمائة وبضعة عشر ، جَمًّا غَفيرًا". وقال مرة : "خمسة عشر". قلت : يا رسول الله ، أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال : "آية الكرسي : { اللَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ}"[٦].

الثالث: أن الوسواس: الذي يوسوس في صدور الناس، هو من الجِنَّة، وهم من الجن. والمعنى: من شر الوسواس الذي هو من الجنّ. ثم عطف قوله عزّ وجلّ: {وَالنَّاس} على {الْوَسْوَاس} والمعنى: من شر الوسواس، ومن شر الناس، كأنه أمر أن يستعيذ من الجنّ والإنس ، وهذا قول الزّجّاج[٧].

قال النحاس:" وسألت علي بن سلمان عن قوله عزّ وجلّ :{وَالنَّاس}، فكيف يعطفون على {الْجِنَّةِ} وهم لا يوسوسون؟ فقال: هم معطوفون على {الوسواس}، والتقدير: «قل أعوذ بربّ الناس من شرّ الوسواس والناس». والذي قال حسن، لأن التقديم والتأخير في «الواو» جائز حسن كثير كما قال[٨]:

جمعت وفحشا غيبة ونميمة ... ثلاث خصال لست عنها بمرعوي

---

(١)تفسير البغوي ٨/ ٥٩٧.

(٢) معاني القرآن: ٣٠٢/٣.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣٧٨/٣٢.

(٤)في الصحاح: حققت الأمر: واحتققته: إذا تحققته وصرت منه على يقين.

(٥) الكشاف: ٨٢٤/٤.

(٦)المسند (١٧٨/٥) وسنن النسائي (٢٧٥/٨)، رواه ابن حيان في صحيحه برقم (٩٤) "موارد" ، (٢٨٧/١) "الإحسان" من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني ، عن أبيه عن جده ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، وقد قال ابن عدي عن هذا الحديث : "هذا الحديث منكر من هذا الطريق".

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٨١/٥.

(٨)الشاهد ليزيد بن الحكم بن العاص في أمالي القالي: ١/ ٦٧، والخزانة: ١/ ٤٩٥، والمقاصد النحوية: ٣/ ٨٦.

وقال حسّان [١]:

وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم غرّ ما ترام ومفخر
وهم جبل الإسلام والنّاس حولهم ... رضام إلى طود يروق ويقهر
بَهاليل منُهم جعفرٌ وابنُ أمةٍ ... عَليٌّ ومنهُم أحمدُ المتَخيّرُ

فبدأ اللفظ بـ«جعفر» ثم جاء بعده بـ«عليّ»، ثم جاء بعده بـ«النبي» -صلّى الله عليه وسلّم-، وهو المقدم على الحقيقة"[٢].

وأما «وسواس الناس»، ففيه وجهان :

أحدهما : أنها وسوسة الإنسان من نفسه، قاله ابن جريج[٣].

قال ابن جريج: "هما وسواسان، فوسواس من الجنة، وهو الجن، ووسواس نفس الإنسان، فهو قوله: {والناس}"[٤].

عن ابن عباس قال : "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به. قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة[٥]»"[١].

---

(١) ديوانه: ٢٢٤، وسيرة ابن هشام: ٢ / ٣٨٥، وأساس البلاغة «بهل».
قال ابن إسحاق: وكان مما بكي به أصحاب مؤتة قول حسان:
تأوبني ليل بيثرب أعسر ... وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة ... سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا ... شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير مؤسد ... بمعترك فيه القنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد ... وفاء وأمرا حازما حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا يزلن ومفخر
هموا جبل الإسلام والناس حولهم ... رضام إلى طود يروق ويبهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهمو ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق ... عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر
[ديوانه: ٢٢٣-٢٢٤، وسيرة ابن هشام: ٢ / ٣٨٥ -٣٨٤، والبداية والنهاية: ٤/٢٦٠-٢٦١]

(٢) إعراب القرآن: ٥/٢٠٠.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٨/٦٩٥، والنكت والعيون: ٦/٣٧٩.

(٤) الدر المنثور: ٨/٦٩٥، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٥) ومعنى الحديث: أن": حصول هذا الوسواس، مع هذه الكراهة العظيمة له، ودفعه عن القلب، هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو، فدافعه حتى غلبه، فهذا أعظم الجهاد، والصريح الخالص، كاللبن الصريح. وإنما صار صريحاً، لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية، ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحاً.

ولابد لعامة الخلق من هذه الوساوس، فمن الناس من يجيبها فصير كافراً أو منافقاً، ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يحس بها إلا إذا طلب الدين، فإما أن يصير مؤمناً وإما أن يصير منافقاً؛ ولهذا يعرض للناس من الوساوس في الصلاة ما لا يعرض لهم إذا لم يصلوا؛ لأن الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإنابة إلى ربه والتقرب إليه والاتصال به؛ فلهذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم، ويعرض لخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة؛ ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم؛ لأنه لم يسلك شرع الله ومنهاجه، بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه، وهذا مطلوب الشيطان، بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة؛ فإنه عدوهم يطلب صدهم عن الله، قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر: ٦] ؛ ولهذا أمر قارئ القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن قراءة القرآن

الثاني : أنه إغواء من يغويه من الناس. وهو معنى قول قتادة[٢].

قال قتادة:" إن من الناس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن"[٣].

قال ابن عطية:" ويظهر –أيضا- أن يكون قوله: {وَالنَّاس}، يراد به من يوسوس بخدعه من البشر، ويدعو إلى الباطل، فهو في ذلك كالشيطان"[٤].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يعوذ حسنا وحسينا، يقول: " أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة " وكان يقول: " كان إبراهيم أبي يعوذ بهما إسماعيل، وإسحاق"[٥].

على الوجه المأمور به تورث القلب الإيمان العظيم، وتزيده يقيناً وطمأنينة وشفاء، وقال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢] ، وقال تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٨] ، وقال تعالى: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢] ، وقال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: ١٢٤] .

وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه، فالشيطان يريد بوساوسه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن، فأمر الله القارئ، إذا قرأ القرآن، أن يستعيذ منه، قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: ٩٨: ١٠٠] ، فإن المستعيذ بالله مستجير به، لاجئ إليه، مستغيث به من الشيطان، فالعائذ بغيره مستجير به؛ فإذا عاذ العبد بربه كان مستجيراً به متوكلاً عليه فيعيذه الله من الشيطان ويجيره منه، ولذلك قال الله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: ٣٤: ٣٦].

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »[أخرجه البخاري (٦٠٤٨)، ومسلم (٢٦١٠)]. فأمر سبحانه بالاستعاذة عند طلب العبد الخير؛ لئلاً يعوقه الشيطان عنه، وعندما يعرض عليه من الشر ليدفعه عنه عند إرادة العبد للحسنات، وعند ما يأمره الشيطان بالسيئات؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:«لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته» [أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٥)، وأبو داود (٤٧٢١)، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " (٦٦٢)]، فأمر بالاستعاذة عندما يطلب الشيطان أن يوقعه في شر أو يمنعه من خير، كما يفعل العدو مع عدوه.

وكلما كان الإنسان أعظم رغبة في العلم والعبادة، وأقدر على ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى، ورغبته وإرادته في ذلك أتم، كان ما يحصل له إن سلمه الله من الشيطان أعظم، وكان ما يفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم؛ ولهذا قال الشعبي: كل أمة علماؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم.

وأهل السنة في الإسلام، كأهل الإسلام في الملل، وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم؛ فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى، وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم، وكذلك أهل السنة، أئمتهم خيار الأمة، وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب، ولهذا أمر النبي صلىالله عليه وسلم بقتل الخوارج، ونهى عن قتال الولاة الظلمة؛ وأولئك لهمنهمة في العلم والعبادة، فصار يعرض لهم من الوساوس التي تضلهم وهم يظنونها هدي، فيطيعونها ما لا يعرض لغيرهم، ومن سلم من ذلك منهم كان من أئمة المتقين مصابيح الهدى، وينابيع العلم؛ كما قال ابن مسعود لأصحابه: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الحكمة، سُرُج الليل، جُدَد القلوب، أحْلاس البيوت، خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون على أهل الأرض. [الإيمان لابن تيمية: ٢٢١-٢٢٤]

(١)المسند (٢٣٥/١) وسنن أبي داود برقم (٥١١٢) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٥٠٣).

(٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٧٤٩):ص٤٧٨/٣، والدر المنثور: ٦٩٥/٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٣) الدر المنثور: ٦٩٥/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

(٤) المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥.

(٥) أخرجه أحمد في المسند(٢١١٢):ص٢٠/٤، إسناده صحيح على شرط البخاري، المنهال -وهو ابن عمرو الأسدي- من رجال البخاري، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. يعلى: هو ابن عبيد الطنافسي.

وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٠٦) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٣٤) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٢٩٩/٤ و٤٥/٥ من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة ٤٨/٨-٤٩ و٣١٥/١٠، والترمذي (٢٠٦٠) ، والبغوي (١٤١٧) من طريق يعلى بن عبيد، به.

وأخرجه ابن ماجه (٣٥٢٥) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٠٦) ، والبخاري في "خلق أفعال العباد" (٤٥٥) ، والطحاوي ٧٢/٤، والحاكم ١٦٧/٣ من طرق عن سفيان الثوري، به.

فوائد السورة الكريمة:

١- وجوب الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الإنس والجن، والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجانبه من كل ذي شر ومعنى :«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم(١).

وهذه المعاني الظاهرة يستلزم لتحقيقها أن يقوم بالقلب معناها أبلغ قيام، فيكف القلب منطرحاً بين يدي ربه، مفتقراً إليه، متذللاً لـه، هارباً إليه وحده، منقطعاً إليه، قد قامت به كل معاني المحبة والخشية والإجلال والمهابة... فهنا تكون استعاذة اللسان متواطئة مع استعاذة القلب مكملة لها، فأنى لشيطان مهما تمرد أن يصل لعبد تحققت فيه هذه المعاني.

٢- تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته عز وجل، فهو رب جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، لقوله: {برَبِّ النَّاسِ}؛ فهو خالقهم ومالكهم.

٣- إثبات الملك العام لله عز وجل؛ فهو ملك الناس ومدبرهم، له الأمر والنهي بقسميهما الشرعي والكوني؛ لقوله {مَلِكِ النَّاسِ}.

٤- إثبات الألوهية العامة لله عز وجل؛ فهو إله الناس ومعبودهم الحق، ولو عبد بعضهم غيره، فليس لهم في الحقيقة معبود سواه؛ لقوله {إِلَهِ النَّاسِ}، قال تعالى: {أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [يوسف : ٣٩-٤٠].

وقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

- تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة:٢١] ، وقوله: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء:٣٦]، وقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء:٢٣]، ونحوها من الآيات...
- وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦].
- وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: { {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، وقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥].
- وتارة ببيان أنه المقصود من إنزال الكتب الإلهية، كما في قوله تعالى: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} [النحل: ٢].
- وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمة ونعم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }[الأنعام:٨٢]. ٦- وتارة بالتحذير من ضده، وبيان

وأخرجه ابن أبي شيبة ٤٩/٨ و٣١٥/١٠، والبخاري في "صحيحه" (٣٣٧١) ، وفي "خلق أفعال العباد" (٤٥٤) و (٤٥٦) ، وأبو داود (٤٧٣٧) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٠٧) ، وابن حبان (١٠١٣) من طرق عن منصور، به.

وأخرجه ابن حبان (١٠١٢) ، والطبراني (١٢٢٧١) من طريق زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال، به.

هامة، بتشديد الميم: كل ذات سم يقتل، وجمعه هوام، ولامة: بتشديد الميم، أي: ذات لمم، واللمم: كل داء يلم من خبل أو جنون أو نحوهما، أي: من كل عين تصيب السوء. قاله السندي.

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١٧٥/١.

خطورة مناقضته، وذكر ما أعد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة:٧٢]، وقوله تعالى: { {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء:٣٩]. إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

- ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «أن لا يعذبهم»[١].
- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا نحو اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات.... الحديث »[٢].
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار»[٣].
- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار»[٤].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل:

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٢٥]. وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٦٥]، وقال تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف:٧٣]، وقال تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف:٨٥].

٥- ومن فوائد السورة الكريمة: مشروعية الاستعاذة برب الناس وملكهم وإلههم من شر الشيطان ووساوسه؛ لقوله: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، إلى قوله: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ}.

٦- إن وساوس الشيطان أصل كل شرّ، ومبدأ كل ضلال؛ فالوسواس بداية الكفر والفسوق والعصيان[٥].

---

(١)صحيح البخاري (٧٣٧٣).
(٢)رواه البخاري صحيح البخاري (٧٣٧٢).
(٣)صحيح البخاري (٤٤٩٧).
(٤) رواه مسلم صحيح مسلم (٩٣).
(٥) الفتاوى لابن تيمية ٥٠٨/١٧-٥١٤.

قال ابن القيم: «قد جعل الله للشيطان دخولاً في جوف العبد، ونفوذاً إلى قلبه وصدره، فهو يجري منه مجرى الدم، وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات.. - إلى أن قال - فأصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة، فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرّها أهم من كل مستعاذ منه، ولا يمكن حصر أجناس شرّه فضلاً عن آحادها، إذ كل شرّ في العالم فهو السبب فيه»[1].

٧- أن من طبيعة الشيطان أنه يوسوس عند الغفلة عن ذكر الله ويخنس ويختفي ويتراجع ويتأخر ويتصاغر عند ذكر الله عز وجل؛ لأن الله وصفه بقوله {الْخَنَّاسِ}.

٨- أن الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس على نوعين: شياطين جن وشياطين إنس؛ لقوله: {الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} كما قال عز وجل: {شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام : ١١٢].

فائدة:

ذكر ابن القيم رحمه الله- قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره، وذلك عشرة أسباب:[2].

الحرز الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان:

قال تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت : ٣٦]، وفي موضع آخر: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف : ٢٠٠]، وقد تقدم: أن «السمع» المراد به –هاهنا-: سمع الإجابة لا مجرد السمع العام.

وتأمل سر القرآن كيف أكد الوصف بالسميع العليم بذكر صيغة «هو» الدال على تأكيد النسبة واختصاصها، وعرف الوصف بالألف واللام في سورة حم لاقتضاء المقام لهذا التأكيد، وتركه في سورة الأعراف، لاستغناء المقام عنه. فإن الأمر بالاستعاذة في سورة حم وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس. وهو مقابلة إساءة المسيء بالإحسان إليه. وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون، ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم. كما قال الله تعالى.

والشيطان لا يدع العبد يفعل هذا. بل يريه أن هذا ذلّ وعجز، ويسلّط عليه عدوه، فيدعوه إلى الانتقام، ويزينه له. فإن عجز عنه دعاه إلى الإعراض عنه، وأن لا يسيء إليه ولا يحسن، فلا يؤثر الإحسان إلى المسيء إلا من خالفه وآثر الله وما عنده على حظه العاجل. فكان المقام مقام تأكيد وتحريض. فقال فيه: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}. {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

وأما في «سورة الأعراف»: فإنه أمره أن يعرض عن الجاهلين. وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان، بل بالإعراض. وهذا سهل على النفوس، غير مستعصى عليها. فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان، فقال: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت : ٣٦].

وفي صحيح البخاري عن عدى بن ثابت عن سليمان بن صرد قال: «كنت جالسا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم ورجلان يستبّان. فأحدهما احمرّ وجهه، وانتفخت أوداجه. فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد»[3].

وقد واستهل ابن القيم كتابه «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» بقوله: «لا نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله، والتعرّض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه في

---

(١) بدائع الفوائد: ٢٨٨/٢، ٢٩٠-٢٩٢. [باختصار].

(٢) انظر :التفسير القيم: ٦٨٥-٦٩٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب – باب الحذر من الغضب – (٦١٥٥)، ومسلم في البر – باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (٢٦١٠).

حركاته وسكناته، والتحقق بذلّ العبودية الذي هو أولى ما تلبّس به الإنسان، ليحصل الدخول في ضمان {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الإسراء: ٦٥]»[١].

و«حكي عن بعض السلف أن قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد. قال: أجاهده. قال: فإن عاد. قال: أجاهده. قال: هذا يطول.. أرأيتَ إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي. قال: هذا يطول عليك. ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك»[٢].

وما أجمل ما سطّره ابن تيمية في هذا الشأن، إذ قال: «الشيطان وسواس خنّاس، إذا ذكر العبدُ ربه خنس، فإذا غفل عن ذكره وسوس، فلهذا كان ترك ذكر الله سبباً ومبدأً لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب»[٣].

ولئن كان معنى الاستعاذة بالله هو الالتجاء إليه، والاعتصام به سبحانه، لكن حقيقة ذلك تقصر عنه الكلمات، فليس الخبر كالمعاينة، وليس حال من عرف علم اليقين كحال من ذاق حق اليقين، فلا يستوي شخص ذاق طعم الاعتصام بالله ووجد حلاوة الافتقار إلى ربّه، كمن لم يتجاوز مجرد المعرفة والعلم.

كما قال ابن القيم: «معنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات، فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام والانطراح بين يدي الربّ، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه؛ أمرٌ لا تحيط به العبارة»[٤].

وإن الوساوس في العلوم الضرورية لا تزول بالبرهان، وإنما تزول بالاستعاذة بالله وحده، فإن الله هو الذي يعيذ العبد، ويجيره من الشبهات المضلة، والشهوات المغوية[٥].

الحرز الثاني: قراءة هاتين السورتين[الفلق والناس]:

فإن لهاتين السورتين تأثيرا عجيبا في الاستعاذة بالله من شره ودفعه والتحصن منه. ولهذا قال النبي صلّى الله عليه وسلّم «ما تعوذ المتعوذون بمثلهما»[٦]، فهما أفضل ما تعوّذ به المتعوّذون - كما ثبت في الحديث الصحيح -، فإن فيهما مضادة لما جاء به الشياطين من كل وجه، وهما من أعظم أعلام النبوة، وبراهين صدق رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-.

وقد تقدم أنه كان يتعوذ بهما كل ليلة عند النوم، وأمر عقبة أن يقرأ بهما دبر كل صلاة.

وروي عن - معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه، قال: "خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا، قال: فأدركته، فقال: قل فلم أقل شيئا، ثم قال: قل، فلم أقل شيئا، قال: قل، فقلت، ما أقول؟ قال: قل: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، و«المُعَوِّذَتَيْن»، حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء"[٧].

---

(١) إغاثة اللهفان: ١/٧-٨.
(٢) تلبيس إبليس، لابن الجوزي: ص٤٩ .
(٣) الفتاوى: ٤/٣٤.
(٤) بدائع الفوائد: ٢/٢٢٣.
(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٣/٣١١-٣١٨.
(٦) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٤٦٣)، من حديث عقبة بن عامر ﷺ. وصححه الألباني.
(٧)إسناده حسن: أخرجه النسائي في "المجتبى" (٨/ ٢٥٠)، و"السنن الكبرى" (٧٨٦٠)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٨١) من طريق عمرو بن علي، قال: حدثنا أسيد بن أبي أسيد عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه مرفوعاً به.
وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" (٥/ ٢١)، وابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٤/ ٣٥١)، وعبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" (٥/ ٣١٢) ومن طريقه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٤٠٩٤)، والمزي في "تهذيب الكمال" (١٤/ ٤٥١، ٤٥٢)، وابن منده في "المعرفة" ومن طريقه ابن حجر في "نتائج الأفكار" (٢/ ٣٢٨) بطرق عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد به.
وأخرجه عبد بن حميد (٤٩٣) وعنه الترمذي (٣٥٧٥)، وابن حجر في "نتائج الأفكار" (٢/ ٣٢٧، ٥/ ١٣٨)، وابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٤/ ٣٥١)، وأبو داود (٥٠٨٢) ومن طريقه البيهقي في "الدعوات الكبير" (٤٥)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٣/ ٢٢٣)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢٥٧٢) - والطبراني

الحرز الثالث: قراءة «آية الكرسي»:

ففي الصحيح من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: «وكّلني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحفظ زكاة رمضان، فأتى آت، فجعل يحثو من الطعام. فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم- فذكر الحديث، إلى أن قال- فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: صدقك وهو كذوب، ذاك الشيطان»[1].

وهذه القصة قد احتوت العديد من الفوائد والعبر، وإليك عشر فوائد أخرى من هذه القصة:

الفائدة الأولى: أن الشياطين قد يتكلمون بكلام الإنس، كلاماً باللغة العربية تسمعه فصيحاً، وقد تسمعه بلغات أخرى فقد يتكلم باللغة الإنجليزية، وقد يتكلم باللغة الفارسية. فالشيطان يمكن أن يتكلم باللغات الحية المعروفة، ومنهم كذلك أهل أهواء وبدع وأهل سنة ومنهم مسلمون وملحدون وكافرون، كما قال تعالى: {وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا} [الجن : ١١].

الفائدة الثانية: أن الجن أو الشياطين يسرقون ويخدعون، ووجه السرقة هنا أنه جعل يحثو من الطعام ويجمع الطعام بكفيه ويأخذ منه، وفي الرواية الأخرى: انه كان يأخذ بكفه فينقص الطعام، وأنهم يخدعون لما قال لأبي هريرة: لا أعود، ثم عاد، وقال له: لا أعود، ثم عاد، فهذا من الكذب

– ومن طريقه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٤٠٩٥)، وابن حجر في "نتائج الأفكار" (٢/ ٣٨٢)، والخطيب في "تلخيص المتشابه" (١/ ١٩٨) بطرق عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقال ابن حجر: هذا حديث حسن، ومدار هذا الحديث على أسيد وليس من رجال الصحيح، وقال الدارقطني: يعتد به.

قلت: ولكنه لم يتفرد به، بل تابعه زيد بن أسلم عن معاذ به.

أخرجه النسائي في "المجتبى" (٨/ ٢٥٠، ٢٥١)، و"الكبرى" (٧٨٥٨)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٥/ ٢١)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (٢/ ١١٥)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٤٠٩٦)، وابن منده في "المعرفة" ومن طريقه ابن حجر في "نتائج الأفكار" (٢/ ٣٢٩)، والبغوي في "شرح السنة" (١٦٧٧)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (٥٢٤)، وأبو القاسم البغوي في "معجمه" (١٦٧٧)، والطبراني في "الأوسط" (٢٧٩٦)، والدارقطني في "الأفراد" [أطراف الغرائب والأفراد (٤/ ١٩٢)] من طريق روح بن القاسم وحفص بن ميسرة ومحمد بن جعفر وعبد الحميد بن عبد الرحمن، أربعتهم عن زيد به.

قلت: إسناده صحيح؛ لكن وقع فيه اختلاف:

فقد أخرجه النسائي في "المجتبى" (٨/ ٢٥١)، و"الكبرى" (٧٨٤٦)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٥/ ٢١)، والطبراني (١٧/ رقم: ٩٥٢)، والمزي في "تهذيب الكمال" (١٥/ ٦٢، ٦٣) من طريق عبد الله بن مسلمة القعنبي، وأبي مصعب الزهري، كلاهما عن الدراوردي عن عبد الله بن سليمان الأسلمي عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عقبة بن عامر.

قلت: إسناده حسن؛ لأجل الدراوردي، فإنه صدوق من رجال مسلم.

قال الحافظ ابن حجر في "نتائج الأفكار" (٢/ ٣٢٩)، و"النكت الظراف" (٤/ ٣١٧): والحديث معروف بعقبة بن عامر.

وخالف الدراوردي خالد بن مخلد القطواني:

فرواه عبد الله بن سليمان عن معاذ بن عبد الله عن عقبة بن عامر الجهني به.

فأسقط عبد الله بن خبيب.

قلت: وخالد صدوق له أفراد، وخالف من هو أوثق منه، فروايته شاذة.

قال الحافظ في "نتائج الأفكار" (٢/ ٣٣٠): وبسبب هذا الاختلاف توقفت في تصحيحه.

قلت :وأحسن منه قوله في "الإصابة" (٢/ ٣٠٣): ولا يبعد أن يكون محفوظاً من وجهين؛ فإنه جاء – أيضاً – من حديث ابن عباس الجهني، ومن حديث جابر بن عبد الله.

تنبيه :وقد روى هذا الحديث جماعة عن عقبة بن عامر في فضل المعوذتين بدون قيد الصباح والمساء أخرجهما النسائي، وغيره، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٧٥)، وأبو داود في الصلاة (١٣٧٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٢٦٨)، من حديث أبي مسعود البدري ﷺ.

والخداع، وهذا يدلنا أن ما يخبر به الساحر عن طريق الجن من أمور الغيب الأصل فيه الكذب، فالجن قد يلتقط كلمة حق ولكنه يخلطها بألف كذبة.
الفائدة الثالثة: إطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على المغيبات، لأن أبا هريرة لما جاء للنبي صلى الله عليه وسلم لم يقص عليه القصة وإنما النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قال له: «ما فعل أسيرك البارحة؟»، فما الذي أدرى النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان هناك أسير؟ فالنبي صلى الله عليه وسلم يطلعه الله بعض الغيب. الفائدة الرابعة: ان زكاة الفطر تخرج طعاماً، وجواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر لتفريقها بعد ذلك، وانه يجزئ إخراجها قبل العيد، كما قال العلماء: يجوز إخراج زكاة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين.
الفائدة الخامسة: يقين الصحابة بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وتصديقهم له في كل ما يقول، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولذلك قال أبو هريرة: «فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيعود»، لمجرد أن الخبر من النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيعود، أيقن أبو هريرة أنه سيعود وهكذا ينبغي على كل مسلم أن يكون مصدقاً النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وأحاديثه لا كما يفعل ويقول بعض العقلانيين إن الحديث الذي لا يوافق عقلي أرده، بل الواجب على المسلم أن يتهم عقله وفهمه لا أن يتهم أحاديث الرسول الكريم بفهمه القاصر.
الفائدة السادسة: استحباب قراءة آية الكرسي قبل النوم، لأن الشيطان قال إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة : ٢٥٥]، لكن استحباب قراءة آية الكرسي لم نأخذه من الشيطان بل من النبي صلى الله علية وسلم لأنه أقر ذلك، فالشيطان لا سمع له ولا طاعة، ولكنه لم يصير تشريعاً بكلام الشيطان ولكنه صار تشريع بقول النبي صلى الله علية وسلم: «صدقك وهو كذوب».
الفائدة السابعة: أن آية الكرسي تمنع شياطين الإنس والجن في ظاهر النص من أذية المسلم سواء أكان في الأمور الدينية والدنيوية، فتمنع الشيطان أن يقترب ممن قرأ هذه الآية، لأنه يقول: «ولا يقربنك شيطان»، فكلمة: «شيطان»، هذه نكرة تشمل الجن والإنس، وقوله: «ولا يقربنك»: نفي تشمل الدينية والدنيوية، والنكرة في سياق النفي تقيد العموم.

وذكر ابن القيم رحمه الله في فوائد الذكر: انه من كثرة ذكر المؤمن لله عز وجل ربما اقترب منه الشيطان ليمسه بسوء فيصرع الشيطان، فتتجمع عليه الشياطين فيقولون: ما به؟ فيقولون: صرعه الإنسي، حاول أن يمسه بشيء فانقلب الشيطان مصعوقاً وهذا فيه فضل الذكر، فالأذكار هي الحماية القوية للمؤمن، فذكر الله تعالى هو الذي يحمي المؤمن من الشيطان وذكر الله على رأسه القرآن وأفضل آية في القرآن هي آية الكرسي.
الفائدة الثامنة: إثبات الكرامات للأولياء فكرامة الله تعالى لأبي هريرة ان استطاع أن يلقي القبض على الشيطان، وليس لآحاد الناس أن يقبض على الشيطان، ولكن أبا هريرة استطاع أن يلقي القبض عليه فأمسكه ولم يستطع الشيطان أن يفر منه، ولذلك قال: «فرحمته فخليت سبيله»، وإلا لو أنه لم يخل سبيله ما استطاع الشيطان أن يهرب منه، ففيه أن المؤمن القوي الإيمان يستطيع أن يمسك الشيطان.
الفائدة التاسعة: أن الأمر المهم والشأن الخطير في الأمور الدنيوية والدينية يرفع إلى الحكام والعلماء، ولذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: «لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم».
الفائدة العاشرة: حرص أبي هريرة على تعلم الخير والعلم، فهو في المرة الثالثة أطلق الشيطان، لأن الراوي يقول: «وكانوا أحرص شيء على الخير»، يعني: الصحابة حريصين، فأبو هريرة أطلق سراحه مقابل الفائدة والعلم، وهذا يبين حرص أبي هريرة على العلم، فكان حرصه عليه بالغاً، فأطلق الشيطان مع أنه قد ثبتت عليه السرقة للمرة الثالثة، وأنه كذاب جاء يسرق، ولكن لما صارت المسألة فيها علم وفائدة أطلقه من أجل الفائدة.

الحرز الرابع: قراءة «سورة البقرة»:

فقد ثبت الترغيب في قراءة سورة البقرة وأنها سبب لإبعاد الشيطان عن البيوت، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا. وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان»[١].

والذي يظهر من هذا الحديث وغيره من الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع، أن المقصود قراءة جميع هذه السورة وليس جزءا منها، ففي تحفة الأحوذي للمباركفوري قوله :"وخصّ «سورة البقرة» بذلك، لطولها وكثرة أسماء الله تعالى والأحكام فيها، وقد قيل فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر؛ كذا في المرقاة"[٢]

وأيضاً فلو كان المقصود قراءة بعضها لتم تخصيصه بالذكر كما تم الترغيب في قراءة آية الكرسي أو الآيتين الأخيرتين منها عند النوم.

كما ننبه بأنه ليس لقراءة سورة البقرة حد معين، وإنما يدل الحديث على شرعية عمارة البيوت بالصلاة وقراءة القرآن، كما يدل على أن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، وليس في ذلك تحديد ، فيدل على استحباب الإكثار من قراءتها دائما لطرد الشيطان، ولما في ذلك من الفضل العظيم؛ لأن كل حرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها كما جاء في الحديث الآخر.

الحرز الخامس: خاتمة سورة البقرة:

فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي مسعود الأنصاري قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[٣].

وفي الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»[٤].

الحرز السادس: أول «سورة حم المؤمن» إلى قوله: {إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} مع {آية الكرسي}.

ففي الترمذي من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «من قرأ حم المؤمن إلى إِلَيْهِ الْمَصِيرُ وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يسمي. ومن قرأهما حين يسمي حفظ بهما حتي يصبح»[٥].

الحرز السابع: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»...مائة مرة:

ففي الصحيحين من حديث سمى مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «من قال لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد. وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة. كانت له عدل عشر رقاب. وكتبت له مائة حسنة. ومحيت عنه مائة سيئة. وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي. ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك»[٦].

فهذا حرز عظيم النفع جليل الفائدة يسير سهل على من يسره الله عليه.

الحرز الثامن: كثرة ذكر الله عز وجل:

---

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٧٨٠)، وأبو داود في المناسك (٢٠٤٢)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٨٧٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) تحفة الأحوذي: ٥٥١/٣.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٨٨١).

(٤)أخرجه الترمذي بلفظ: قبل أن يخلق الخلق. برقم (٢٨٨٢).

(٥) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن (٢٨٧٩)، وضعفه الألباني. قال ابن الجوزي:" وعبد الرحمن المليكي، وإن كان قد تكلّم فيه من قبل حفظه. فالحديث له شواهد في قراءة آية الكرسي وهو محتمل على غرابته".

(٦) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٩٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩١)، والترمذي في الدعوات (٣٤٦٨)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٩٨).

وهو من أنفع الحروز من الشيطان، ففي الترمذي من حديث الحارث الأشعري أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات: أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه عاد أن يبطئ بها. فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها. فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم. فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب. فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ، وقعدوا على الشرف. فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق فقال: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدّ إليّ. فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده. فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة. فإذا صليتم فلا تلتفتوا. فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت. وأمركم بالصيام. فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها. وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة. فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه. فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم. وأمركم أن تذكروا الله. فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا، حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم. كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة. والجهاد. والهجرة. والجماعة. فإن من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يراجع. ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم. فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام. فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»[1].

فقد أخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم في هذا الحديث أن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله. وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس الذي إذا ذكر العبد الله انخنس، وتجمع وانقبض. وإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب وألقى إليه الوساوس التي هي مبادئ الشر كله. فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل.

الحرز التاسع: الوضوء والصلاة:

وهذا من أعظم ما يتحرز به منه، ولا سيما عند توارد قوة الغضب والشهوة. فإنها نار تغلي في قلب ابن آدم. كما في الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فمن أحسّ بشيء من ذلك فليلصق بالأرض» . وفي أثر آخر «إن الشيطان خلق من نار، وإنما تطفأ النار بالماء»[2].

فما أطفأ العبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة. فإنها نار والوضوء يطفئها، والصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال فيها على الله أذهبت أثر ذلك كله. وهذا أمر تجربته تغنى عن إقامة الدليل عليه.

الحرز العاشر: إمساك فضول النظر والكلام والطعام، ومخالطة الناس:

فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم، وينال منه غرضه: من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب، والاشتغال به، والفكرة في الظفر به.

---

(١) سنن الترمذي(٢٨٦٣):ي١٤٨/٥. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. وقال البخاري: الحارث الأشعري له صحبة. وله غير هذا الحديث.
والحديث صححه الألباني.

(٢) سنن الترمذي(٢١٩١):ص٤٨٣/٤.

فمبدأ الفتنة من **فضول النظر**، روي عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه قال: «النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله أثابه إيمانا يجد حلاوته فى قلبه»[(١)].

فالحوادث العظام إنما هي كلها من فضول النظر. فكم نظرة أعقبت حسرات لا حسرة؟ كما قال الشاعر[(٢)]:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةٌ بَلَغَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... كَمَبْلَغِ السَّهْمِ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتَرِ
وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا طَرْفٍ يُقَلِّبُهُ ... فِي أَعْيُنِ الْعِينِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

وقال الآخر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كلّه أنت قادر ... عليه، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال المتنبي:

وأنا الذي جلب المنية طرفه ... فمن المطالب، والقتيل القاتل؟

وقال ابن القيم[(٣)]:

يا راميا بسهام اللحظ مجتهدا ... أنت القتيل بما ترمي، فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... توقه، إنه يرتد بالعطف
ترجو الشفاء بأحداق بها مرض ... فهل سمعت ببرء جاء من عطب؟
ومفنيا نفسه في إثر أقبحهم ... وصفا للطخ جمال فيه مستلب
وواهبا عمره في مثل ذا سفها ... لو كنت تعرف قدر العمر لم تهب
وبائعا طيب عيش ماله خطر ... بطيف عيش من الآلام منتهب
غبنت والله غبنا فاحشا فلو اس ... ترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب
ووارد صفو عيش كله كدر ... أمامك الورد صفوا ليس بالكذب
وحاطب الليل في الظلماء منتصبا ... لكل داهية تدنى من العطب
شاب الصبا والتصابي بعد لم يشب ... وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وشمس عمرك قد حان الغروب لها ... والضي في الأفق الشرقي لم يغب
وفاز بالوصل من قد فاز وانقشعت ... عن أفقه ظلمات الليل والسحب
كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ... ورسل ربك قد وافتك في الطلب
ما في الديار وقد سارت ركائب من ... تهواه للصب من سكنى ولا أرب
فأفرش الخد ذياك التراب، وقل ... ما قاله صاحب الأشواق في الحقب
ما ربع مية محفوفا يطوف به ... غيلان أشهى له من ربعك الخرب
ولا الخدود وإن أدمين من ضرج ... أشهى إلى ناظري من خدك الترب
منازلا كان يهواها ويألفها ... أيام كان منال الوصل عن كثب
فكلما جليت تلك الربوع له ... يهوى إليها هوى الماء في صبب
أحيا له الشوق تذكار العهود بها ... فلو دعا القلب للسلوان لم يجب
هذا وكم منزل في الأرض يألفه ... وما له في سواها الدهر من رغب
ما في الخيام أخو وجد يريحك إن ... بثثته بعض شأن الحب، فاغترب
وأسر في غمرات الليل مهتديا ... بنفحة الطيب لا بالنار والحطب
وعاد كل أخي جبن ومعجزة ... وحارب النفس لا تلقيك في الحرب

---

(١)أخرجه الحاكم (٣٤٩/٤، رقم ٧٨٧٥) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضا: القضاعى (١٩٥/١، رقم ٢٩٢).

(٢) بلا نسبة في: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : ١٥٣، وبدائع الفوائد: ٢٧١/٢، والتفسير القيم: ٦٩٠، والداء والدواء: ٣٥٠.

(٣) بدائع الفوائد: ٢٧١/٢-٢٧٢، والتفسير القيم: ٦٩٠-٦٩١.

وخذ لنفسك نورا تستضيء به ... يوم اقتسام الورى الأنوار بالرتب
فالجسر ذو ظلمات ليس يقطعه ... إلا بنور ينجي العبد في الكرب

والمقصود: أن فضول النظر أصل البلاء. وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابا من الشر كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها. وكم من حرب جرتها كلمة واحدة.

وقد قال النبي صلّى الله عليه وسلّم لمعاذ «وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»[١].

روي عن أنس، قال: توفي رجل من أصحابه فقال- يعني رجلا-: أبشر بالجنة، فقال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أولا تدري؟ فلعله تكلم فيما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه»[٢].

وأكثر المعاصي: إنما يولدها فضول الكلام والنظر. وهما أوسع مداخل الشيطان. فإن جارحتيهما لا يملان، ولا يسأمان، بخلاف شهوة الباطن. فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام. وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشعب، عظيمة الآفات.

وكان السلف يحذرون من فضول النظر، كما يحذرون من فضول الكلام، كانوا يقولون: ما شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان.

وأما فضول الطعام: فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات. وحسبك بهذين شرا. فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام؟ وكم من طاعة حال دونها؟. فمن وقى شر بطنه فقد وقى شرا عظيما. والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام.

ولهذا جاء في بعض الآثار «ضيقوا مجاري الشيطان بالصوم»[٣]، وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم- : «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[٤].

ولو لم يكن في الامتلأ من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله عز وجل، وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده، ومنّاه وشهّاه، وهام به في كل واد. فإن النفس إذا شبعت تحركت وجالت، وطافت على أبواب الشهوات، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت.

وأما فضول المخالطة: فهي الداء العضال الجالب لكل شر. وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة. وكم زرعت من عداوة. وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات، وهي في القلوب لا تزول، ففي فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة. وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة. ويجعل الناس فيها أربعة أقسام: متي خلط أحد الأقسام بالآخر، ولم يميز بينهما دخل عليه الشر.

أحدها: من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة. فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام. وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر، وهم العلماء بالله وأمره، ومكايد عدوه، وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه. فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كل الربح.

---

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان ٢٦١٦، وابن ماجه في الفتن ٣٩٧٣، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» وصححه الألباني.

(٢) سنن الترمذي(٢٣١٦):ص١٣٦/٤.

(٣) نقلا عن: التفسير القيم: ٦٩٢. ولم أجده.

(٤) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٨٠)، وابن ماجه في الأطعمة ٣٣٤٩، من حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» وصححه الألباني.

القسم الثاني: من مخالطته كالدواء، يحتاج إليه عند المرض. فما دمت صحيحا فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنت محتاج من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من.

القسم الثالث: وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه. فمنهم من مخالطته كالداء العضال، والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا. ومع ذلك فلا بد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما. فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت، فهي مرض الموت المخوف. ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربه عليك، فإذا فارقك سكن الألم. ومنهم من مخالطته حمى الروح. وهو الثقيل البغيض العقل، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها، بل إن تكلم فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه وفرحه به. فهو يحدث من فيه كلما تحدث، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس. وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض. ويذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال: ما جلس إلى جانبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر.

ورأيت يوما عند شيخنا -قدس الله روحه- رجلا من هذا الضرب والشيخ يحمله، وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إليّ وقال: مجالسة الثقيل حمى الربع. ثم قال: لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى، فصارت لها عادة. أو كما قال.

وبالجملة: فمخالطة كل مخالف حمى للروح، فعرضية ولازمة. ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب. وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف، حتى يجعل الله له من أمره فرجا ومخرجا.

القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم:

فإن اتفق لآكله ترياق، وإلا فأحسن الله فيه العزاء. وما أكثر هذا الضرب في الناس لأكثرهم الله. وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، الداعون إلى خلافها، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة، والمعروف منكرا، والمنكر معروفا.

إن جردت التوحيد بينهم قالوا: تنقصت جناب الأولياء والصالحين. وإن جردت المتابعة لرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين.

وإن وصفت الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير غلوّ ولا تقصير قالوا: أنت من المشبهين.

وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر، قالوا: أنت من المفتنين.

وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المضلين.

وإن انقطعت إلى الله تعالى، وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا، قالوا: أنت من الملبسين.

وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم، فأنت عند الله من الخاسرين، وعندهم من المنافقين.

فالحزم كل الحزم: التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغل بإعتابهم، ولا باستعتابهم، ولا تبالي بذمهم ولا بغضهم. فإنه عين كمالك، كما قال المتنبي[1]:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

وقال الآخر[2]:

---

(١) الديوان ٣/ ٤٦٨، من قصيدته في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي، ومطلعها:
لك يا منازل في القلوب منازل ... أقفرت أنت وهن منك أواهل.

(٢) الشعر للطرماح بن حكيم الطائي "شرح الحماسة للمرزوقي: ١/ ٢٢٧، والأغاني: ١٠/ ١٥٠ غير طائل: غير فاضل، دون خسيس".

لقد زادَني حباً لنفسيَ أنّني ... بغيضٌ الى كل امرئ غيرِ طائل
وإني شقيٌ باللئام ولن ترى ... شقياً بهم إلا كريمَ الشمائل
إذا ما رآني قطع الطرف بينه ... وبيني فعل العارف المتجاهل
ملأت عليه الأرض حتى كأنها ... من الضيق في عينيه كفة حابل
أكل امرئ ألفى أباه مقصراً ... معاد لأهل المكرمات الأوائل

فمن أيقظ بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم، وهي فضول النظر، والكلام، والطعام، والمخالطة. واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرزه من الشيطان. فقد أخذ بنصيبه من التوفيق. وسد على نفسه أبواب جهنم، وفتح عليها أبواب الرحمة، وانغمر ظاهره وباطنه، ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء. فعند الممات يحمد القوم التقى. وفي الصباح يحمد القوم السّرى. والله الموفق لا رب غيره، ولا إله سواه.

***

تم تفسير «سورة الناس» وبه تم تفسير القرآن العظيم، ولله الحمد والمنة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ورضي الله عن الصحابة أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل.

خاتمة المؤلف

قال العبد الفقير إلى الله تعالى، متضرعا إلى ربه الكريم، اللهم يا ولي العصمة والإرشاد وهادي الغواة إلى سنن الرشاد بارئ البرية مالك الرقاب عليك توكلي وإليك متاب أنت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل مخوف ألوذ بحرمك المأمون من غوائل ريب المنون وألتجئ إلى حرزك الحريز وآوى إلى ركنك العزيز وأسألك من خزائن برك المخزون في مكامن سر المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من أمور الدنيا والدين وأعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فأعذني بحمايتك وأعني بعنايتك وأفض على من شوارق الأنوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق الجسمانية وهذب نفسي الأبية من دنس الطبائع والأخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الإشراق ليستعد للعبور على سرائر الأنس ويتهيأ للحضور في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وأرشدني إلى مسالك البر والتقى واجعل أعز مرامي ابتغاء رضاك وأشرف أيامي يوم لقاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

اللهم كما مننت عليّ بإكمال هذا التفسير، وأعنتني على تحصيله، وتفضلت علي بالفراغ منه، فامنن عليّ بقبوله، واجعله لي ذخيرة عندك، وانفع به من شئت من عبادك ليدوم لي الانتفاع به بعد موتي، فإن هذا هو المقصد الجليل من التصنيف، واجعله خالصا لك، وتجاوز عني إذا خطر لي من خواطر السوء ما فيه شائبة تخالف الإخلاص، واغفر لي ما لا يطابق مرادك، فإني لم أقصد في جميع أبحاثي فيه إلا إصابة الحق وموافقة ما ترضاه، فإن أخطأت فأنت غافر الخطيئات، ومسبل ذيل الستر على الهفوات، يا بارئ البريات، وأحمدك لا أحصي حمدا لك، وأشكرك لا أحصي شكرك، أنت كما أثنيت على نفسك، وأصلي وأسلم على رسولك الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكان الفراغ من هذا العمل: ضحى يوم الخميس، الخامس من جمادى الأولى، لعام ألفٍ وأربعمائةٍ وثلاثة وأربعين من الهجرة النبوية، في مدينة أربيل.

وكان الفراغ من مراجعة التفسير : يوم الثلاثاء، الحادي عشر من المحرم، لعام ألفٍ وأربعمائةٍ وأربعة وأربعين من الهجرة النبوية، في مدينة أربيل. والله الموفق.